الألف كتاب (الثانى) ٩٩

الإرهاب

التهديد والرد عليه

تأليف: إريك موريس
و الان هو

ترجمة: د. أحمد حمدى محمود

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الألف كتاب الثانى 99

الإرهاب

التهديد والرد عليه

الألف كتاب الثانى

الإرهاب

التهديد والرد عليه

تأليف: إريك موريس
و الان هو

ترجمة: د. أحمد حمدى محمود

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩١

إهـــداء

الى الصديقين الكريمين

السفير عثمان نورى واللواء رفعت حسنين

وقد مثلا افضـــل تمثيـــل ما ينبغى أن يتحلى به

المسئولون عن الأمن القومى فى عهدين مختلفين ٠

اقرار بالفضل

الدكتور جون بوتر عالم نفسي ومتخصص في سيكلوجية الارهاب ، ونحن نشعر بالامتنان لما قدمه من عون للكتاب ، أفادنا بوجه خاص في الفصلين الرابع والخامس اللذين يثبتان خبرته في هذا الشأن .

ولقد شاركت ليزكين بالكثير في الأبحاث والاستطلاعات الأوليــة ، وقامت باميلاموريس بتدوين مخطوطة الكتاب على الآلة الكاتبة . ويستحق التقدير سيمون ويندر من دار ماكميلان للنشر لما قام به من جهد عند اخراجه هذا الكتاب . ولا يفوتنا أن نشكر - بوجه خاص - كايث بوفي ومن اشتركوا معها في تنقيح المخطوطة .

وأخيرا لابد من شــكر زوجتينا وأفراد أسرتينا لمــا تحملوا من عناء وما قدموا من عون .

اريك موريس

الان هــو

مقدمة المترجم

لعل الارهاب من بين أبشـــع آفات عصرنا رغم حضـارته الباهرة ٠ وبالاستطاعة تشبيهه بآفة فظيعة أخـــرى كمرض الايدز ٠ ولربما صح القول بأنه قد أصبح معروفا فى بلدان العـــالم كافة ، المتقدم منهـــا والمتخلف ، وفى الدول الكبيرة والصغيرة على الســـواء ، وبالرغـم من صعوبة تحديد من نقـل الارهاب عن من ، الا أن الأرجح هو القول بأن البلدان النامية قد نقلته وتعلمته من البلدان المتقدمة ، فلا غرابة اذا ذكر لنا مؤلفا كتاب الارهاب الذى ترجمناه ـ بصورة عابرة ـ أن الفلسطينيين قد تعلموا أساليب الارهاب من أعدائهم ، وان كانا قد مرا مرور الكرام على دور اسرائيل الخطير فى تعريف العالم باستراتجية الارهاب وتكتيكاته وتناسيا رغم ما ذكرا من أمثلة وفيرة أحداثـــا هامـة كمصرع برنادوت واللورد موين ، ونسف فندق الملك داود فى القدس ٠٠ الخ ٠ ولم يعد أحد يذكر أن من نفذوا هذه الأحداث الدامية قد كوفئوا بعد ذلك بتولى المراكز القيادية فى بلادهم ٠

والبوم تتناسى معظم أجهزة الاعلام هذه الوقائع التاريخية الهامة ، مفضلة نشر أخبار ما يسمونه الارهاب الفلسطينى فى عناوينها الرئيسية ٠ على أن كل هذه الانتقادات وغيرها لاتحول دون وجوب تعلمنا من الدول المتقدمة أيضـــا كيف نحارب الارهاب ، ونعرف أحدث الوســـائل التى اهتدت اليهـــا « لتصعيب » أهدافـــه وحمـــاية الشخصيات المرموقـــة من الاغتيال أو الاختطاف ٠ ولقد بذل المؤلفان جهدا ملحوظا فى تجميع هذه المعلومات المفيدة عن الارهاب ٠ وكم آمل أن يفيد هذا الكتاب جهات كثيرة فى طليعتها المسئولون عن الأمن ، ومن تقتضى واجباتهم الاكثـــار من

السفر على الطائرات والدبلوماسيون ، وأن لايعير القارىء الحصيف أية عبارة ظالمة أو مغرضة تنتقص من دور المنظمة الوطنيـــة التى تشـيد بدورها الدول التى تقـدر كل من يحارب فى سـبيل الحرية وكرامـة وطنه . انها هيئة التحرير الفلسطينية التى درج مشـــاهير الارهابيين أصحاب القدم الراسخة فى الارهاب على تسميتها بالمنظمة الارهابية -

والله ولى التوفيق

أ. ح. م

مقدمة

لم يسبق تعرض المسئولين والمسافرين من بلد لآخر لأخطار الارهابيين على نحو ما حدث هذه الأيام ، وربما حاجى المشتغلون بالاحصاء وقالوا ان هذا الخطر قد لازمنا طيلة العقود الثلاثة الأخيرة • وقد يكون ذلك كذلك ، غير أن التوعية والاجراءات السياسية والقانونية المترتبة على الدروس المستفادة كان لها أثر واهن ـ فيما يبدو ـ فى الاقلال من تهديد الجماعات الارهابية • فلا ننسى أننا أثناء كتابتنا لهذه المقدمة رأينا المخبرين الاعلاميين فى العالم الغربى وهم يتسابقون بلا جدوى الحصول على معلومات عن مصير ركاب الطائرة البوينج ٧٤٧ ، التى اختطفها ارهابيون من العرب عند أحد ممرات مطار كراتشى •

وكما امتدت شبكة التجارة بين الدول ، وأصبحت تغطى مساحة كبيرة ، كذلك أرغم المسئولون من رجال الأعمال على السفر والترحال لانجاز مهام المؤسسات ، انها أسفار قد تسوقهم الى أماكن غير مألوفة ، قد يخضعون فيها لقوانين غريبة وأساليب مختلفة فى الحياة • وفى الوقت نفسه ، يستمر التحسن فى وسائل السفر وتسهيلاته ، على نحو اجتذب المسافر العابر ، وشجعه على القيام بالمزيد من الرحلات الحافلة بالمغامرات والمخاطرات • وبينما حدث تحسن فى تسهيلات السفر واجراءاته فى رئاسات المؤسسات ، فانه من المؤسف الاعتراف بوجود أوجه خلل ونقاط ضعف فى محطات الوصول والموانى والمطارات ، بمقدور الارهابيين استغلالها •

وأما أن الارهابيين سيواصلون استغلال نقاط الضعف هذه ، فأمر مؤكد ، وهل هناك ما هو أهم فى نظر الارهابى من الناحية

الدعائية ، وهل هناك ماهو جدير بالنشر فى شتى الأنحاء أكثر من أخبار اختطاف الطائرات والسفن والقطارات التى تحمل ركابا من مختلف الأجناس ، والتى تضم عادة نساء وأطفالا ؟

وليست عملية الاختطاف هى الخطر الأوحد ، فبوسعنا أن نساوى بين ما يجرى فى حالات السفر وبين الأحداث التى يتزايد فيها استعمال المتفجرات مما يزيد من المساحات التى تخصص لنشر مثل هذه الأخبار ، ومما يزيد من مقدار اثارتها • وبالاضافة الى ذلك ، فقد شاهدت السنوات الأخيرة تحولا مطردا ـ وان كان مازال بسيطا ـ فى دوافع الاختطاف • فلقد تحول الدافع الاجرامى الصرف عند المنظمات الارهابية الى وسيلة آمنة نسبيا لزيادة الفدية والمبالغ المطلوب ابتزازها • فمن هم أهداف الارهاب ؟ يقينا ، انهم لايقتصرون على العائلات صاحبة الثراء • فلقد تزايد ادراك قيمة الصكوك التأمينية التى تخصصها الشركات الكبرى لمواجهة المستقبل ، وما يبيته ، وبذلك انحصر الخطر الذى يتعرض له المسئولون الى مستوى الخطر الشخصى •

واذا تذاكرنا بعض أحداث وقعت منذ أكثر من عقد من الزمان (وقد حددنا هذه الفترة الزمنية عن عمد) واذا ضمنا فى كلامنا جميع أشكال السفر ، وراعينا ما ترتب أو لم يترتب عليها من اجراءات ، سنرى أن المسئولين الدائمى التنقل بين مختلف الدول سيحسنون صنعا لو تساءلوا : « هل تحسنت الأحوال عن ذى قبل ، وما الذى يجب أن أعرفه ؟ ، وما الذى بمقدورى أن أفعله ؟ » •

٢٢ يناير ١٩٦١

فى ٢٢ يناير ١٩٦١ ، استولت جماعة مؤلفة من ٧٠ رجلا على الباخرة سانتاماريا أثناء عبورها البحر الكاريبى • وكان يقود الجماعة الكابتن هنريك جالفاو ، وهو من المنفيين السياسيين ، ومن زعماء خصوم حكومة الدكتور سالازار (الرئيس السابق للبرتغال) وكانت الباخرة فى رحلة سياحية ، وتحمل على ظهرها ستمائة من الركاب المتعددى الجنسيات ، ومن بينهم نساء وأطفال •

وفى الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل ، استولت على المركب جماعة من الركاب مسلحة بالرشاشات والقنابل اليدوية بعد أن هاجمت المعبرة وقتلت الضابط الثالث ، الذى قاوم الهجوم ، وجرحت ثلاثة آخرين من طاقم الباخرة •

وأذاع جالفاو رسالة بالراديو الى جميع صحف العالم ، ذكر فيها كيف استولوا على الباخرة سانتاماريا باسم جماعة جنتو Junto المستقلة لتحرير الجمهورية البرتغالية التي يتزعمها هومباركو ديلجاردو (الرئيس الشرعي المنتخب) والذى جردته من حقوقه ادارة سالازار من باب الخيانة والغدر .

واستطرد جالفاو مطالبا العون من جميع الحكومات الحرة ، كما طالب بالاعتراف السياسي بهذا الجزء المتحرر من أرض الوطن .

وجرى بحث اشتركت فيه بعض الدول ، وقام أحد طرادات بحرية جلالة الملكة بتنسيق عمليات البحث والتدخل ، وأسفر ذلك عن اكتشاف احدى الطائرات الأمريكية للباخرة سانت ماريا ، واضطر جالفاو لتغيير مسار سفينته ، وفي ٣١ يناير ، اشترك جالفاو في المباحثات هو والأدميرال البحرى الأمريكي ، وفي أول فبراير جرت بينه وبين أحد الأدميرالات البرازيليين مباحثات أخرى ، وترتب على ذلك دخول سانتا ماريا لميناء « رسيفى » . وفي ٢ فبراير سمح لمعظم الركاب بالنزول من الباخرة ، وفي ٣ فبراير ، قبل جالفاو عرض الحكومة البرازيلية بلجوئه هو وأتباعه الى البرازيل .

وكانت هذه أول عملية حديثة للاختطاف في البحر . واستمرت ١١ يوما . وقتل أحد أفراد الطاقم ، وجرح ثلاثة غيرهم . ولم تتحقق المطالب التي تقدم بها جالفاو ، بالرغم مما حدث من ترحيب اشترك فيه ٣٠٠ر٠٠٠ شخص عند عودة سانتاماريا الى لشبونة . وهذا يشهد بما لدى الناس من انحراف في حب الاستطلاع ، وبمدى التأثير الدعائي لنشر أنباء هذه الواقعة . ثم حوكم جالفاو ، وثلاثة آخرون (بما في ذلك الجنرال ديلجاردو) غيابيا في لشبونة ، ثم صدر الحكم عليهم بالسجن لمدد متفاوتة (من قبيل عدم اراقة ماء الوجه) . ولم ينفذ أى حكم من هذه الأحكام .

وترتب على هذه المحاكمة اصدار الحكومة البرتغالية قانونا يعاقب القرصنة بالسجن من ١٦ الى ٢٠ سنة ، وعرفت القرصنة بأنها الاستيلاء بالقوة على مركب أو طائرة .

ويعد هذا الاجراء الذى قام به البرتغاليون من المحاولات الأولى التي أقدمت عليها الحكومات الحديثة لتشديد القوانين كوسيلة لمحاربة الارهاب .

وفى ١٠ نوفمبر ١٩٦١ ، ظهر اسم جالفاو مرة أخرى بين رؤوس عناوين الصحف ، عندما استولى أعوانه على طائرة برتغالية ، وهى تحلق فى الفضاء فى طريقها من كازبلانكا (الدار البيضاء) الى لشبونه ، وأرغموا الطيار على التحليق فوق لشبونة ، بينما قاموا باسقاط منشورات تحث الأهالى على مساعدة جالفاو فى حربه ضد سالازار ، وانتهى الأمر بأن هبطت الطائرة فى طنجة التى طرد منها جالفاو ورفاقه ، وسمح لهم مرة أخرى باللجوء الى البرازيل حيث أرغموا على العيش تحت رقابة الشرطة ، ويحق للكابتن جالفاو أن يطالب بالاعتراف بالسبق فى أمرين : أولا ، قيامه باختطاف باخرة فى عرض البحر وثانيا ـ اختطافه طائرة بقصد اسقاط منشورات · أضف الى ذلك ، أنه مازال يتمتع بالحرية نسبيا !

١٢ أكتوبر ١٩٦٧

فى ١٢ أكتوبر ١٩٦٧ ، هوجمت طائرة كوميت BEA ودمرت من أثر انفجار قنبلة أثناء رحلتها من أثينا الى نيقوسيا بقبرص · وذاع على نطاق واسع الخبر بأن الجنرال جريفاس (وهو ارهابى يتبع ايوكا ، وكان يتزعم الثورة اليونانية ضد الحكم البريطانى) كان ينوى السفر على هذه الطائرة ، ولكنه ألغى رحلته قبل اقلاع الطائرة · وبدلا من ذلك ، سافر فى طائرة أخرى فيما بعد · وأثبتت فحوصات المختصين لحطام الطائرة بعد انتشالها من البحر أن القنبلة وضعت تحت مقعد فى كابين الطيار ، وقتل جميع ركاب الطائرة ·

فهل كان لجريفاس علم سابق بذلك ؟ ، ولو صح ذلك ، فلماذا لم تستخدم هذه المعلومة لانقاذ أرواح الضحايا ؟ · وما هى القواعد التى تتبع فى قياس طريقة انتقال المعلومات بين الرسميين والشركات التجارية ؟ ·

١٣ أكتوبر ١٩٧٧

وفى ١٣ أكتوبر ١٩٧٧ ، اختطفت طائرة تابعة لشركة لوفتهانزا كانت فى طريقها من جزر مايوركا الى فرنكفورت من قبل جماعة تسمى نفسها « جماعة الكفاح ضد الامبريالية العالمية » · وكان من المعروف أنها تعمل بالتعاون ومنظمة الجيش الأحمر ، وكان على متن الطائرة ٨٧ من الركاب الألمان وخمسة من طاقم الطائرة ، وطالب الارهابيون بأن تقوم حكومة ألمانيا الغربية باطلاق سراح ١١ من سجناء (بادار هوفن) ، وأن

تقوم الحكومة التركية ـ فى نفس الوقت ـ بالافراج عن عضوين فى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين • وبعد عملية الافراج ، يسسلم مبلغ وقدره ثمانية ملايين جنيه استرلينى •

واستمرت الطائرة تحلق زهاء ١٢٢ ســاعة فوق الشرق الأوسط ، وأعادت ملء خزان الوقود فى روما وقبرص وبيروت والكويت ودمشق ، بينما رفضت مختلف الدول العربية السماح بهبوطها فى أراضيها ، وانتهى الأمر بأن هبطت الطائرة فى دبى لاعادة ملء الخزان . وتمت المفاوضات عن طريق وزير الدفاع فى الامارات العربيــة ، وقبل انتهـاء الموعد الرسمى المحدد (ظهر ١٦ أكتوبر) هبطت الطائرة فى عدن ضد رغبة حكومة اليمن الجنوبية • وفى عدن كان الهبط مقفلا فاضطر الطيار الى الهبوط على الرمال الناعمة خارج المهبط • وأطلقت النار على القبطان شومان عندما أصر على الخروج للتفتيش على قاع الطيارة • ثم بارحت الطيارة عدن يقودها مساعد الطيار ، ووصلت يوم ١٨ أكتوبر الى مقدشيو بالصومال حيث استقرت • وفى منتصـف الليـل ، هاجمت الوحــدة الخاصة للحدود فى ألمانيا الغربية (GSG) الطائرة بنجاح ، واشترك اثنــان من العاملين بخدمات الطيران الانجليزى فى تقــديم المشورة للجماعة الألمانية •

وأنجز عملية اختطاف الطائرة رجلان وامرأتان • وقتل اثنـان من الارهابيين ، وجرح الرابع وقبض عليه ، وتم التعرف على قائد العمنية وهو زهير يوسف آكاشى ، الذى كان مسئولا فى ابريل ١٩٧٧ عن قتل رئيس وزراء يمنى سابق وزوجته ودبلوماسى آخر كان مرافقا له فى لندن •

وعلى الرغم من عدم معرفة الطريقة التى اتبعت فى هذه العملية على وجه الدقة ، الا أنه يعتقد أن الأسلحة المستخدمة فى العمليــة قد هربت رغم وجود نظام أمنى فى المطار ، ومازال الحال بعد عشر ســـنوات على ما هو عليه •

٢٣ مايو ١٩٧٧

وفى ٢٣ مايو ١٩٧٧ ، حدثت أول عمليتين ارهابيتين متزامنتين فى شمال هولاندة •

فقد تم الاستيلاء على قطار داخلى كان فى طريقــه من تسفولله الى جرونتجن • وهرب السائق ودق جرس الخطر وقبض على ٥٢ كرهائن •

وعلى بعد ٣٠ كيلومترا من القطار المختطف ، بدأت محاصرة احدى

المدارس فى بوفينسميلدة ، وقبض على ١٢٥ طفلا وخمسة مدرسين كرهائن •

ونفذ العمليتين ارهابيون من احدى جزر الهند الشرقية ، وطالبوا بالافراج عن بعض سجناء من مواطنيهم ، كانوا قد سجنوا اثر قيامهم بعمليات ارهابية أخرى قبل ذلك ، وطالبوا أيضا بطيارة بوينج ٧٤٧ تنقلهم هم والرهائن من شيبول الى بنين ، حيث كانوا يأملون اللجوء اليها •

وتركزت العمليات على بعد كيلو متر من القطار فى مخزن للفحم تحت الأرض اتخذ كمركز قيادة صغير بالقرب من المدرسة فى بوفينسميلدة • وحوصر موقعا الحادثين ، وأجريت توصيلات تليفونية بين القطار والمدرسة بناء على طلب الارهابيين • وفى اليوم الثالث ، وضعت عصابات على عيون بعض الرهائن ، وأرغموا على الوقوف خارج القطار حتى يراهم الجميع ، والحبال ملتفة حول أعناقهم • وفى المدرسة ، تدخلت الأقدار ، وأرغم انتشار العدوى بأحد الأمراض الارهابيين على اطلاق سراح الأطفال • واحتفظوا بالمدرسين الخمسة كرهائن ، وخلال أربعة عشر يوما ، جرت مفاوضات بلا طائل • وفى هذه الأثناء ، أفرج عن ثلاثة زهائن من المحتجزين فى القطار : امرأتان حاملتان ، ورجل تعرض لنوبة قلبية ، وفى الساعة الخامسة صباحا ، اتخذ قرار استعمال القوة ، وأمرت وحدة مكافحة الارهاب وقوات البحرية الملكية والقوات الجوية الخاصة B.E.E. بمهاجمة القطار والمدرسة فى نفس الوقت • وأفرج عن الرهائن سالمين •

واتبعت الحكومة الهولاندية تكتيكا جديدا للغاية فى هذه العملية عندما أنشأت مركزا لمواجهة الأزمات فى مدينة هيج ، واشترك أحد علماء النفس الحكوميين فى الفريق المسئول وفى القرارات التى كان يصدرها •

٩ مارس ١٩٧

وفى ٩ مارس ١٩٧٧ ، استولى المتشددون الاسلاميون على ثلاثة أبنية منفصلة فى واشنطن • واستبقوا ١٣٤ رهينة زهاء ٣٩ ساعة : وينتمى هؤلاء المسلمون الى جماعة تدعى جماعة الحنفى ويقودها خليفة عبد الخالص • وجماعة الحنفى من الجماعات التى انشقت عن المنظمة المسماة منظمة الاسلام الأسود • وحدث هذا الانشقاق بعد مصرع زعيم المنظمة مالكولم •

ولقد أحدثت هذه الجماعة أكبر قدر من الاضطراب للشرطة عندما استولت على ثلاثة أبنية في وقت واحد . فلقد استولى فى البداية وفى الساعة الحادية عشر أربعة مسلحون بالطبنجات والمناجل على مبنى Bnai Brith الذى تملكه منظمة يهودية ، واحتفظوا بعدد يتراوح بين عشرة ومائة من الرهائن ، وبعد ذلك ، وفى منتصف النهار ، تم الاستيلاء على المركز الاسلامى القومى فى حى السفارات . وكان يضم ١٥ رجلا ، ثالثا – وبعد ذلك بساعتين ونصف الساعة ، وفى حى كولومبيا كونترول احتل الارهابيون قاعة مدينة واشنطن ، وقبل احتلال المبنى ، حدثت معركة تبودلت فيها طلقات النيران ، وقتل مخبر صحفى وجرح أحد العاملين بمكتب مستشار المدينة فى رأسه وصدره . واحتجز العمدة وأربعة آخرون كرهائن .

وسارعت شرطة المدينة بالسيطرة على المواقع الثلاثة ، واستعانت بأفراد من القناصة ، وسدت جميع مخارج المنطقة . وبعد وقت قصير ، قدم عبد الخالص مطالبه . وصورت هذه المكالمة تلفزيونيا . وطالب فى مكالمته بتسليم ستة من السجناء دن الذين قتلوا ستة من عائلته ، (ففى ١٩٧٣ شن ستة من خصومه المسلمين غارة على بيت عبد الخالص وقتل خمسة من أطفاله وحفيد عمره عشرة أيام) . ولم يتوقف واستمر الحنفيون ينحون باللائمة على المسلمين السود ، وينسبون اليهم هذا الاعتداء ، وطالب عبد الخالص بعد ذلك بتحريم عرض فيلم محمد رسول الله فى شبكة تليفزيون الولايات المتحدة ، اذ يعد تصوير الرسول من الانتهاكات الكبرى فى العقيدة الاسلامية ، وأخيرا طالب باسترداد مبلغ ٧٥٠ دولار باعتبارها حقا له ، (فقبل ذلك بفترة من الزمان حوكم عبد الخالص لأنه أهان أثناء محاكمته أعضاء حركة المسلمين السود . والمبلغ المشار اليه هو قيمة الغرامة التى أرغم على دفعها) .

ولقد استجابت الشرطة لمطلبيه الأخيرين لكى تثبت تعاطفها معه وحتى يكون بمقدورها اجراء تفاوض فعال معه عن طريق التليفون .

وفى ١٠ مارس وفى وقت متأخر من النهار ، قام سفراء مصر وباكستان وايران بالتفاوض هم وعبد الخالص ، وسمح لهم جميعا بدخول مبنى S'nai Brith حيث كانت تتم عملية التنسيق للسيطرة على الارهاب ، وارتضى الارهابيون فى نهاية المطاف الاستسلام .

وفى أواخر يوليو ١٩٧٧ ، قدم جميع أعضاء الحنفية للمحاكمة وأدين الجميع بتهمة المؤامرة والاختطاف . وبالاضافة الى ذلك . فقد

صدرت أحكام ضد عبد الخالص واثنين من رفاقه على تهمة القتل من الدرجة الثانية للمخبر الصحفى ٠

وذكر أن شرطة المدينة قد صممت على عدم السماح للارهابين بالمساس بالأمن خارج المبنى ٠

سبتمبر / أكتوبر ١٩٧٧

الدكتور هانس مارتين شلاير من المشتغلين البارزين بالصناعة ، ومن الشخصيات المرموقة فى مجتمع المانيا الغربية ، بحكم شغله وظيفة رئيس اتحاد عمال ألمانيا الغربية وباعتباره مستشارا للحكومة فى مسائل العمال والاقتصاد ومديرا لمصنع ضخم لسيارات مرسيدس بنز ٠ ولقد توقعت الشرطة للأسباب المذكورة آنفا أن يكون هدفا أوليا للارهابيين ، وزودته بأربعة من رجال الحرس الخاص لمرافقته فى جميع الأوقات ، وبالرغم من جميع هذه الاحتياطات ، فقد وقع شلاير فى ٥ سبتمبر ١٩٧٧ فى كمين فى براونفيلس ٠ وأثناء الاعتداء قتلت نيران الرشاشات اثنين من رجال الحرس الخاص وأحد مستشارى الأمن وسائقا ، أما شلاير بالذات فقد اختطف ٠

وأعلنت وحدة الكوماندو (الفدائيين) للجيش الأحمر بعد اتصالها بوكالة الأنباء فى ألمانيا الغربية مسئوليتها ، (فلقد مات هاوسنر — وهو ارهابى من بادرماينهوف متأثرا بجراحه أثناء غارة على السفارة الألمانية باستكهلم ١٩٧٦) ٠ وأرسلت وحدة الفدائيين خطابا الى حكومة ألمانيا الغربية متضمنا مطالب الارهابيين ، التى اشتملت على الآتى : تسليم مبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه استرلينى لكل عضو من الأعضاء الأربعة عشر السجناء فى سجن شتوتجارت ، والافراج عنهم جميعا ، وتأمين وصولهم سالمين الى مطار فرنكفورت ، ويرافق السجناء المستر دفيس بايوت المحامى السويسرى ، ومن المدافعين عن حقوق الانسان ، وأيضا الدكتور مارتين نيمولر ، وهو من الشخصيات النازية المعروفة ٠ وافترض أن الشرط الأخير سيضمن تأمين وصول هؤلاء السجناء ٠

وسجل الارهابيون شريطا سمع فيه صوت شلاير وهو يجيب على الأسئلة الشخصية التى وجهتها له الشرطة ، لاثبات أنه مازال على قيد الحياة ، وفى ٩ سبتمبر ارتضى دفيس بايوت القيام بدور ضابط الاتصال بين الشرطة والارهابيين ، وكانت هناك جملة أحداث مردية لم تك هناك أدلة لاثباتها ، ودارت المناقشات على نحو أقرب الى التراخى ، ثم وصل انذار نهائى الى مكتب بون لوكالة الأنباء الفرنسية يحتوى على

صورة فوتوغرافية لشلاير وهو مازال على قيد الحياة ، ومرة أخرى ترك هذا الحادث المردى ، والذى كان فيه شلاير بين الموت والحياة دون اتخاذ أى اجراء ·

وتدخلت الأقدار فى الأسبوعين الأولين من أكتوبر عندما أقدم ثلاثة من سجناء بادر ماينهوف فى شتامهايم على الانتحار ، ونجحت القوة الضاربة G.S.G. 9 فى اقتحام الطائرة المختطفة فى مقدشيو ، وكادت هذه الحادثة تقرر مصير شلاير · فقد عثر على جثمانه فى قاع سيارة فى مولهاوس فى الألزاس فى ١٩ أكتوبر ١٩٧٧ · وجاءت أنباء بينت أين يمكن العثور على جثته بعد أن تمت المحادثة التليفونية بين جناح الجيش الأحمر والجريدة اليسارية الباريسية Liberation · فلقد أزهقوا روح شلاير بكل جلاء من قبيل الثأر ، بعد أن احتفظوا به كرهينة زهاء ثلاثة وأربعين يوما ·

وليس من شك أن موت شلاير كان أمرا مبيتا عندما أعطت الحكومة الألمانية أوامرها باقتحام طائرة اللوفتهانزا فى مقدشيو ، وسمحت للصحافة باذاعة أنباء انتحار السجناء فى سجن شتامهايم · ومن المثير للانتباه أن نلاحظ أن الصحف لم تخمن أى شىء عن هذا الموضوع آنئذ قبل حدوثه ·

واكتفت التقارير الصحفية بالتحدث عن أنواع الركائب والاتصالات التى استخدمها المسئولون العصريون · وفى جميع هذه الأحداث ، احتجز كرهائن أناس لا ناقة لهم ولا بعير ، بل وأزهقت أرواحهم فى بعض الحالات ، وبالمثل فان كل حادثة من هذه الأحداث قد قدمت درسا للجهات المسئولة ، لا يلزم أن يكون أحد قد تعلمه ، وعلى الرغم من زيادة التعاون الدولى الحديث بين أجهزة الشرطة ووكالات الاستخبارات ، فان عدد العمليات الارهابية قد كشف عن زيادة رهيبة · واذا تأملنا ما حدث منذ تصاعد فى الأحداث فى عشر السنوات التالية ، عندما كان المسافرون فى رحلات عمل أو للترويح عن أنفسهم ، يلفون أنفسهم من آن لآخر فى موقف لايحسدون عليه ، فان المستقبل سيبدو كئيبا حقا ·

واذا حدثت عمليات ارهابية فى الفنادق وفى ساحات الرياضة والمطاعم والطرق العامة ، وفى محطات نهايات أوتوبيسات النقل العام والسينما والمسارح والمنازل الخاصة ، فأين ياترى يصادف المسافر الأمن والسلامة ؟ باختصار انه لن يعثر على مثل هذا الاطمئنان قط ·

ومع هذا فان بمقدور الانسان عندما يعي ما يحدث في مثل هذه الحالات أن يحدد دراميا من خطورة هذه المناسبات التي يكون فيها موضع تهديد بأن يفهم ماهية هذا التهديد • فباستطاعته أن يتعلم كيف يعرف الدوافع والممارسات والأساليب التي يتبعها الارهابي العصري • وبوسعه أن يتعلم القواعد البسيطة التي تساعد على أن يصبح عسير المنال كهدف للارهاب ، بغير أن يغير بالضرورة من مقومات أسلوبه في الحياة •

وليس على الاطلاق من الأمور غير المألوفة أن يختطف شخص ما عن طريق الخطأ ، وبخاصة في البلدان التي تشيع فيها أساليب الخطف بالجملة ، وبطريقة عشوائية ، ويستأجر فيها الخاطفون من ينوب عنهم من المتخصصين في عمليات ال Snatch وانتهاز الفرص ، بدلا من أن يكون من يتولون هذه المهمة المنتفعون الحقيقيون بالفدية التي تسلم في نهاية المطاف ، كما أنه ليس من غير المألوف أن يختطف أحد المسئولين من أجل التأثير الضاغط على المؤسسات الشديدة الثراء • ومن الأمور المتزايدة الحدوث في أمريكا اللاتينية أن يختطف شخص ما لأنه يبدو كأنه واحد من أصحاب الحيثية ، وثمة شيء ما بمقدور المسئول من أهل الدراية أن يفعله لتخفيف الخطوات التي يتعرض لها شخصه في جميع هذه الحالات • وحتى اذا حدث الأسوأ واختطف أو احتجز في حادث اختطاف طائرة ، فهناك بعض ضوابط بوسعه أن يلاحظها لأنها ستفيده كثيرا أثناء فترات احتجازه التي يحتمل أن تطول لمدة طويلة •

لقد خططنا هذا الكتاب هادفين الى توعية الجهات المسئولة عن السفر ، وان كنا نهدف أكثر من ذلك الى مساعدة من يحتمل تعرضهم للتهديد لكي يتمكنوا من التصرف في عالم غير متعاطف طالما استطاعت العمليات الارهابية وضعه تحت رحمة أمثال طرف ثالث لم يتدرب أو تعرف على ما يحدث في العمليات الارهابية •

★★★

أولاً: طبيعة الإرهاب الدولي ودرجته

١ ـ نظرة تاريخية

فى السنوات الأخيرة ، شاهد العالم الحر عددا دائم التزايد من الحركات السياسية غير التقليدية ، وتعرف على نوعية من الحركيين السياسيين الذين لم يألفهم • وتراوحت الأسلحة المستخدمة فى مختلف البقاع بين العصيان المدنى وحركات الانقلاب ، وبين اغتيال الطغاة ، وحروب العصابات ضد الارهاب ، وزودت مثل هذه الأحداث الصحافة ومختلف وسائل الاعلام بمادة حافلة بالمثيرات •

وأول نتائج ذلك هى أن الرأى العام قد أصبح ينظر الى الارهاب كشىء مستحدث ، وكثيرا ما عبر عن هذا الانطباع المعقبون وصانعو السياسة على السواء ، واعتبروه قضية مسلما بها • والحق أن العنف السياسى ، الذى كثيرا ما يكون من النوع الذى لايستساغ ، كان ملازما لنا طيلة العصور ، واليوم يختطف الارهابيون رهائن من البشر ، وفى الماضى كانت قبائل الانكا تستولى على أوثان القبائل التى قاموا بقهرها ويضعون أيديهم على هذه الرهائن للتأكد من عدم تمرد أولئك الذين قهروا ، واذا بدأنا بقابيل وهابيل فى التوراة فسنرى قصتهما محملة بقصص العنف السياسى ، وأيضا يمثل العنف جوهر تاريخ يونان وروما •

ففى ولاية يهوديا الحافلة بالمتاعب ، انهمك جيش الاحتلال الرومانى فى عهد يسوع المسيح فى التعامل مع مثيرى المتاعب من أمثال الايزيوقراط و « السيليكاريكان » الذين يمثلون الجناح المتطرف من المتعصبين الصهاينة • ولقد بلغ تمردهم ذروته فى مأساة قلعة « ماسادا » التى أدت الى تشتت اليهود "Diaspora" ، وهى نقطة بداية الكثير من الصراع الدينى العنيف المحتدم حاليا فى الشرق الأوسط •

وقد صور شكسبير بروتس كصاحب مبادىء ومعتقدات ثاقبة ، تحول الى ارهابى فى عيد منتصف مارس ، أى عندما اشترك فى عملية اغتيال يوليوس قيصر ، ومن أبطال الأساطير الفولكلورية : روبين هود ووليم تل ، أى أولئك الذين شنوا حربا ضد الطغاة · وينحدر أصل الارهاب من العهد الذى كان يمجد الثورة ضد الطغاة ·

وتعد مشكلة هل يغتفر اغتيال الطغاة من القضايا المعقدة فى أصولها الأخلاقية والسياسية ، وليس بمقدورنا أن نشجب مثل هذه الأفعال على الفور · فلا يخفى أنه قد مرت عهود لم تعرف فيها أية وسائل أخرى لمقاومة الطغيان · ففى يوليو ١٩٤٤ ، أخفق الكولونيل فون شتاوفنبرج فى محاولة قتل هتلر ، وكانت مؤامرة الجنرالات مازالت فى مهدها ، وطالب الفوهرر بانتقام رهيب من مقترفى هذه الجريمة الحقيقيين أو الموهومين ، ومازال هناك حتى يومنا هذا من يعتقدون أنه ليس من واجب الجنرالات ازاحة القادة السياسيين (١) ، وهو رأى يشترك فى ترديده كثيرون بلا شك من أبناء جيش ألمانيا الغربية اليوم ، وعلى أفضل الأحوال ، فان هذه النظرة تعتبر ضيقة وساذجة للغاية ، فلو أن المخابرات السرية فى بريطانيا ــ أو أى انسان آخر (فيما يتعلق بهذه المسألة) ــ قد أمرت فى أواخر الثلاثينات بالقيام بعملية مماثلة ، ونجحت فى الخلاص من أدولف هتلر ، لما كان من المستبعد أن ينظر الى فعلتها على أنها عمل ارهابى مؤيد من الدولة ، ولكنه كان سيعتبر عملا تحريريا للعالم أيضا ، فبفضله كان العالم سينجو من التعرض لدمار حرب عالمية ثانية ·

« لقد دمر بحارنا ودمر شواطئنا وحرق مدننا وحطم أرواح أهلنا » · هكذا وصف أصحاب اعلان استقلال أمريكا الملك جورج الثالث عندما لجأوا الى الارهاب ، واتخذوا هذه الناحية ذريعة لما اعتبروه صراحة حركتهم التحررية ، وفى مثل هذه الحالات ، لاينظر الى قتل « أصحاب السترة الحمراء (*) » Redcoats والموالين Loyalists على أنها جرائم ، ولكنها تعد أفعالا وطنية ·

وتكمن الصعوبة فى أن الارهابيين قد زعموا فى جميع عصور التاريخ أنهم محررون ، يحاربون ضد الاستبداد الذى يجل عن الوصف ،

---

(١) "Montogomery of Alamein" ـ كتاب "History of Warfare" ص ٥٢٥ ·

(*) الجنود الانجليز ·

وضد ما فيه من شراسة ، والرد الخبيث على ذلك هو أن مثل هذه المزاعم لا توصف بأنها مشروعة الا عندما تحقق نجاحا فحسب • ففي مثل هذه الحالة ، يكون المعيار هو ما تحققه من انتصار على المضطهد ، واستقلال للبلاد • وتكون كل دولة هي المحك الأخلاقي لنفسها ، وهي التي تضع معايير السلوك والتي تحدد ما يليق وما لا يليق . وفي السنوات الاستنزافية لتصفية الاستعمار ، التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، كان هناك العديد من الأمثلة التي ظهر فيها مقترفو الأفعال الارهابية في الماضي بمظهر المحاربين من أجل الحرية ، والذين أصبحوا فيما بعد رؤساء للدول • وينحدر الارهاب من جذور عتيقة • بيد أنه لا القانون ، ولا ما يدعي بتقدم البشرية قد قدم عونا لتوضيح ما يعنيه الارهاب ، أو بين لماذا نقبله •

واليوم قد وقفت **الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وقفة شجاعة جسورة ضد الارهاب الحديث** ، وبخاصة ، عندما حددت دولا بالاسم كليبيا وايران ، لتأييدهما ، بلا شعور بالمسئولية ، لمثل هذه الأفعال • غير أن اللجوء الى الارهاب كوسيلة من وسائل فن ادارة الدولة له تاريخ عريق مجيد •

وبالمقدور رد الاختطاف الى القرن الثاني عشر ، على أقل تقدير عندما سجن الملك ريتشارد قلب الأسد كرهينة في احدى قلاع الراين الى أن دفع رعاياه فدية سراح الملك لأسرة أرشيدوق النمسا والامبراطورية الرومانية المقدسة • وفيما بعد أصبح الأطفال هدفا مستحبا للاختطاف • ويعتقد بوجه عام أن أصل الكلمة في اللغة الانجليزية «Kidnapping» يرجع الى علاقته باختطاف الأطفال (باعتبارها تشتمل على كلمة Kid) ، وفي القرن السابع عشر ، والقرن الثامن عشر ، كان الأطفال يختطفون ويباعون في سوق الرقيق للمستعمرات في نيو انجلند •

وفي القرن الثاني عشر ، والقرن الثالث عشر ، كانت « فريضة » الاغتيال تتم تنفيذا لأوامر السلاطين العثمانيين للخلاص من المعارضين والمنشقين • وبعد ذلك بستة قرون ، استهل اثنان من الزعماء اليعقوبيين المتطرفين في جماعة الأمن العام لباريس : « روبسبيير » « وسان جوست » عهدا من الرعب يقال أن ضحاياه قد تجاوزوا الأربعين ألف نفس ، وبدأ هذا العهد في سبتمبر ١٧٩٣ ، عندما أعلن مجلس قيادة الثورة بعد أن

(*) هكذا عبر المؤلفان عن الموقف وتناسيا أنهما الأصل الذى علم الارهاب لجميع بلدان الشرق الأوسط ، فلا ننسى دور الاستخبارات الانجليزية والأمريكية •

انتهى من اعدام الملك لويس السادس عشر بالمقصلة أن « الرعب هو قانون اليوم » حتى يستطاع الخلاص من جميع المشبوهين من أعداء الجمهورية . وصعق أصحاب التيجان فى أوربا خارج حدود فرنسا بعد اعدام الملك فأعلنوا الحرب على الثورة التى رأوها بحق قد تحدت أنظمتهم فى العالم .

وفى العصور الأحدث ، أعاد الأرمن فى القرن التاسع عشر اكتشاف فاعلية احتجاز الرهائن ، بينما ظهرت لأول مرة فكرة التنظيم الارهابى السياسى حوالى الوقت نفسه فى الجمعيات السرية فى ايطاليا وأسبانيا . وعلى منتصف القرن ، انتقلت فكرة هذه الجمعيات الى الألمان قبل أن يعرفها الروس .

غير أن الارهابيين الروس كانوا مختلفين ، فلم يقتصر الأمر على مناصرتهم لنظام محكم من الارهاب ، ولكنهم مارسوه أيضا ، واستخدم الفوضويون والثوريون الرسائل الملغمة والأجهزة المتفجرة المرتجلة TED ولم تنج عاصمة واحدة فى أوربا من هجماتهم . وشهدت المنطقة الواقعة بين البرلمان وميدان Square Mile فى لندن عددا من أحداث القاء القنابل . واعتدى فى باريس وبرلين وفيينا وسان بطرسبورج (لينينجراد حاليا) على بعض الشخصيات من علية القوم ضحايا الفوضويين والعدميين (nihilists) والارهابيين الثوريين الذين نجحوا فى تحويل الحياة الى جحيم عند نهاية القرن فى نظر أولئك المشتغلين بالمسائل العامة . ومن اللغو الظن بأن الجيش الأحمر اليابانى وجماعة أيلول الأسود أو جماعة الجهاد الاسلامى قد جاءوا بما لم يأت به الأواخر .

اذ كان اللجوء الى الرعب كسلاح سياسى من مفاتيح استراتيجية لينين لبناء أول دولة شيوعية ، وبناء على توجيهاته قامت جماعة الفشيكا تحت قيادة الرفيق دزرزينسكي بارهاب الجماهير الروسية ، وكانت هذه سابقة اقتدى بها ستالين وخلفاؤه ، حتى وان كانوا قد لجأوا الى وسائل قمعية أبشع . وغدت مثل هذه الوسائل الارهابية التى لجأت اليها الشرطة السياسية الروسية OGPU ، الأداة المفضلة لستالين لفرض سياسته « وروسنة » الاتحاد السوفيتى بالقوة ، وتزعمت الجماعة التى جاءت فى أعقابها الـ NKVD عمليات التطهير ، وأثبتت أن لارهاب الدولة ذراعا طويلة ، وبخاصة عندما اغتالت المنشق تروتسكى ١٩٤٠ ، أثناء اقامته بالمكسيك ، واستخدمت ال NKGB كأداة لتأكيد أن الصراع بين السوفيت وألمانيا النازية حرب وطنية كبرى يخوضها المواطنون

الروس ، ويزود ال KGB والجماعة العسكرية GRU بأساتذة لتدريب مسكرات تدريب الارهاب فى براج وباكو وأوديسا وطشقند . ويفد اليها التلاميذ من مختلف البلدان ، وبذلك أثبتوا الاستمرار التاريخى لشعار لينين الذى يرى أن الحزب الشيوعى يستند الى مبدأ التهديد الذى لا يعترف بأى حدود أو محرمات . وليس من شك أن فلسفة الالتجاء الى الارهاب ومستلهماته فى العالم اليوم ـ وهناك وثائق مؤيدة له ـ قد ترجع الى النموذج السوفيتى المصمم بعناية وحذق .

وساعدت وسائل الاتصالات الحديثة عندما يسرت التنقل من دولة لأخرى وأتاحت سبل الاتصالات التليفونية ، على انتشار الارهاب ، كما أن هناك دولا أخرى شجعت الارهاب لتحقيق أغراضها عن طريق المنح المالية وتقديم المعونات وقبول الارهابيين كلاجئين ، وبذلك تكون قد استهانت بامتيازات البرتوكول الدبلوماسى . وأشعر الارهاب بعض الدول مثل كوبا وكوريا الشمالية واليمن الجنوبية وليبيا بشيء من القوة ما كانوا ليحصلوا عليه في حالة عالمنا الواعى . فلقد جنحت الدول الأميل الى الطغيان الى تصفية خصومها الذين يعيشعون فى المنفى مما أحدث اضطرابا لدى أعدائهم ، وتنظر هذه الدول الى مثل هذه الأعمال على أنها البديل الحقيقى للحرب .

والاستمرارية التاريخية موجودة فى تكنولوجيا الارهاب . فخلال مختلف العصور ، سواء فى عهد الارهابيين المناهضين للقياصرة فى القرن التاسع عشر ، أو الحركة الايرلاندية المطالبة بالاستقلال فى أعقاب الحرب العالمية الأولى IRA ، أو فى أحداث هذه الأيام ، رأينا الارهابيين يتمتعون بالقدرة على الحصول على أحدث التكنولوجيات . ومن أفضل الأمثلة التى تثبت ذلك ، محاولة جى فوكس Fowkes نسف البرلمان الانجليزى ١٦٠٤ باستعمال ٣٦ برميلا من البارود . وهناك بعض أمثلة تاريخية فوجىء فيها المسئولون بالتكنولوجيات التى استعملها الارهابيون . فلقد نسفت جماعة الجهاد الاسلامى مجمع البحرية الأمريكية فى بيروت باستعمال لورى قديم مشحون بالمتفجرات . وكانت البحرية مستعدة لمواجهة السيارات الصغيرة المجهزة بالقنابل ؛ ولكن لم يخطر ببال قائد هذه القوة امكان مواجهة التهديد الذى يحدثه لورى مشحون بالمفرقعات يقوده فدائى انتحارى ، وبذلك قتل ٢٤١ من الرجال الذين تحت قيادته .

والارهابيون قادرون تماما على استثمار أية تكنولوجية تقع بين أيديهم ، فسرعان ما تعرفوا على ميدان الالكترونيات ، وحصلوا على قنابل ذات فاعلية أضخم وأفضل ، ولقد اتضح أن قنبلة الارهابى تقوم بدور

السلاح الجوى عند الفقراء ! وربما صح مثل هذا الكلام · غير أنه فى حالات مماثلة لما يجرى فى بيروت وغيرها ، فاننا نرى الارهابى أقدر من القوات الجوية المحترمة على التمييز والاتصاف بالدقة ، عندما يطلب منه تدمير أى هدف ، كما أثبتت السنوات الأخيرة ·

والارهاب صورة من صور التشهير · انه من المهـام القذرة التى بمقدورها أن تنتعش فى المجتمعات الحرة لأنها تحتاج الى تسيب أمثال هذه المجتمعات التى تعمل بها ، فعندما تقدم قوات الأمن على الثأر يصيح الارهابى « ياللعار ! » مستغلا الاحساس الديموقراطى بأن ما يفعله عبارة عن لعبة مشروعة · على أن التشهير الارهابى ليس أمرا جـديدا ، فلقـد قدم لنا الشـاعر الانجليزى رديـارد كبلنج فى قصيدته Danegeid مثلا يرجع الى عهد السكسون : « اذا أنت دفعت للدانمركى الضريبـة المسـتحقة (Danegeld) ، فانك لن تتخلص قط من الدانمركى Dane

وظهر نوع جديد من الارهاب غداة انتهاء الحرب العالمية الثـانية ، التى كشفت — وبخاصة فى الشرق الأقصى — زيف ما يقال عن تفـوق الجنس الأبيض ، وحضارته المبنية على الآلـة ، وبذلك أعلنت مولـد قوميات جديدة ، ومن بين القوى الامبرياليـة ، التى تعرضت للخزى والضعف ، كان هناك من أدرك أن الوقت قد حان لتتخلى هذه الدول عن دورها ، لأن عهد سلطانها قد ولى واندثر ، وقام بعض آخر بخلق المشكلات لنفسه ، عندما قاموا بمواجهة الحروب غير النظامية والارهاب باستعمال تكتيكات تقليدية شعارها « أطلق النار وتحرك ! » ·

وبعد أن عانت بريطانيا الأمرين من الآثار المدمرة لحرب العصابات فى ايرلاندة ، فانها قد تعرضت لشىء مماثل من قبـل حركة المقـاومة الصهيونية(*) ، وما تبعها من ارهاب متطرف فى فلسطين · ولم يخطر ببال الاسرائيليين الجدد أن أولئك الفلسطينيين الذين يعملون لاسترداد أرضهم سيعون الدروس المريرة المستفادة مما فعله الاسرائيليون ، وأنهم سيحاولون تطبيقها عندما يحين الوقت ·

وأخفق الجيش الفرنسى فى الهند الصينية فى التعلم بسرعة كافية أن حروب الشعب التى شنها أمثال ماوتسى تونج وهوشى منه وفوهيجيجن جياب لها أبعاد متعددة · أما الأمريكيون وما عرف عنهم من ثقة صبيانية

(*) أسمى المؤلفان الارهاب الصهيونى « بالمقاومة » وعفا الله عما سلف ورحم الله اللورد موين ونسف فندق الملك جورج بالقدس ·

بجسارة تكنولوجيتهم ونظرتهم العلمية للحرب ، فانهم قد عجزوا دائما عن الادراك الصحيح للغايات المحددة لفيتنام الشمالية وتكتيكات ارهابيي الفيتكونج ، الى أن انتهى الأمر بتورطهم وبلوغهم لحالة من الاذلال الوطني، ويهدف الارهابي عندما يعمل على مناهضة الاستعمار الى السيطرة على أفئدة الجماهير ، وبذلك تكون مواجهته بأعمال حربية على الطريقة التقليدية بلا طائل الى حد كبير .

على أن الجيوش الغربية تفكر بطريقة تقليدية . فلقد تعلم ضباطها كيف يفكرون بلغة الجيوش التي تعمل في ميادين المعارك ، وتهتم كليات الاركان في بريطانيا والولايات المتحدة اهتماما خاصا بما دار من حروب على الأرض الأوربية ، والتكتيكات الفردية ، ولا يخصص الا النزر اليسير لدراسة « الحروب الصغيرة القدرة » dirty little wars . كل هذا بالرغم من أن الجيش البريطاني لم ينعم بأي سلام منذ ١٩٤٥ لأكثر من سنتين .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بجيل من الزمان ، استحوذت الحروب الصغيرة القذرة على انتباه القوى الغربية الى حد كبير أو صغير ، الى أن اضطرت هي أيضا للخضوع لازعاج حالات جديدة من العنف . فقد بدا لها أن « هذه المجتمعات التي ظهرت بعد العصر الصناعي » ــ كما كان علماء الاجتماع يميلون الى وصفها ــ قد أفرخت جماعات من الارهابيين الذين بزغوا من بين صفوف حركات الطلبة اليساريين المتطرفين المعترضين على مادية البلدان المتحالفة والولايات المتحدة ، وفي سنة ١٩٦٨ ، يبلغ الاضطراب والشغب في الأحــرام الجامعيــة ذروته . ففي ابريل من ذلك العام ، قبض على « أندرياس بادر » عندما كان يشعل النيران في أحــد المخازن بفرنكفورت ، ودافع عن نفسه في المحكمة بالقول بان اشعال النار كان أمرا ضروريا « لايقاظ الجموع البشرية وتنشيطها » . وحكم عليــه بالسجن ، ولكن قبل أن تنتهي مدة حبسه قامت باطلاق سراحه جماعة من مؤازريه كانت بينهم أولريكن ماينهوف . وهــكذا ظهر اســم عصابة « بادر ــ ماينهوف » في رؤوس عناوين الجرائد . وظهر ارهابيون شنوا الحرب على الجمهورية الاتحادية لألمانيا الغربية ، وكانوا من أصحــاب الحسب والنسب ومن ملاك السيارات الفارهة !

وانضمت الى « بادر ــ ماينهوف » جماعة أخرى هي Bonnie clyde التي مثلت الجناح المتصلب في الجيش الأحمر ، وهي حركة ارهابيــة تعتمد على قاعدة عريضة تتلقى العون من الغافلين والساخطين من أبنــاء الطبقة المتوسطة ، ولهم نظراء في ايطاليا بجناحيهــا اليميني واليســاري

أشهرهم « الألوية الحمراء » . وما كانت هذه الجماعات لتنجح فى مهمتها لولا وجود شبكة كبيرة من المتعاطفين وأكثر أساتذة الجامعات والصحفيون وغيرهم من المثقفين . نعم لقد زودت الجامعات بالبنية الأساسية التفريخية للارهابيين الجدد . وقد نجحوا نجاحا ملحوظا لفترة ما .

وبينما كانت قوات الأمن تعمل على مواجهة هذا الارهاب بدأت بشائر الارهاب فى الشرق الأوسط تتوافد على أوربا ، فلقد حاول العرب التغلب على الاسرائيليين فى أربعة حروب تقليدية ، ولكنهم فشلوا ، ومن هنا لجأ الفلسطينيون الى الحملات الارهابية الموجهة الى شعب اسرائيل وممتلكاتهم خارجها وعلى من أعتقد أنهم يقدمون الدعم لاسرائيل .

وفى سنة ١٩٧٠ ، استهلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عهد الارهاب الفلسطينى فاختطفت ونسفت بعض الطائرات فى مصر والأردن ثم جاء شهر سبتمبر ١٩٧٢ وروع العالم عندما شاهد اطلاق النار فى مطار «Furstenfeldbruel» بميونخ ، وصورت كاميرات التليفزيون الرهائن ، وكان بينهم الفريق الأوليمبى الاسرائيلى وأحد ضباط الشرطة وطيار هليوكوبتر ، وقتل أربعة من هؤلاء الفدائيين فى عملية بوليسية ، انحرفت بطريقة مؤسفة عن طريقها الصحيح .

ونظر الى عملية الهجوم فى ميونخ على أنها تمثل انطلاق سلالة جديدة من الارهاب . ولم تكن عملية ميونخ عملية قومية ، ولكنها كانت عملية فلسطينية تورط فيها بعض أعضاء جماعة « بادر – ماينهوف » ، فيما أسمته الصحافة « الارهاب الدولى الجديد » .

فهل يعد ارهابيو هذه الأيام مختلفين عن جدودهم الذين ظهروا عبر التاريخ ؟ ليس من شك أنه فى أحد الجوانب هناك اختلاف قوى مباشر ، اذ كان ارهابيو الماضى فقراء فقرا شنيعا ، أما اليوم فان الارهاب مهمة عاتية ، اذ تحصل حركات مثل منظمة التحرير الفلسطينى على دخل يفوق الدخل القومى للعديد من الدول ، وبفضل ما لديها من موارد مالية ضخمة ، استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية ، بشعبها المختلفة أن تتعلم دروسا من الجريمة المنظمة . واقتدوا بالنموذج الذى وضعت أسسه المافيا فى الولايات المتحدة وايطاليا ، فاستثمروا أموالا طائلة فى أوربا ودخلوا فى سوق امتلاك العقارات والمضاربات فى البورصة ، وبذلك ضاعفوا ما لديهم من أموال .

وهناك مصدر هام آخر للدخل هو المخدرات .. ففى بعض المداخل الهامة لأوربا الغربية مثل مطار فرنكفورت ومطار شارل دى جول بفرنسا ،

ومطار هثرو بلندن ، توفد الجماعات الفلسطينية مبعوثيها وتهرب كميات هائلة من المخدرات لتوفير المال اللازم لشراء معدات الارهاب ، وهناك جماعات ارهابية أخرى متورطة بالمثل · فلقد استثمرت جماعات مثل (IRA) والجماعات البروتستانية شبه العسكرية فى شمال ايرلاندة أموالها بقدر كبير فى المشروعات المحلية وفى شراء بعض العقارات وأسواق النقل ، ولكن لدى العصابات المقيمة فى مدن أمريكا اللاتينية فى الستينات موارد هائلة · وقدرت المبالغ التى أكتسبت فى ايطاليا عن طـريق عمليـات الاختطاف والابتزاز بخمسة وستين مليونا من الدولارات دفعت من باب الفدية فى منتصف السبعينات ، وييسر المـال والاتصالات الحديثـة للارهابى اصابة أهداف كانت فيما مضى بعيدة المنال ·

فحاليا هناك قدر من الارهاب يفوق ما كان يحدث فى الماضى ، ففى الفترة التى أعقبت حرب يوم كيبور (نصر أكتوبر) ١٩٧٣ ، تضاعفت أحداث الارهاب عشر مرات · وكانت أهدافه بريطانيا والمانيا الغربيـة وفرنسا وايطاليا واسرائيل ، واليابان ، والولايات المتحـدة ، التى كان نصيبها نصيب الأسد ، اذ بلغ عدد قتلاها ٣٠٪ من ضحايا الارهاب ·

وهناك من يفسرون هذه الظاهرة على أنهـا مؤامرة من محتـرفى الارهاب الذين يسعـون الى اضعـاف الروح المعنـوية فى المجتمعـات الديموقراطية وتقويض أركانهـا · ولاحظ معقبون من المتبصرين مثل بول جونسون (٢) أن البشرية قد انزلقت خطوة نحو عصر ارهابى وعلى نحو لا يكاد يبصره أو يدرى به أحد ·

وليست الاحصاءات التى عملت لحصر الارهاب الدولى هى وحدهـا التى تبين مثل هذه الزيادة فى الانتشار ، ففى أسوأ الفترات التى ازدادت فيهـا حـوادث الشـغب الداخلى فى الولايات المتحـدة ، أى بين ١٩٦٥ و ١٩٦٨ قتل ٢١٤ فردا وجرح تسعة آلاف من أثر الاحتجاجات الطلابية والارهاب السياسى وعمليات الشغب فى أحياء السود والأقليات · وبالمقدور مقارنة هذه الأرقام بعدد ضحايا حوادث القتل (١٢٫٠٠٠) والاعتداءات

(★) يسعى الكاتبان هنا الى محاولة تشويه سمعة منظمة التحرير الفلسطينية ، بإقحامها فى للشكلة الدولية للمخدرات · وقد كذبت الحقائق الحديثة هذه الفرية ؛ واتضح أن المركز الرئيسى للتجارة الدولية للمخدرات فى أمريكا الشمالية والجنوبية ، وأن رؤوس الأموال التى تستثمر فى هذا المضمار تقدر بالمليارات من الدولارات · وتبيت تورط بعض رؤساء الدول وما خفى كان اعظم ·

(٢) Paul Johnson · — استشهد بها David Fromkin فى مقـال The Strategy of Terrorism) مجـلة Foreign Affairs) عدد يوليو ١٩٧٥ ·

العنيفة (٢٥٠و٠٠٠) التى تحدث سنويا فى الولايات المتحدة ٠ حقا ان هناك أعدادا أكبر من ذلك يقتلون فى المنـــازعات الفردية أو حـــوادث السيارات ، أى يفوق عددهم أعداد من يلاقون حتفهم فى أحداث الارهاب فى شتى أنحاء العالم ٠

على أنه اذا لم تك الاحصاءات كافية لاثبات وجود مشكلة كبرى فما هو ياترى سر اهتمام عموم الناس بهذه الأحداث ؟ ٠ أغلب الظن أن هناك سببين يساعدان على تفسير سر انشغال الناس بالارهاب : السبب الأول ـ هو أن الارهابيين يلجأون للعنف من أجل « الاثارة » ٠ ويرجع اختلافهم عما كان يجرى فيما مضى الى الطرق التى يتبعها الارهابيـــون فى الدعاية لأنفسهم ٠ فهم يختارون العروض العنيفة المبهرة كعمليـات الاختطف التى تنظم تنظيما دوليا ويشارك فيها أفراد من مختلف الدول ٠ أما أخبار قتل أصحاب الحيثية أو المذابح العشوائية للأبرياء ، فانهـــا تحتل العناوين الرئيسية ، أو تخصص لها برامج لتغطية كل أخبارها ، وتشاهد فى حجرات الجلوس أثناء تناول الافطار فى أجهـــزة التليفزيون الملون ٠ وتنقل المشاهد الأخاذة للعنف بوساطة الأقمار الصناعية الى شتى أنحاء العالم ، وتراها الملايين ٠

وتثبت الناحية الدعائية على نطاق واسع رغبة هؤلاء المولعين بالعنف فى تفخيم أعمالهم التى تنشر بالبنط العريض وتذاع فى جميع الاذاعات وهكذا فان هدف الارهابى هو جمهور المشاهدين الذين تزعجهم أخبـــار الجريمة وتفزعهم وتقلقهم ٠ ويتماثل معهم فى احتلال العناوين الرئيسية فى الصحف الزعماء القوميون الذين تهتم أجهزة الاعلام بابراز أعمالهـــم ومآثرهم ٠ وكثيرا ما تكون هذه الظاهرة من عوامل الاغراء التى تشجع الارهابى ، ولقد كان الرئيس جيمى كارتر يتعرض يوميا للتأنيب علنـا زهاء ٤٤٤ يوما ممـا دفعه الى اعداد بعثة انقاذ انتهت بالفشل والاذلال ٠

بطبيعة الحال ، لن يمر وقت طويل الى أن تصبح الجماهير محصنة ضد نشاز العنف ، فلم يعد موت أحد الجنود فى ايرلاندة الشمالية أو مصرع أحد رجال الدين يأسر انتباه أجهزة الاعلام ، بنفس القدر الذى كان يحدث فيما مضى ، وهذا يفسر الجانب الثانى الأكثر افزاعا فى طـــابع الارهاب المعاصر واهتمامات الجماهير ، ان عشوائية العنف هى وحدهـا التى تحدث مثل هذا الذعر ٠

ولقد صعق الناس فى بريطانيا من جراء الهجوم الذى شنه الجيش الجمهورى الايرلاندى على الفندق الكبير فى برايتون ، وكاد الارهابيـون

ينجحون فى اغتيال رئيسة وزراء بريطانيا ومجلس وزرائها . وربما كانت النشرة التى أذاعها الجيش الجمهورى فى أعقاب هذا الحـــادث أشـــد صفاقة : « لقد تم تحطيم أسطورة تمتع الحكومة البريطانية بالمنـــاعة ، ويكفينا هذا لتعزيز جرأتنا وثقتنا بأنفسنا ، وستحدث أعمال هجومية فى المستقبل ، وستحدث دائما اعتداءات فى بريطانيا وسنحدد الوقت والمكان بعناية وان كنا لن ننبه الى ذلك (٣) » .

وتملك الجماعات الأصغر نسبيا القدرة على التدمير وازعاجنا واقلاقنا بقدر لا يتناسب والقوة الفعلية لهذه الجماعات ، وهنا يكمن موطن تهديد الارهاب الحديث ، الذى لن يفلت منه أحد .

★★★

---

(٣) المتحدث باسم الجيش الجمهورى الايرلندى فى مقابلة أجراها معه Sinn Fein فى مجـــلة An Poblacht ١٩٨٥ .

٢ ـ الارهـاب

مـا هـــو الارهاب ؟ الظاهر ان هناك قدرا ضئيلا من الاتفـاق بين الخبراء ، عندما يتعلق الأمر بالتعاريف . وبمقدورنا أن نتحايل على مشكلة التعاريف ، عندما يتصل بحثنا بما يندرج أو لا يندرج تحت عنوان الفعل الارهابى . غير أن مثل هذه الفقهيات تتداعى عندما تنفجر قنبلة مموهة ، وتحدث أثرا مدمرا فى مخزن أحد المحلات الحافلة بزبائن عيد الميلاد ، أو عندما تتحطم احدى الطائرات أثناء تحليقها فى الجو .

ومصطلح الارهاب من المصطلحات الدالة على الاهانة . انه الاسـم الذى يستعمله من هو موضع تهديد . وفى القرن التاسـع عشر ، كان الارهابى هو الشخص الذى يشترك فى نوع خاص من الأعمال العنيفـة ضـد الدولة . وللمصطلح استعمالات تقليدية ، وبراجماتية وثورية . ويختلف الأمر تبعا لمن يستعمله ، وهل هو مقترف أحد هـذه الأفعال أو من ضحاياها . على أن الأمر لم يعد كذلك الآن . اذ كان المقترفـون فيما مضى يخوضون حرب عصـابات لتحرير بلادهم ، مما يجعلهم من الفدائيين ، لا ارهابيين . أما أتباع الفريق الآخر ، فانهم يستعملون كلمة ارهاب للدلالة على أى فعل يتضمن احـداث خلل فى الوظـائف الصـامة للمجتمع ، وينضوى تحتها ألوان متعددة من العنف ، ابتداء من عمليـات اختطاف الطائرات فى الفضاء الى القاء القنابل بلا تمييز ، الى عمليـات الاختطاف ذات الطابع السياسى ، والاغتيال ، وحوادث القتل باسم الدين ، واتلاف الملكيات العامة .

ومن المتعذر اقامة نظرية واحدة أو تعريف أوحد يحيط بمثل هذه الأنواع المتعددة ، ومن الخطأ الاعتماد على مثل هذا المعيار الذى لا يميز بين مختلف الشرور بالنسبة للارهاب ، ويعد الغموض الذى يكتنف استعمال المصطلح من الأسباب الأساسية لاساءة فهم طبيعة الارهابى ، والتهديد الذى يحدثه بالتبعية ٠

ولقد وصف مقترفو أحداث التمرد ومعارك الشوارع والصراعات المدنية ومثيرو الشغب بين العمال والداعون للعصيان والمشاركون فى حرب العصابات فى الريف ، وأعمال الأمر الواقع ، وأفعال جماعات الضغط باسم الحفاظ على البيئة أو حقوق الحيوانات ، فى أوقات مختلفة ، بأنهم ارهابيون ٠ وينزلق المصطلح ، وتزل قدمه ، ويجنح الى الابتعاد عن الدقة ٠ وربما بدت مثل هذه الصفات مستحبة عند أجهزة الاعلام ، ولكنها تسبب لنا جميع أنواع المصاعب ٠ انها تضخم من قدر الاحصاءات ، ومن ثم فهى تجعل المشكلة تبدو أضخم من حجمها الحقيقى ٠ وبذلك تحدث ذعرا كبيرا ٠ كما أن الوصف بلا تمييز يعقد مهمة فهم طابع الارهاب ٠ وسنرجىء مسألة كيفية مواجهة هذه المشكلة الى أن نتمكن من فهمها ٠

وعندما يواجه الكتاب والأكاديميون هذه المشكلة فهم يتبعون اتجاهات شتى ٠ اذ تعتقد احدى المدارس أن مفتاح حل مشكلة الارهاب يكمن فى ضرورة فهم الشعب ٠ وتركز هذه الطريقة التى يحبذها علماء النفس تحبيذا كبيرا على دراسة من هم الارهابيون ، ولها أوجه قصور واضحة ٠ فليس بمقدور مثل هؤلاء الخبراء التحدث عن أى ارهابى حى حقا ٠ ولا داعى لاثارة مسألة تعذر تحليلهم لنفسية هؤلاء الارهابيين ٠ والارهابيون الذين قاموا بأدوار فعالة ، يتملصون من أية عملية تحليل طويل المدى لأعمالهم ، وربما كشف أولئك الذين ألقى القبض عليهم أو احتجزوا عن بعض معلومات ذات نفع ، ولكن بمجرد ابتعادهم عن الدور الفعال الذى قاموا به ، فان قيمة هذه المعلومات تكون محدودة ، وأخيرا فان أولئك الذين تقاعدوا أو تمت اعادتهم الى الطريق القويم ـ شأن المحاربين القدماء فى كل مكان ـ يميلون الى التحكم فى ذاكرتهم ٠ وفى هذه الحالة ، ستتعرض ذاكرتهم للتأثر بالموقف الحاضر ، وربما بدا من الخطر المضلل التعميم حول الرجال والنساء الهائمين على وجوههم ، أى أولئك الذين يعيشون بلا أسماء أو متنكرين فى ظل أكذوبة حياة حافلة بالغموض والأسرار ٠

ومن الواجب عدم استخلاص أى نتائج عامة عن الارهابيين الذين يختارون للدراسة ، حيث يتعين تجنب عقد مقارنات بين سلوك من يتبعون

ثقافات مختلفة · ان الايرلانديين والألمان والزنوج الأمريكيين والعرب جميعا يمارسون أفعالا من العنف ، ولكن هل يعنى هذا ان لديهم صفات شخصية مشتركة ، وسمات انسانية واحدة ؟ · قد يتوافر لهم جميعا صفة الشباب وحيويته ، والالتزام ، وقد يشتركون فى أنهم جميعا قد نذروا أنفسهم لقضية ما ، وان كان طيارو المقاتلات الحربية ، والملاكمون يشتركون معهم فى نفس الصفات · وهل هناك الكثير من الجدوى فى البحث عن أوجه ارتباط ، أو أساس مشترك بين عامل سفن بروتستانتى فى بلفاست ، وأحد الفلسطينيين من خريجى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وأى مناضل زنجى يقيم فى حى الزنوج بنيويورك ، أو كولونيل فى الجيش الأسبانى ، أو كاهن من أمريكا اللاتينية ؟

فى ٣٠ مايو ١٩٧٢ هبط ثلاثة أعضاء من الجيش الأحمر اليابانى فى مطار اللد فى اسرائيل · وبمجرد وصولهم الى مبنى السفريات بالمطار ، وضعوا أيديهم فى الحقائب التى يحملونها بأيديهم ، وأمسكوا بطبنجاتهم الأتوماتيكية وقنابلهم اليدوية ، وفتحوا النيران ، وقاموا بحركة على طريقة Kamikaze (*) وسفكوا دماء جميع المحيطين بهم الى أن أطلقت النيران عليهم · وقتل أربعة وعشرون رجلا وجرح سبعون آخرون · ولم يك معظم الضحايا من الاسرائيليين ، ولكنهم كانوا من المسيحيين من بورت ريكو من الحجاج الى الأرض المقدسة ·

ولم يقدر البقاء الا لواحد من هؤلاء الارهابيين · وعندما استجوب كشف عن احدى الشبكات المعقدة للارهاب الدولى · فلقد جندت المجموعة ثم نقلت الى كوريا الشمالية ، حيث تم تدريبها ، وجاءت الاعتمادات المالية من ألمانيا الغربية ، وبعد نقل أفراد المجموعة الى الشرق الأوسط ، تلقوا تدريباتهم النهائية فى معسكرات لحرب العصابات ، فى سوريا فى بادىء الأمر ، ثم بعد ذلك فى لبنان · وفى ايطاليا ، قاموا بتلقينهم وتسليحهم بمعرفة عميلهم ، أى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، قبل شروعهم فى الطيران لتنفيذ المهمة المطلوبة منهم فى اسرائيل ، التى قصد منها أن تكون رحلة انتحارية أى بلا عودة ·

وعندما سئل لماذا عمل كارهابى مرتزق ، اعترف الارهابى الذى بقى على قيد الحياة ـ وهو صبى فى الخامسة عشرة من عمره ـ بأنه التحق بالجيش الأحمر لأن أخاه الأكبر عضو فيه · فهل يتوقع من القانون والنظام العام للدول أن يغفر مثل هذه الأعمال باعتبارها ترجع الى عوامل موروثة ؟

(*) الطيارون الانتحاريون الذين كانوا يهاجمون السفن الأمريكية فى الحرب العالمية ويتعمدون تفجير طائراتهم بالارتطام بتلك السفن لتدميرها ·

ولقد قدم علماء النفس بعض المعلومات النافعة عن الغاية المرضية للارهاب بشتى ألوانه • فلقد أقدم على اقتراف الكثير من أفعال العنف ـ خصوصا اذا تمعنا فى القائمة الطويلة لمرتكبى عمليات اغتيال الأمريكيين ـ أولئك الذين تعرضوا لاضطراب عقلى حاد ، ومن ثم كانت دوافعهم خليطا مشوشا من الفانتازيا والشعور بالغبن والتطلعات السياسية غير الناضجة •

وهناك استثناءات ملحوظة ، وان كان أغلب مختطفى الطائرات بالمقدور ارجاع أفعالهم الى الخلل النفسى وليس الشعور بالغضب السياسى الذى يسعى للتعبير عن نفسه فى شكل أفعال وبطولات • وهناك أيضا الارهابيون المصابون بذهان ـ أى الذين يعانون من اضطرابات عقلية ـ ممن تستهويهم الهالة المحيطة بالعنف وجماعات الارهابيين • وهناك آخرون يحققون غايتهم عن طريق الانضمام الى الشرطة والقوى الشبيهة بالعسكرية. ويرى الأستاذ ريتشارد كلاترباك ـ وهو من الثقات الانجليز البارزين فى معرفته بأحوال الارهاب ـ ان الارهابيين يجتذبون المخبولين ، كما أنهم يحولون العقلاء الى مخبولين اعتمادا على تلقينهم عمليات القتل • ولقد قدم علم النفس أيضا بعض التقنيات والتكتيكات المفيدة فى الميدان الحافل لعملية تبادل الرهائن • ومع هذا فالظاهر أن هناك الكثير مما يجب أن يجرى قبل أن يتسنى لنا تقديم تعقيبات صحيحة عن حالة عقلية القاتل أو بروفيل شخصية من يلقى القنبلة من العقلاء •

وكثيرا ما تتدخل المشاعر عند محاولة فهم الارهاب • وأيا كان الطريق المتبع ، فمن الحيوى الحرص على التزام الموضوعية • فبعض يتبع النزعة القائلة بأن جميع الارهابيين منحرفون ، وما يؤمنون به من سياسات شديدة التطرف ، بحيث يصعب أخذها مأخذ الجد ، ومطالبهم بعيدة عن الواقع مما يحول دون الاهتداء الى قرار أو حلول وسط عند التفارض معهم •

فى أغسطس ١٩٨٥ ، قتل الارهابيون الشيعة أحد الموظفين الأمريكيين فى شركة T.W.A. ، ثم أخذوا يتنقلون على غير هدى بين الجزائر وبيروت • ويبدو أنه لا وجود لأى مخرج فى مثل هذا النموذج الكلاسيكى من الأحداث الارهابية • وعجز المتشددون عن اقناع المسئولين بأن الاجابة ستكون اطلاق النار على عجلات الطائرة أثناء وجودها على مدرج مطار الجزائر • وبعد ذلك اقتنعوا بعدم وجود أمل فى الحل الوسط ، وأن أية محاولة دبلوماسية مضيعة للوقت • وسرعان ما أدرك الرئيس ريجان ومستشاروه ـ رغم حركاته التياترية ـ أن الارهاب ليس

من المشكلات الواضحة المعالم ، وشرعت الادارة الأمريكية فى التفاوض فى سلسلة من المناورات الدبلوماسية الحساسة والمتوازنة توازنا دقيقا • وكان الثمن الذى أرغمت الولايات المتحدة على دفعه فى هذا الاجراء هو الاعتراف بدور الارهابيين وشرعية وجودهم ، وبدورهم التمثيلى فى العالم وبدا هذا الاجراء فى نظر بعض النقاد ثمنا باهظا للغاية •

وكانت عملية الاختطاف في بيروت من الأحداث الحافلة بالمفارقات • فلقد سعى وزير الخارجية الأمريكية شولتز للحصول على مساعدة سوريا لتأمين اطلاق سراح الطائرة وطاقمها وركابها ، وفى الوقت نفسه ، فانه لم يبتعد عن اتجاه المسئولين فى وزارته الذين رأوا أن سوريا راسخة القدم فى معسكر تلك الدول المؤيدة للارهاب ، الى جانب اليمن الجنوبية وليبيا وايران • وكان نهوض الرئيس الأسد وقيادة حركة أمل كوسطاء مخلصين لاجراء تسوية من المتناقضات التى وقعت فيها السياسة الخارجية الأمريكية ، ولعلها تسببت فى احداث اضطراب أعظم فى مثل هذا الحادث المثير لعواطف النفس ، ومع هذا فعندما وضع هذا الموقف فى كفة ، ووضع فى الكفة الأخرى ، الافراج عن الرهائن ، فانه بدا ثمنا زهيدا •

وأثبت حادث اختطاف T.W.A فى بيروت أن رأى الخبراء فى العالم الحر ليس قريبا على الاطلاق من فهم ماهية الارهاب ، ومن هم الارهابيون ، وأن كل ما بوسعنا أن نفعله هو أن نفحص حدود الارهاب ، ونحاول أن نرسم اتجاها معقولا وسط الاضطرابات والتناقضات •

وأول حد ينبغى أن يرتبط بمدى عنف الفعلة . فالارهاب هو التهديد باستعمال عنف غير عادى لتحقيق غايات سياسية • على أن أمثال هذه الأفعال الارهابية تعد رمزية أكثر منها وسيلية ، وتتخذ بقصد احداث تأثير سيكلوجى أكثر منه مادى • ولقد عرفه المرحوم ريمون آرون ، وهو من المعقبين السياسيين وخبراء علم السياسة على هذا النحو : يوصف الفعل العنيف « بأنه ارهابى » عندما « تكون الآثار السيكلوجية المترتبة عليه غير متناسبة البتة هى والنتيجة المادية البحتة » (١) • ان هذا الملمح من المدخلات السيكلوجية هو مفتاح فهم الارهاب اليوم • فالدعاية المسلحة للعنف هى بمثابة مسرح يؤدى الارهابى دوره فيه • بينما يعد الهدف هو المتفرجين الذين يبلغهم عن طريق وسائل الاعلام • وفى هذا المقام يكون ضحية العمل الارهابى بكل بساطة مجرد رمز •

---

(١) Raymond Aron _ فى كتاب Century of Total War ١٩٨٤

ان جوهر الارهاب يتركز على ثلاثة عوامل :

١ ـ مصدر العنف ٠

٢ ـ المتفرجون ٠

٣ ـ الضحية ، ويحسن بنا أن نذكر أن المصاحب الضرورى للارهاب هو الخوف ، وأن الغاية القصوى هى التهديد ٠

ولقد أصبح الارهابيون يتمتعون بمهارة فائقة فى استعمالهم العنف لجذب الانتباه ، وفى الكثير من الحالات ، تكون الغاية المرحلية هى دفع حركتهم ليس تجاه ادعاء القوة ، وانما تجاه الشهرة فحسب ٠ وهكذا قد تساعد أية عملية قتل مبهرة ، أو أى حديث تلفزيونى عن مصير الرهائن على تدعيم مكانة المنظمة الارهابية ٠ وتساعد أيضا على نشر رسالتها ، وبذلك تجتذب التعاطف ، بل وتجتذب أنصارا للقضية ٠

ومن الناحية العملية ، يعد الارهاب مسألة تخص العالم برمته ، ومن ثم فان علينا أن ننظر بعين الاعتبار الى المجتمع الذى تجرى فيه ٠ وفى بعض أجزاء من العالم ، هناك مجتمعات ، العنف فيها مسألة متوطنة ٠ وفى مثل هذه الأحوال ، يصبح العنف أمرا معتادا ، أى من عادات العشيرة ، ويتخذ مظهر الطقوس ، بحيث لا تلفت الأنظار الكثير من الأفعال التى كان من المفروض أن تسترعى الانتباه ، لولا ذلك ٠ وتسيطر على مجتمعات أخرى أنظمة القاعدة الأساسية للحكم فيها هى القمع والتعذيب والقتل بحكم القانون ، ويخضع فيها الناس للارهاب ٠ أما أولئك المعارضون فعليهم أن يسايروا النظام السائد بالبحث عن خصومهم وذبحهم ٠

وبزغ فى الأزمنة الأخيرة نوع آخر من الارهاب ، وبخاصة فى تلك البلدان التى أثبتت فيها الحكومات عجزها عن مواجهة المعارضة العنيفة أو التحديات العنيفة ٠ ويسخر الساهرون على النظام القانون لصالحهم ، فيقتل رجال الشرطة المشبوهين والقتلة ، بدلا من القبض عليهم ، وبذلك يكون عملهم أشبه بعمل وحدات العشماوية ٠

والعنف من مقومات الارهاب ، ولكن هل يعد الارهاب عملا حربيا ؟ ومرة أخرى اننا نصادف ابتعادا عن الاجماع من قبل الخبراء ، أما الارهابى بالذات فلا تساوره أى شكوك فى دوره كمحارب ، فبعد أن تستحوذ عليه الحاجة لتقديم أوراق اعتماده كارهابى بعد التعريف بدوافعه ، فانه يظل مقتنعا بأنه يقاتل فى حرب ، ويتصور نفسه جنديا ، حتى اذا لم يرتد

زيا عسكريا ، أو لم يتدرب تدريبا نظاميا • وقد تكون المنظمة الارهابية ذات تنظيم مؤقت • وقد لا يتلقى أعضاؤها أكثر من الحد الأدنى من التدريب ، الا أنهم يعتبرون أنفسهم جنودا • فأسلحتهم هي البندقية والقنبلة ، وميدان قتالهم هو شوارع المدينة ، وأهدافهم هي النقاط المعرضة للخطر والحساسة في المجتمع الحديث •

وفي الحق فان الارهاب قد يتخذ الكثير من المظاهر التي نقرنها عادة بالصراعات التقليدية ، وتلعب الحرب السيكلوجية دورا هاما عندما يكون الهدف هو تحطيم معنويات القوى المعادية أو حكوماتها ، وأولئك الذين يعتمدون عليه في مؤازرتهم • والدمار المادي له مكانة عليا في قائمة أهداف الارهابيين • اذ قد يؤدي تدمير الموارد ووسائل النقل ومرافق الصناعة الى شل الحكومة • وقد يحدث هذا التدمير شعورا بعدم الارتياح والقلق يدفع الأصدقاء والآخرين الى سحب تأييدهم وتمويلهم واستثماراتهم • وقد تتعرض التجارة الى الانكماش ، ولا ننسى أن التجارة هي عصب الحياة وروح اقتصاد الأمة •

وقد شعرت المؤسسات العسكرية الجديرة بهذا الاسم دائما بصعوبة الاعتراف بالارهاب كمظهر من مظاهر الحرب ، فقال الجنرال « روبرت الى » عن حرب العصابات التي شنها الكونفدراليون في الحرب الأهلية الأمريكية : « اننى أرى العملية بأسرها شرا خاليا من أية شوائب خيرة » • وبغض النظر عن هل يعد الارهاب شرا أم لا فقد استخدم هذا النوع من الصراع من قبل الكثير من المتقاتلين عبر العصور • ولن يساعد ازدراء الارهاب على اختفائه ، وفي بعض الحالات يكون الجندي المحترف هو مصدر ما ينتابه من اضطراب • ويذكر المؤلفان أنهما خلال تجربتيهما في أكثر من مناسبة عندما كانا يرافقان الضباط أنهما قد قيل لهما ان الجنود تحت قيادة الضباط كانوا في حالة حرب هم والارهابيين في ايرلاندة الشمالية ، وان ظلوا ينظرون شذرا الى الحرب غير التقليدية ، وطريقة الرد عليها ، ومن ثم فان المؤسسات العسكرية قد أرغمت بتأثير الظروف على قبول مسئولية عملهم كرجال مسلحين في التعامل والارهاب • ولقد مر بهذه التجربة الاسرائيليون والفرنسيون وجنوب أفريقيا والروس في شرق أوربا وأفغانستان ، وبذلك يكون الأمر الواقع قد أضفى الشرعية على المحرمات •

وهناك آخرون قد يرون هذه الحجة مثيرة للغضب ، وربما رأوا ان الارهابيين ليسوا محاربين في حرب عصابات ، لأنهم جنود غير نظاميين

يشنون حربا على القوات المسلحة التقليدية • وهكذا يكون الارهاب قد أغشى الفارق بين المقاتلين والمدنيين ، بينما يعد الفصل بينهما هو الغاية الأساسية لقوانين الحرب • ويعمد الفريق الأخير الى تحديد ماهية الجريمة، فحتى عندما تحتدم حدة القتال ويسوده الاضطراب ، فان المحاربين يظلون قادرين على التمييز بين ما هو شرعي ، وما هو بعيد عن الشرعيـــة فى الحـــروب •

ويرغب الارهابيون فى الحصول على الكعكة ، وأكلها أيضا ! فهـــم لا يقيمون أية تفرقة أو اختيار بين أهدافهم ، ويخفقون فى التمييز بين الأهداف العسكرية المشروعة والمدنيين • ومع هذا فانهم يطالبون ضحاياهم عندما يقبض عليهم بالتفرقة ، وتخصيص مكانة لهم تفصل بينهم وبين المجرمين العاديين • ولم يساعد تذبذب الحكومة البريطانية فى هـــذه المسألة فيما يتعلق بايرلاندة الشمالية على تسهيل مهمة قوات المحافظـــة على الأمن ، كما أنها لم تؤد الى الاهتداء الى حل لهذه الأزمة •

« الأرضية التى يقف عليها أحد الأشخـــاص هى سقف الشخص الآخر • كما أن من يبدو ارهابيا فى نظر فلان ، يبدو فى نظر علان محاربا ومحررا » ، وقد كان هذا القول صحيحا فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، أو كان هذا هو العهد الذى تولى فيه زعماء المنظمـــات الارهابية بعد هزيمة أسيادهم المستعمرين شرف رئاســة دولهـم • واذا سلمنا بمقدرة القيادة الاسرائيلية على تتبع ماضيها الى العهد الذى كانت تحارب فيه البريطانيين ، فاننا لن نعجز عن تفسير لماذا اتسم رد فعلهـا – بدورها – بشدة العنف فى مواجهة التهديد الفلسطينى •

ومازالت هناك أجزاء من العالم تعانى فيهـــا الشعوب المغلوبة على أمرها من قدر كبير من الاغراب والقمع من قبل الحكومة ، حيث تســود التفرقة وعدم المساواة ، ويشعر الفرد بعجزه قبالة الحكومة والمؤسســات الكبرى ، وفى بعض الأمثلة يرمز الاعتداء السياسى الى آخـــر مـا تبقى للشخص البسيط من مقدرة يود لفت النظر اليها • وبمقدور الارهابى أن يعبر عن رسالة الكثرة من الآخرين الذين يشعرون بالضيم ، ويفتقرون الى فرصة اسماع صوتهم • وعندما يشعر الثورى بالاحباط ، ولا يعثر على منفذ يساعده للقيام برد فعل تجاه الأحداث ، فانه يختار الارهاب • ويتعين الاعتراف بهذه الاعتبارات لا كمبرر للارهاب ، وانما كوسيلة لالقاء الضوء عليه •

ولن تساعدنا حقيقة ادراكنا أن الخلافات العرقية واللغوية والعنصرية والدينية قد تزيد العنف على إمكان مواجهة الارهاب • وغاية ما يوسعنا

أن تفعله هي تعريفنا باحدى الحقائق الراسخة ومؤداها أنه ما لم نقتلع الأسباب الأساسية ، فان الارهاب لن يمحى قط ، وفي الوقت نفسه فهناك رد يقــول أن علينا أن نتجنب مواقع الاضطراب حتى وان كانت منتشرة في شتى الأنحاء • وكما حدث في حالة اختطاف T.W.A فقد اختطف الارهابيون الطائرة المسافرة من أوربا الى الشرق الأوسط •

ومن المعقول أن نفترض أنه عندمـــا طارد الأصوليون الاسلاميون والمليشيات الولايات المتحدة حتى طردوها من لبنان ، فانهم لم يتوقفـوا عند شواطىء البحر المتوسط ، ولكنهم تابعوا القوة المكلفة بهذه المهمـة حتى عادت الى عقر دارها • ومن المحتمـــل أن يكون هنـــاك متطرفون اسلاميون « يناموز » بالولايات المتحدة ، وينتظرون نوبه البروجي التي تدعوهم الى الحرب المقدسة ، بالقيام بأعمال ارهابية في المدخل الأمـامي لأمريكا في أمريكا الوسطى • وعندما سعت الولايات المتحدة لشن الحرب على الارهابيين ، فانها قد خلقت أعداء عديدين لها •

وبمعنى ما فلعل تهديد الارهابيين الآن أفدح منه في أي عهد مضى سواء في الداخل أو الخارج • وقد عادت « موضة » اختطاف الطـــائرات لأن قدرة المختطف على تسريب الأسلحة الى داخل الطائرات أعظـــم من قدرتنا على اكتشافها • ويضم الارهاب الآن نخبه من الرجال والنساء الذين لا يبالون بالحياة أو الموت ، ومن ثم فانهم سيقدمون على القيام بأفعـال جريئة جسورة ، وعلى مواجهة مفارقات لا تطاق ، بيد أنه لا وجود لأي اجماع في النظرة الى الارهاب • ولا يتفق الجميع على كلمات واحدة في وصف الارهاب ، مما تركنا في مواجهة تساؤلات تفوق قدرتنا على الرد عليها •

وأحد مظاهر الاهتمام لدى عامة الناس والقطاعات التجـــارية على السواء هو وجود مؤسسات تصرف بسخاء ممــا دفع الى الظن بأن المنشآت الهائلة التي ظهرت على جانبي الأطلسي قد شيدت لدراسة الارهاب • غير أننا مازلنا نتعرض للتشوش من أثر المظهر العاطفي للعنف الارهابي ، وبكل ما يقال لتبريره عندما تقع احدى هذه الحوادث في مجتمـع حـر ديمقراطي ، وتعكف بعض المؤسسات الجديدة على تجميع الاحصاءات في مجلدات وتحليلها ونشرها ، وان كانت تبدو قليلة الجدوى ، ولا تزيد فائدتها عن فائدة معلومات مرئية منسقة قد تفيد البحث • فهناك احصاءات ميسورة للجميع تبين أن من بين ٤٥ من حوادث الاختطاف انتهى ٢٨ منها بموت الرهائن ، ولا تعرفنا مثل هذه المعلومة الكثير عما سيجري في

حادث الاختطاف السادس والأربعين (التالى) · ومع هذا فان الاحصاء الذى بين أن الارهابيين فى ٩٠٪ من الحالات قد تمكنوا من الهروب ودون تعرض للموت فى احداث الاختطاف ، قد أثبت بوضوح أن حادث الاختطاف التالى ليس ببعيد ، ولن يتأخر وقوعه بأى حال ·

★★★

٣ ـ ميدان معركة الارهاب

قوام الارهاب فرق صغيرة العدد عوضا عن التنظيمات الضخمة المدعمة تدعيما شعبيا قويا ، ونحن نساق الى الاعتقاد بأن الارهاب سلاح الضعفاء ، وان كان هذا القول لا يريح كثيرا ضحايا أى اعتداء . والارهاب عبارة عن عملية قتل منظم مع سبق الاصرار ، وقد يحدث عاهات ، ويهدد الأبرياء ، ويرمى الى اشاعة الخوف لأغراض سياسية . ولم يعد الارهاب هذه الأيام مجرد تهديد منعزل ، أو ظاهرة مصاحبة للمتشددين المحليين . فقد ازداد دوره كاستراتيجية دولية مستحدثة يلجأ اليها أعداء الحرية والعالم الغربى ، والحق أنه لم يعد هناك غير بقاع قليلة للغاية بمقدور الفرد أن يسافر اليها يمأمن من تهديد الارهابيين . وهناك بقاع أخرى يتعرض فيها الزائر لسلسلة أخرى من المشكلات ، أى تلك المرتبطة بالأنظمة الارهابية . ففى ١٩٨٣ فقدت الولايات المتحدة من أثر الارهاب الدولى عددا من الأرواح يفوق عدد من ماتوا فى السنوات السابقة مجتمعة . واذا حللنا احصاءات ١٩٨٤ سنرى أن أربعة آلاف قد قتلوا ، وأكثر من أربعة آلاف آخرين قد جرحوا من قبل جماعات ارهابية ، من المعروف أنها تعمل فى شتى الأنحاء ، ولكن نشاطها يتركز أساسا فى عشرين دولة .

والقنابل هى السلاح المستخدم فى معظم حوادث الارهاب . وليس من العسير تقدير سر استحسان هذا السلاح . فالقنبلة سهلة الصنع ، وسهلة الاخفاء . وباستثناء حالة أو حالتين ، فاننا نرى أن الارهابيين ليست لديهم رغبة فى الموت ، وتتمتع القنبلة بميزة واضحة ، لأنها لا تتطلب حضور صاحبها عند انفجارها ، وعلى الرغم من كل هذا فان

للقنبلة عيبين · فالقنابل المصـــنوعة بالبيوت (البيتى) غير مضمونة ، ولا يستطـاع التكهن بمصيرها ، حتى اذا قـام خبراء بصنعهـا ، وليس الكثيرون من الارهابيين كذلك ، وأكبر جماعة تالية من ضحايا القنابل هم الارهابيون أنفسهم ، أى ما تسميهم قوات الأمن ـ وهى تشعر بالغبطة ـ بأنهم أهداف أنفسهم ·

ويدعى بعض الأشخاص فى مكالمات تليفونية أنهم المسئولون عن القاء القنابل ، وكثيرا ما يزعم أكثر من واحد مسئوليته عن الحادثة الواحدة · ومعنى هذا هو صعوبة تحديد الأفراد الذين اشتركوا فى هذه العملية · وتعد هذه الصعوبة فى صالح الارهـــابى ، وان كان المحرضـــون كثيرا ما ينسبون الفضل لأنفسهم · وفى الحالات التى تطول فيها ديمومـــة العملية الارهابية ـ كما يحدث فى ايرلاندة الشمالية ـ يتم الاتفاق على مجموعة معقدة من البنود بين الارهابين وقـــوات الأمن ، والاتصالات بين القوى المتصارعة ضرورية ، وبخاصة فى حالة الانذار التليفونى ، عندما يكون من صالح الارهابى وقوى الأمن عدم تعريض الأشخاص للخطر ، فليس من صالح قضية الطرف الأول (الارهابيين) مقتل عدد كبير من مواطنيهم · ونكرر هذا الوضع عدة مرات · فالغرض من مثـــل هذه العمليات هو الاقلاق والازعاج ، ولا يلزم أن تكون غايتها هى القتـــل واحداث الاصابات ·

وبعد أن ازداد عدد جماعات الارهاب التى تشن جربا على مـا يكاد يقارب ثلث الدول التى يتألف منها عالمنا ، لم يعد من اليسير تعرف قوات الأمن على المسئولين عن أية حادثة · ومن ناحية ، يكمن حل مشكلة الحرب الارهابية فى توافر المعلومات الفعالة ، لأن هذه الوسيلة وحدها هى الكفيلة بمناهضة التهديد · وكلما ازداد ما هو معروف عن الارهاب والتنظيمات الارهابية ، ازدادت سهولة تحديد موضع التهديد ومعالجة المشكلة ·

بطبيعة الحال ، هناك بعض لا يبالون كثيرا بالمعرفة ، ويفضلون وضع مسألة تأمين حياتهم بين يدى الأقدار العمياء · غير أن أغلب رجال الأعمال وأولئك الذين تتطلب مشاغلهم الأسفار سيكونون أفضل استعدادا لمواجهة هذا الخطر اذا فهموا شيئا عن طبيعة التهديد · فنحن نواجه ١٢٥ جماعة تعمل فى ٥٠ بلدا أو يزيد ، ولكن هل هناك طريقة تساعدنا على التفرقة بين الارهابيين وبين ميادين معاركهم ؟ وأبسط طريقة للتفرقة هى تقسيم الارهابيين الى ارهابيين يمينيين وارهابيين يساريين فى ميـــدان السياسة ، ولا يخفى أن لليسار تقليدا طويلا فى تاريخ الارهاب · وكبار

رجال الأعمال من ناحية ما يملكون ومن ناحية أشخاصهم أهداف مستحبة للقنابل المراد القاءها ، وللتهديدات بالابتزاز وعمليــات الاغتيــال ، خصوصا عندما يتذرع خصومهم بالدافع القومي ، واليمين يعمد الى اختيار أهدافه من بين الناس ذوى التنظيمات المتعاطفة مع اليســار ، وان كان هذا لا يثبت أن المؤسسات الكبرى في مأمن من التهديد ، وكثيرا ما يركز القوميون المتهوسون نشاطهم على المؤسسات الأجنبية الضخمة التى يصفونها بالاستغلالية • وربما رجع ذلك الى أن هذه المؤسسات تدعم ـ وان كان هذا في الخفاء ـ الحكومة ذات السلطة ، التى يكونون معارضين لها في المقام الأول •

وقد يكون لاتباع هذه القسمة مبرر في أوربا ، وان كان الأمــر ليس كذلك في الشرق الأوسط وما وراءه • فقد يكون ارتباطها هنــاك واهيا • وقد تتبع الجماعات الارهابية بين الفلسطينيين أو في جنــوب أفريقيا لغة الاشتراكية ورسالتها ، وان كان هذا الى حد كبير من باب البلاغة ، لأن غرضهم الأول قومي ، وهكذا فليس هناك ما يحول دون تقبل الجماعات الارهابية العون من موسكو أو من الغرب • فكلا المعسكرين يحصل على مقابل للثمن الذى دفعه •

وهناك فارق واضح يمكن أن يقام اذا اعتمــدنا في تصنيفنا على الأيديولوجية على نحو مختلف • فهناك تنظيمات مثل جماعة الجيش الأحمر "RAF" وجمــاعة « بادر ماينهــوف » في ألمانيــا الغربية « والالوية الحمراء » في ايطاليا وجماعة "Weathermen" في الولايات المتحدة وهي تمثل نخبة معتزلة انحدرت من أيديولوجيات الجناح اليســارى ، وتعصبت لها ، وتعارض الدولة معارضة فكرية • وتختار جميــع هذه الجماعات ـ تمشيا مع التقاليد اليسارية الصحيحة ـ أهدافهــا من بين المؤسسات الكبرى من الرموز البارزة للرأسمالية الغربية ، وفى مقابل ذلك ، يشار الى جمعية الباسك (ايتا) وجماعة F.L.Q. في كويبك في كندا والجيش الجمهورى الايرلاندى والجمعيات المشتقة منه ، بالاضافة الى التنظيمات الفلسطينية المتعددة على أنها « جماعات ارهابية قائمة على رباط الدم » • فهذه الجمعيات لها نزعة قومية أساسا ، وليس بمقدورها الاستمرار في البقاء بغير تأييد بنى وطنها • وتحصل على هذا التأييد بحكم ظروف سياسية سائدة ، عندما يتجه المواطنون العاديون ـ الذين لا يتصفون في أحوالهم الطبيعية العادية بالميل الى العنف ـ الى الاعتقاد بأن المعارضة العنيفة للدولة هي التى ستحقق ما يصبون اليه ، فالفلسطينيون مشبعون تشبعا عميقا بالاحساس بتاريخ ما أصابهم من ضيم ومتأثرون ـ في أغلب الظن ـ

تأثرا دينيا قويا ، ومن ثم فانهم سيواصلون مؤازرة المشتغلين بالعنف . وفي حالة ايرلاندة ، وبغض النظر عما سيتخذ من اجراءات للأمن ، ولم تتبق أية وسائل لم تتبع ، فانها جميعا ستخفق ما لم تعالج مشكلتها من جذورها .

ويعد الارهابيون الفلسطينيون وأتباع حركة ايتا و « الجيش الجمهوري الايرلاندى » انعكاسا لظروف سياسية ، وليسوا مظهرا مستقلا للعنف اللاعقلاني ، كما هو الحال فى الألوية الحمراء ، فأهدافهم - على ما يبدو - تتركز على أولئك الذين يناصرون «قوى الاحتلال» ، في زعمهم . ولما كانت هاتان الكلمتان لم تحددا تحديدا دقيقا البتة ، لذا يصبح اعتبارهم موضع تهديد للجميع ، وقد تزايد الربط بين مثل هذه الافعال العشوائية المهوشة وبين أفعال جمعية « الجهاد الاسلامى » - وهو الاسم الذى يطلقه على أنفسهم أولئك المسئولون عن الاعتداءات الفظيعة التى وقعت لقوى حفظ السلام الأمريكية والفرنسية ، واختطاف المركب الايطالى « أكيلى لاورو » ، وعدد وفير من عمليات اختطاف الطائرات ، ومازال الخبراء دون اتفاق على تحديد الهوية الدقيقة لهذه التنظيمات الهلامية . وتعني كلمتا « الجهاد الاسلامى » الحرب المقدسة من أجل الاسلام . وقد يميل بعض الى الاعتقاد بأنها تضم بعض الجمعيات شبه المستقلة ، التى وهبت نفسها جميعا للدعوى لقضية الأصوليين المناضلين من الشيعة . وتأسر أعمال الارهاب الدولية للفلسطينيين ومختلف الجمعيات الاسلامية والأخرى الانتباه ، وتحتل العناوين الرئيسية في الصحف ، مما أدى الى سهولة نسيان الارهابيين المحليين أو الوطنيين ، وبخاصة فى غرب أوربا وأمريكا اللاتينية . وتشهد احصاءات السنوات الأخيرة بشدة فاعلية هذه الحركات . فلقد أسقط الأرمن احدى الحكومات فى تركيا . أما « الباسك » ايتا فانها نجحت في زعزعة أركان حكومة أخرى فى أسبانيا . وتمكنت تهديدات الارهابيين فى ايطاليا وايرلاندة الشمالية ابان السبعينات من تمزيق الحكومات فى هذه البلدان .

فمنذ ۱۹۷۷ ، كانت التنظيمات الارهابية الوطنية مسئولة عن موت خمسة آلاف شخص فى أوربا الغربية ، ونجحت فى تعكير صفو العلاقات وافسادها بين دول كان المفروض أن تكون بينهما صداقات وتحالفات وطيدة ، وتعد المسألة الايرلاندية من مصادر التوتر المتبادل بين لندن وواشنطن، وأضعفت العلاقة بينهما وبين الايرلانديين ؛ وثمة نزاع بين فرنسا

وأسبانيا حول الباسك • وفى جميع هذه الحالات ، نجح الارهاب فى تحطيم وشائج القربى بين الدول الأوربية المتحالفة التى تسعى للوحدة ، وربط نفسها بالولايات المتحدة فى كيان مشترك ضد تهديد السوفييت وحلف وارسو •

وفى سنوات أقرب عهدا ، بزغت صورة جديدة من التهديد الوطنى الذى نكبت به مدن العالم الغربى • ويشار اليه عادة « بالارهاب الرقيق»(*) وقد سمى كذلك لأن أصوات الاحتجاج فى المجتمعات الديموقراطية قد اتجهت نحو حماية الحيوانات ، وبخاصة تلك المستعملة فى التجارب العلمية • ووجهت « حركات تحرير الحيوان » (**) سهامها الى شركات صناعة الأدوية والمعامل الطبية ومصانع الحلوى وأدوات التجميل ، وألقيت القنابل على التجهيزات والمعدات ، وأطلق سراح الحيوانات ، وفى بعض حالات اعتدى على علماء مرموقين ، واتخذ المجرمون سلاحا حديثا للابتزاز هو الزعم بوجود أشياء تهدد بتلوث البيئة • فاذا أضفنا الى ذلك جمعيات « العمل المباشر » (***) ، التى تتبعها حركات الحفاظ على حقوق الحيوانات ، سنرى مدى ما تحدثه هذه الأفعال من تأثير ضار بالصناعة •

ويعد النشاط الارهابى الوطنى فى أوربا الغربية تهديدا فعليا أو سياسيا فى معظم البلدان • وتحتل أسبانيا وايطاليا وتركيا وفرنسا وايرلاندة الشمالية الخط الأمامى ، لأن الارهابيين قد نجحوا فى هذه البلدان فى احداث خسائر ودمار ملحوظين ، مما أدى الى استفزاز الحكومات ، وارغامها على حماية القانون والنظام بنشر قواها المسلحة التى لم تعد قادرة على مواجهة تصاعد برامج هذه الجمعيات ، وفى ألمانيا الغربية وبلجيكا والبرتغال واليونان مازال التهديد الارهابى محدودا ، وان كان له خطورته • أما البلدان الأخرى مثل البلدان الواطئة ، فانها تمر بتجربة ارهابية خانقة • تتصاعد تصاعدا متشنجا ، كما حدث مثلا فى حالة متطرفى جزيرة « ملوكى » (احدى جزر الهند الشرقية) الذين احتلت أسماؤهم العناوين الرئيسية فى الصحف بين ١٩٧٥ و ١٩٧٨ • وخفت بدرجة كبيرة حدة تهديد الارهاب الذى ابتليت به ايطاليا وألمانيا الغربية من قبل جماعة « بادر ــ ماينهوف » والألوية الحمراء فى أواخر السبعينات بعد جهود مضنية قامت بها الحكومة وقوى الأمن •

---

* Soft Terrorism.

** Animal Liberation Movements.

*** action direct.

واستطاعت أوربا لفترة قصيرة ـ على أى حال ـ أن تنعم بالهـــدوء ، وشعرت المخابرات وقوى الأمن بالزهو لنجاحها ، ولكن سرعان ما تصاعدت موجة جديدة من الارهاب اجتاحت المنطقة وفوجىء بها الجميع ٠

والظاهر أن تحالفا بوسعنا تسميته « باخوان الارهاب » قد حل محل التهديد المنقسم على نفسه الذى فرضته فيما سبق الجماعات المنفصلة ، التى قصرت نشاطها الى حد بعيد على الأهداف القائمة داخل حدودها ٠ ان شعار هذا الشكل الجديد من الارهاب الدولى هو « العنف ابتغـــاء للتأثير » ٠ وتسعى الحركة لخلق الانطباع بأن الجماعات الارهابية قادرة على الضرب دون تعرض للقصاص ٠ وبهذه الطريقة تتحول الفرق الصغيرة التى عادة ما تتصف بالضعف الى تهديد مهول عندما تثبت عدم كفايـــة أية سلطة ووهن قدرتها ، اذا هى أرادت حماية مواطنيها من مثل هـــذه الاعتداءات ٠ وتتضمن أمثال هذه الأحداث الارهابية اغتيال الشخصيات الهامة أو احتجاز الرهائن من أصحاب الشخصيات البارزة كالوزراء ورؤساء مجالس الادارات وملوك الصناعة ٠ وتتم العملية باستعمال القنابل بعـــد اختيار الأهداف الأساسية كمقار الحكومة والمنشآت العسكرية والمواقـــع التجارية والصناعية ٠

والادلة شحيحة للغاية ، وان كان ما يتوافر من بيانات قد أثبت أن هذا الضرب الجديد من الارهاب ـ الذى أطلقت عليه منظمات الأمن فى ألمانيا الاتحادية اسم الجيل الثالث ـ قد تعلم من الأخطاء التى اقترفتهـا تلك الجماعات التى كان لها قصب السبق فى عالم القتل والقاء القنابل فى أوربا ، فأولادهم أفضل تنظيما ، ويعملون فى خلايا صغيرة آمنة يتعذر اختراقها بأى وسيلة ٠

وتتسبب العلاقة الهلامية بين النواة الاجرامية لأى تنظيم من التنظيمات التحتية والخلايا الأخرى التى قد تكون مرتبطة بأحداث التخريب فى محيط واسع ـ وتتخذ مظهرا بريئا فى نشاطها ـ فى خلق مشكلات جسيمـــة لوكالات المخابرات ، ولربما استغرق شهورا تتبع الصلات التى تربط بين هذه الخلايا ومحورها ، والتى ربما أميط اللثام عنها وساعد ذلك على كشف مهام التنظيمات الارهابية ، ومؤامراتها وخدعها ٠ وقد تصل هذه الشهـــور الى سنوات ٠

ويتبع تيار « الجيل الثالث » تنظيما خلويـــا (نسبـــة الى خليـــة) مصمما بحيث يربك أبرع تقنيات المخابرات ٠ فبمقدوره التحكم والتنسيق

اعتمادا على تكوين صارم محكم مكتف بذاته . وقد ساعد ذلك على انجاز أتباعه لمهمتهم ، وهم يشعرون بالاطمئنان الى الافلات من العقوبة فى الأنظمة الديموقراطية التى تحرص على احترام حرية الفرد ، ويخضع فيها كل شيء للقانون . اذ تخضع للقانون سلطات المخابرات وأجهزة الأمن ، وقدراتها على التدخل بطريقة سرية وتحتية لتتبع الجمعيات السرية . وهذا يفسر ـ من جانب ـ لماذا بدا سجل أجهزة الأمن ـ وبخاصة فى ألمانيا الغربية ـ قاتما للغاية . ففى يناير ١٩٨٥ ، اعترف علنا الدكتور هربرت هيلبرويك رئيس الجهاز المضاد للارهاب فى ألمانيا الغربية : « سأكون صريحا ، لسنا جميعا ، لا الشرطة ولا النيابة العامة ، ولا نحن فى موقف يساعدنا على التحكم فى الجيش الأحمر RAF » .

ان طبيعة « اخوان الارهاب » ذاتها هى التى تكمن عند جذور المشكلة . اذ يبدو أن خمس جمعيات ـ على أقل تقدير ـ قد ألفت تحالفا ، وفى يناير ١٩٨٥ ، أعلنت جماعة RAF وجماعة العمل المباشر AD أنهما قد كونتا فريقا لضرب أهداف حلف شمال الأطلسى « الناتو » وارتباطات القوات الفرنسية بهذا الحلف . وفى الوقت نفسه قام فورساس بوبولاريس فى ٢٥ ابريل بهجوم بالمورتار على الوحدة البحرية للناتو الراسية فى ميناء لشبونة .

وفى خلال شهر ، التقى رؤساء الشرطة وخبراء مقاومة الارهاب فى مبنى مجلس وزراء الجماعة الأوربية فى « بروكسل » ، وتركزت مهمتهم على استحداث نظرة مشتركة الى هذا الوباء الجديد المتمثل فى الارهاب الأوربى Euro-terrorism ، ولم يعد المخلصون من ألمانيا الغربية يقفون بمفردهم . اذ انتهى شركاؤهم الأوربيين الى الاجماع على القول بأنهم جميعا غير مجهزين لمعالجة المشكلة .

ولم يلق رؤساء الشرطة وأجهزة الأمن دائما المساعدة من رؤسائهم السياسيين . وكان جان مارك رويان وناتالى منينون من بين مؤسسى حركة « العمل المباشر » . وقبضت الشرطة الفرنسية عليهما فى سبتمبر ١٩٨٠ ، ولكن أفرج عنهما بعد ذلك بسنة بعد صدور عفو عام صدق عليه الرئيس ميتران بعد نجاحه فى الانتخابات . وأثار العفو العام سخط الشرطة الفرنسية آنئذ . ولقد أسف الرئيس الفرنسى والادارة الفرنسية فيما بعد على صدور هذا العفو ، وبمجرد الافراج عن منينون ورويان شرعا فى سلسلة من أعمال السطو على البنوك فى شتى أنحاء فرنسا بحجة اعادة تمويل جماعة « العمل المباشر » ، قبل هروبها الى بروكسل ، وهى

ملاذ أخر يتماثل في حرمته ! ولقد اختاروا بلجيكا لأنها كانت آنئذ ملاذا آمنا للارهابيين · ولقد بدا الشخص الارهابى فى نظر الحكومة البلجيكية البصيرة كشخص يعتدى على أهداف محلية · أما اذا هاجم أهدافا من بلاد أخرى فهو يعد محاربا حرا ، ومن ثم فبينما حاولت الحكومات الأوربية الأخرى حل المشكلة ، رفضت بروكسل « الانحشار » فيها ومنحت الحصانة من العقوبة لأى شخص ما دام يسلك سلوكا حميدا ، ومن هنا كانت لدى منينيون ورويان فرصة كبيرة للالتقاء فى بروكسل هما والجماعات الارهابية · وهناك ولد التحالف الجديد ·

وفى يونيو ١٩٨٤ ، سرقت كمية من المتفجرات البلاستيكية يزيد وزنها عن ثمانمائة كيلو جرام من أحد المواقع ببروكسل · واستخدمت لضرب أهداف فى ألمانيا وفرنسا وبلجيكا · وهناك أيضا اتفاق يرمى الى اتباع استراتيجية مشتركة ضد الأهداف الارهابية ، وتمولها مساعدات من التكتلات الأمريكية المشتركة فى ميدان الدفاع ، التى تحتل الصدارة بين الأهداف المراد اصابتها · وكانت شركات Honeywel, Man, Litton من الشركات المختصة بالتكنولوجيات العليا ، وتركز الانتباه عليها منذ وقت باكر فى عمليات القاء القنابل الجديدة ·

وجنت بلجيكا فى هذا المثل أيضا ثمرة سذاجة حكومتها ، اذ كان من بين أهم التطورات الشديدة الادهاش ظهور الخلايا الشيوعية المحاربة C.C.C. ذات المخططات الارهابية · وكان أول ما دمرت هو أهداف الناتو مثل خطوط أنابيب البترول ، وقواعد التموين · وفى وقت أحدث ، هاجمت « الخلايا الشيوعية المحاربة » شركات تيون ومان وهونيول فى بلجيكا · وعلى الرغم من اكتظاظ الأهداف المغرية فى بلجيكا اعتمادا على وجود قيادة الناتو بها وقيادتها العسكرية وجميع مكاتب البعثات الأوربية ، وهى جميعا تقيم فى مواقع حول العاصمة ، فان الشرطة لم تتوافر لها التسهيلات ولا الخبرة التى تساعدها على التعامل ومثل هذه الأحداث الطائشة ·

وافتقر الايطاليون أيضا الى الحصافة · فلقد عرفت أجهزة الأمن عندهم منذ وقت مبكر (١٩٨٠) بالروابط بين الأفراد الباقين على قيد الحياة من « الألوية الحمراء » وجماعة « العمل المباشر » الفرنسية وجناح « الجيش الأحمر الألمانى » · واشتركت روما فى معرفة هذه المعلومات هى والسلطات المسئولة فى باريس وبون · ولم تعر باريس وبون هذه المعلومات أى اهتمام باعتبارها صادرة من مصادر « مذعورة » · وفى وقت

متأخر (فبراير ١٩٨٥) ، ازدادت انتقادات الايطاليين للفرنسيين . اذ وجه وزير الدفاع الايطالى جوفانى سبادولينى لوما شديداً لفرنسا لأنها آوت ارهابيين ينتمون الى جملة أجناس ، ومن القادرين على توجيه ضرباتهم فى أى مكان فى أوربا ، على أن هذا الغضب كان يخفى وراءه شيئا من النفاق والخبث . ففى وقت مبكر يرجع الى السبعينات عقدت الحكومة الايطالية التى كانت قائمة فى ذلك العهد صفقة حساسة وسرية للغاية مع والارهابيين الفلسطينين . اذ وافق الفلسطينيون فى مقابل المعونة المالية والسماح باللجوء السياسى على عدم الاعتداء على أى أهداف فى ايطاليا أو طائرات شركة « آليتاليا » (الخطوط الجوية لايطالية) . والتزم الايطاليون بواجباتهم فى الصفقة ، أما الفلسطينيون فانهم لم يلتزموا بها . ثم تسربت أنباء هذا الاتفاق بحذافيرها ، مما أزعج الادارة الايطالية .

والارهابيون الأوربيون Euro terrorists تواقون لاثبات أن حركتهم لم تتعرض للهزيمة ، وربما كان هذا هو السبب الأساسى وراء أحداث القاء القنابل المتلاحقة . وليس هناك أى اثبات يوحى بأن حملتهم موجهة من موسكو ، وان تعذر انكار أن العمليات الارهابية تخدم الغايات السوفيتية المضادة للناتو ووحداته البحرية .

لقد حول الارهابيون الأوربيون أوربا الى أرض معركة ، وازداد عبث الفساد فيها من أثر الجماعات الدولية العديدة والخلايا السرية التى اختارت العمل هناك . ويتميز الارهاب الدولى بثلاث خصائص . وكشتى الصور الأخرى من صور الارهاب فانها تتجسم فى شكل فعل قد يكون عملية اغتيال أو اختطاف أو حرق أو اغتصاب . وهذه الأفعال اجرامية أساسا . وثانيا ـ يخضع الارهاب الدولى لدوافع سياسية . اذ تلجأ أية جماعة سياسية متطرفة بعد اقتناعها بعدالة قضيتها الى العنف ، ومن ثم فانها تشن اعتداءات يظهر فيها قتل الأبرياء بمظهر الغاية التى ترمى الى احداث صدمات ضاغطة . وأخيرا فان الارهابى لا يكتفى بالعمل داخل الحدود القومية ، ولكنه يتجاوزها ابتغاء جذب الانتباه لقضيته .

ويتبادر الفلسطينيون الى أذهاننا على الفور عند أى حديث عن الارهاب الدولى ، ولكن لماذا يختارون أوربا بالذات ؟ وفى الواقع ان أوربا تعد من الناحية اللوجستيكية منطقة مثالية لمثل هذه الحملات الارهابية . فلما كانوا غير قادرين على النفاذ داخل اسرائيل ـ وهذا هو الهدف الأول للفلسطينيين نظرا لكفاية الاجراءات المناهضة للارهاب ، وذقتها ، فانهم رأوا أن أوربا ـ من الناحية الجغرافية على أقل تقدير ـ هى الشىء التالى

للأفضل · فهناك جاليات فلسطينية كبيرة تعيش فى أوربا ، بمقدورهـا التزويد بالمساعدة وأماكن للاختباء · وأوربا مكثفة ومحكمة جغرافيا ، وفيها أفضل وسائل انتقال واتصالات سلكية ولاسلكية ، كما أن الحركة بين حدود دولها ، وبخاصة عن طريق البر غير معقدة نسبيا · وفيهـا وفرة من الأهداف الرمزية الجـذابة كالمؤسسات اليهـودية والأمريكية والشخصيات الهامة · وتتكاثر فيها المؤسسات التجارية والسفارات التى تسمح بمدى اختيار أوسع لانتقاء الهدف المرغوب · كما أن هذه الوفرة من المؤسسات تصعب عملية الحماية والدفاع ، وأخيرا ، وهذا هو أهم جميع العوامل فان العملية الدعائية أشد بريقا وكثافة فى غرب أوربا وتفوق أى مكان آخر فى أوربا ، باستثناء أجزاء معينة من الولايات المتحدة · فأوربا قادرة على تقـديم عروض فورية فى أجهـزة كالجرائد والمجلات والراديو والتليفزيون ، الذى يشغل المنطقة بوفرة ·

وفيما يتعلق بالارهابى الدولى ، فان الناحية الدعائية هى أهـم عامل تكتيكى يعمل له كل حساب ، وبمقدور أجزاء أخرى من العالم أن تقدم بعض هذه المميزات ، ولكن غرب أوربا قادرة على تقديم الشيء الكثير· وهذا هو السبب الذى زاد من مغنطيسيتها للارهاب الدولى ، وربما باستثناء لبنان ، فان المسئولين من رجال الأعمال الغربيين يشعرون بالخطر فى أوربا أكثر من شعورهم به فى أى مكان آخر · وبوسع الارهابى الدولى أن يرتكن الى عون تلك الأنظمة التى هى على استعداد للاساءة الى امتيازاتها الدبلوماسية بتقديم المساندة اللوجستيتة · اذ تعمـل بعض السفـارات الممثلة لأنظمة خارجة عن القانون كليبيا واليمن الجنوبية وايران وكوبـا كممول لمثل هذه الجماعات الارهابية · ولقد شاهدت أوربا أيضا أكثـر من نصيبها من العمليات الارهابية التى تدار بمعرفة بعض الدول ، فلقد حدثت محاولة لاغتيال قداسة البابا ، وقد غولى فى الدعاية لها ، ورغم مـا أحاطهـا من تشوش ، فان هناك أفعالا قامت بها بلغاريا والاتحـاد السوفيتى مازلت تحتاج الى مزيد من الشرح ·

ولقد استخدمت ايران وسوريا وليبيا ــ بوجه خاص ــ هذا النوع من الارهاب الدولى لاسكـات المنشقين السياسيين المنفيين ، وتهديدهم ، ولخدمة احتياجاتهم السياسية الخارجية ، وليس لدى السوريين الا رغبـة واهنة لانشاء دولة فلسطينية ، ولا نفع لذلك لهم ، بالرغم من مساعدتهم لحركة التحرير الفلسطينية · ولدى دمشق طموحات لتحقيق فكرة سوريا الكبرى فى الشرق ، وتمثل تكاملا تشترك فيه لبنان وسـوريا والأردن وفلسطين ، أى كما كان الحال قبل ظهور اسرائيل والعراق والكويت

ويضيف بعض الملاحظين الى هذه الوحدة قبرص أيضا . وتعتمد سوريا على جماعتها الارهابية المفضلة (الحزب الاشتراكى القومى السورى) لتحقيق أغراضها . ويناصر الفكرة السورية الارهابى أبو نضال الأشهر من نار على علم ، وهو الذى أشرف على تنفيذ فكرة مذبحتى مطارى روما وفيينا فى ديسمبر ١٩٨١ ، وحادث آكيلى لاورو والكثير من الحوادث الأخرى . وهكذا يجتذب تواجد الارهابيين فى أوربا والسفارات المتعاطفة عليهم وكالات المخابرات ويدفعها الى اتخاذ الاجراءات المضادة للارهاب . ولقد نشط الاسرائيليون بوجه خاص فشنوا حربا انتقامية ضد الفلسطينيين ، وان كان هذا قد حدث فى الشوارع المزدحمة والطرقات العامة فى عواصم أوربا .

وتستخدم بعض الدول الارهاب كأسلوب من أساليب السياسة الخارجية لمواجهة أية قوة معادية ، ولقد خلقت حرب الخليج حربا ارهابية بين ايران والعراق . اذ كانت الشركات الأوربية التى تورد السلاح للعراق هدفا لهجمات الارهابيين الايرانيين . وواصلت ايران مشاجراتها والولايات المتحدة بالقاء القنابل على العقارات والمنشآت الأمريكية فى أوربا . وهكذا غدا الارهاب تقنية مناسبة للحرب عند الضعفاء . فلا يخفى أن ليبيا ليست متكافئة والولايات المتحدة ، وليس بمقدورها أن تتحدى القوة المتفوقة للولايات المتحدة فى أية حرب تدار بطريقة تقليدية .

ويظهر الارهاب فى أشكال وأحجام متعددة ، وبالاستطاعة العثور عليه فى أى موضع من العالم . فالعنف الثورى فى الشرق الأوسط ـ سواء أكان فلسطينيا أو اسلاميا أو يرمى الى خلق الجامعة العربية ـ يلجأ روتينيا الى الارهاب كامتداد للحرب باستعمال وسائل أخرى ، فاللجوء الى الارهاب ظاهرة تظهر فى كل مكان ، كما تشهد بذلك على سبيل المثال حالة الصراع اللبنانى (التى بلغ عمرها الآن ١٢ سنة (١٩٨٧)) . ويسود الارهاب بوجه خاص فى الديموقراطيات الليبرالية حيث يستغل الارهابى على نحو حقير للغاية المميزات ذاتها التى تتميز بها الدولة التى يسعى لتدميرها . ويفلح الارهاب فى الأنظمة الديكتاتورية الضعيفة أو الأنظمة الشمولية عديمة الكفاية . وفى الوقت الذى كتب فيه هذا الكتاب ، ذكر أن الرئيس بينوشيه (رئيس شيلى) محاصر من قبل الارهابيين الوطنيين المعارضين لنظامه الصارم الذى يفتقر الى الأهلية والكفاءة ، ولا يحدث الارهاب فى الأنظمة الشمولية ذات الكفاية مثل الاتحاد السوفيتى والكثير من بلدان المعسكر الشرقى ، ولا يعنى هذا عدم تعرض الروس لهجمات الارهاب ، فاذا راعينا ما تضمه روسيا من خليط غير موفق

من القوميات والأعراق ، فانه لن يكون من المستبعد حدوث قلاقل فيها تستثير العنف السياسى ، على أن موسكو تتحكم فى أجهزة الاعلام وتتحكم بكل دقة فى البيانات والأخبار الداخلية التى يسمح بتصديرها للخارج . ومن هنا تبدو مثل هذه الأحداث وكأنها لا تحدث هناك على الاطلاق .

وتعمل الجماعات الوطنية والبينية (التى تنتقل من دولة لأخرى) فى نطاق شبكة من الاتفاقات والتفاهمات (التى تربط بين الجماعات برباط وثيق) وتساعد على تقديم العون فى مثل هذه العمليات . وربما ما كان أعظم من ذلك شرا هو الدلائل التى تثبت حدوث اتفاقات بين جماعات الارهابيين والمشتغلين بالجريمة لتيسير قيام العمليات الارهابية . وتجرى مثل هذه العمليات المشتركة بخاصة فى أحداث الابتزاز والسطو على البنوك . وفى السنوات الأخيرة ، حدث ما يقرب من ثلاثة أرباع الأعمال الارهابية فى أوربا الغربية والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية . ومن بين هذه الأحداث ، تعد أوربا الغربية هى أنشط بيئة للارهاب ، ويرجع ذلك بكل بساطة الى جغرافيتها ومواجهتها الفريدة للنشاط الارهابى المخطط بحيث تشترك فيه جملة جماعات ارهابية ربما انتمت الى بقاع مختلفة .

★★★

ثانياً: التهديد

٤ ـ سيكلوجية الارهاب

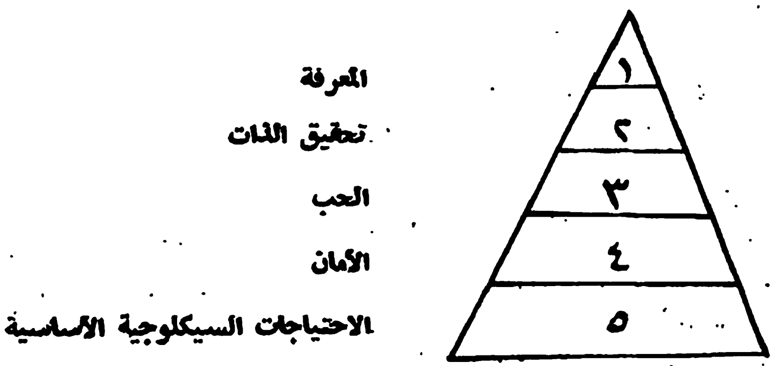
ليس الارهاب منتشرا ، ولكنه موجود بوفرة أكثر مما يعتقد . فالارهابيون يقتلون ويشوهون الآخرين ويعذبونهم . وقد يكون ضحاياهم أطفال احدى المدارس أو حتى المسافرين ، مثلما حدث فى روما وفيينا وكراتشى ، أو فى رحلات سياحية على آكيلى لاورو ، أو من أقطاب الصناعة ذوى الحيثية ، وهم فى طريقهم من دورهم الى مقر أعمالهم . فقد يكون ضحية الارهابى أى انسان . وعلى الرغم من أن رجل الأعمال ليست له هوية سياسية معينة تميزه ، الا أن هذا لن يحول دون اختطافه أو تشويهه أو تمزيقه اربا .

وفى المواقع التى يحدث فيها الارهاب فانه يعمد الى مهاجمة قواعد احتياجات الأمان والسلامة فى البلد . وما لم تشبع هذه الاحتياجات فان الشعب سيلقى نفسه يحيا فى حالة من الهلع الدائم من الارهابيين ، وفى حالة نفور وكراهية للسلطات العاجزة عن حمايته . فاذا لم يشعر الناس بالأمان ، فانهم لن يتمكنوا من النهوض بأنفسهم كأفراد ، ولن يحققوا ذاتيتهم وامكاناتها الحقة . وهناك مثال كلاسيكى حدث فى أعقاب الغارات الجوية الأمريكية على ليبيا . اذ خشى كثيرون من الأمريكيين الثأر اذا هم ذهبوا الى أوربا ، ومن ثم آثروا الغاء آجازاتهم : ولقد تنافى ما قاموا به مع العقل ، لأن تعرضهم لأى حادث ارهابى كان بعيدا بقدر كاف ، كما أن من قاموا باجراء جميع أنواع الاحصاءات الوهمية كانوا من المغرضين . ولكنهم آثروا الابتعاد ، وأدى هذا بدوره الى احداث شلل فى صناعة السياحة الأوربية ، وتهديد سبل العيش عند

الكثيرين . وعلى الرغم من أن العقيد القذافى لم يك قادرا على التكهن بالآثار التى ستحدثها تهديداته ، الا أن هذا الحادث كان درسا عمليا نافعا فى الحرب السيكلوجية .

واذا تركنا ردود فعل الصفوة جانبا ، سنرى أن الارهابيين لن يستطيعوا الاستمرار فى البقاء بغير تأييد من أهل البلد الذى يحدث فيه الارهاب . ويكتسب هذا التأييد لجملة أسباب ، ولكنه يعد - من ناحية - استجابة لمؤثرات سياسية واجتماعية معينة . ويذهب الناس العاديون الذين لا يعدون من بين المتعطشين للدماء على الاطلاق الى الاعتقاد بأن رسالة الارهابيين ترتكن الى الظن بأنه لا شىء يحمى مصالحها غير جانب من المعارضة العنيفة . ومن الأمثلة المؤيدة لذلك الاستقطاب السياسى الذى حدث فى جنوب لبنان وما تبعه من ظهور جماعة الجهاد الاسلامى على المسرح الدولى .

وترمى الحرب السيكلوجية أساسا الى التأثير فى « قلوب المواطنين وعقولهم » . واذا استعملنا رطانة السيكلوجيين فاننا سنقول أن هذه الحرب ترتبط بما يدور فى خلد الناس ، وترتبط بالمشاعر (وفيما يشعر به الناس) . وهذا يؤثر بدوره على سلوكهم ، وعلى فريق من المجتمع بالتبعية . ولنفحص هذه المسألة بشىء من التفصيل . ان الارهاب يهدف الى اضعاف الثقة التى يشعر بها المواطنون تجاه مقدرة الحكومة القائمة على توفير بيئة آمنة بمقدور الناس أن يحيوا فى ظلالها حياة هانئة دون خوف على أرواحهم أو سبل عيشهم . وهكذا ينصب الارهاب على الثقة . انه هجوم على معنويات المواطنين ، ويعمل فى مستوى انسانى أساسى ولقد صور عالم النفس ابراهام ماسلو فكرة مراتب الاحتياجات النفسية على النحو المبين فى الشكل الآتى :



شكل (١) مراتب الاحتياجات عند ماسلو

فما لم يتم اشباع الحاجات الأساسية المبينة فى قاع هـذه المراتب ، وبخاصة الأمان والسلامة ، سيتعذر على الانسان التطلع للقيـام بنشـاط أسمى مثل اكتساب المعرفة والحالة العظيمة الأهمية الخاصة بتحقيق الذات التى يشعر فيها الفرد بالتناغم هو وبيئته ، ويحقق فيها ممكناته كاملة ٠

وينزع علماء النفس تقليديا الى تصور انحصار الوظائف الانسانية فى ثلاث مهام : التفكير والشـعور والفعـل ٠ ويكمن جـانب الشر فى الارهاب فى كونه يؤثر فى نطاق « المشاعر » عند الفرد ، والحق أنه يستند الى تصور احداث الحد الأقصى من التأثير الشـعورى كالشـعور بالأسى والاشفاق على الضحايا والشعور بالغضب من السلطات لأنهـا تسمح للارهابيين بممارسة عملهم ٠ وبطبيعة الحال ، ان مفتاح احداث مثل هذا التأثير فى الشعور يجىء من القيمة التأثيرية لأجهزة الاعلام ، ونظرتها لمـا قام بـه الارهابى ٠

وفى الحرب السيكلوجية ، من المهم تحديد هوية الشعب المستهدف ٠ ولا يعنى هذا مجرد فهم طبيعته ومعتقداته وقيمه ٠٠٠ الخ ٠ وانما يعنى أكثر من ذلك معرفة مخاوفه ومسببـات قلقه ونقـاط ضعفه والمواطن الحساسـة والمعرضـة للخطـر من تكوينـه ٠ ومـا أخفق المسئولون فى تقديره — فى حالة جماعة الجهاد الاسـلامى على سبيل المثال — هو أن التطرف الأصـولى الاسـلامى لا يمثل أكثر من أقلية صغيرة فى معظم المجتمعات الاسلامية (وايران اسـتثناء فى هذا المقام) ، وأنهم يجندون لهذه المهمة ٠ والخوف هو أيضا مفتاح موقف الأصوليين من غير المسلمين ٠ فكلما ازداد ادراكهم للتهديد ازدادت تبعا لذلك شدة عدائهم ٠

وأيا كانت دوافع الارهابيين ، فانهم يختارون كهـدف لهـم فئـة بالذات يركزون عليها تهديدهم العنيف ٠ ويعتمد هـذا عادة على أسس جغرافية ، كالأفراد الموجودين فى مكان محصور (مسرح أو سوق أو متجر أو طائرة) ٠ وهؤلاء هم الضحايا من الدرجة الثانية ، أما الضحايا من الدرجـة الأولى ، يعنى المواطنين عن بكرة أبيهم ، فانهم يكونون هـدفا للتهديد من خلال التأثير عليهم بوساطة أجهزة الاعلام ٠ ويكمن جوهر تصور الارهابى لدور الخوف المحيط بالارهاب من اعتقاده أن لا أحد سـينجو مما سـيجرى ، وأن هذا الموقف شـبيه برقصات الموت عند البدائيين (رقصة المكابر) ٠ ففى صيف ١٩٨٥ ، قامت طائرة T.W.A. (طلعة ٨٧٤) بالتحليق بالمحتجزين فيها الذين لا حول لهم ولا قوة فوق البحر المتوسط بعد أن اختطفها اثنان من المتطرفين الشيعة ٠ وعاشت

الولايات المتحدة بعد ذلك سبعة عشر يوما تعانى من أبشع صنوف الاذلال حتى أطلق سراح آخر رهينة من هؤلاء الرهائن ·

ومن بين أهم الملامح الهامة عن ازدياد النشاط الارهابى فى السنوات الأخيرة الزيادة الحادة فى أحداث احتجاز الرهائن · وكثيرا ما يكون ترتيب ضحايا هذه الأحداث تنازليا على الوجه الآتى : مواطنو الولايات المتحدة ـ فرنسا ـ المملكة المتحدة ـ ألمانيا الغربية ـ ايطاليا ، ويمثلون جميعا أكثر من نصف هذه الأحداث · واليوم يحتجز الرهائن باتباع احدى السبل المتنوعة الآتية : اما أن يكون الرهينة شخصا واحدا ، كما يحدث فى أحداث الاختطاف ، أو تكون الرهينة مجموعة من الأفراد كما يحدث فى حوادث اختطاف الطائرات · غير أن جميع هذه الحالات تشترك فيما تتعرض له من المعاناة من أنواع شتى من المشكلات السيكلوجية ، ابتداء من التوتر الذى قد يؤدى الى حدوث نوبات قلبية الى حدوث حالات استهواء (أو غرام) بين المختطفين والمحتجزين بمضى المدة ·

وينقسم الرهائن أوليا الى ثلاث فئات · أولا ـ هناك الشخص ذو الحيثية الذى يصبح هدفا لجماعة ارهابية بالذات ، والذى يختطف اما من أجل الدعاية السياسية للقضية ، أو بقصد المطالبة بفدية كبرى (وربما للغرضين معا) · وفى بعض حالات ، قتل أمثال هؤلاء الضحايا فى المراحل الباكرة ذاتها ، ربما من قبيل الثأر ، أو للحصول على ميزة سياسية · وكثيرا ما يكون بقاء الضحية على قيد الحياة أثمن وأهم فى نظر الجماعة الارهابية ، وان كان الموت قد يظل هو الخاتمة المحتومة ، كما حدث فى حالة الزعيم الايطالى « ألدومورو » ، اذا رأى الارهابيون أن قتله سيحقق أغراضهم ·

والفئة الثانية من الضحايا هم أولئك الذين يقبض عليهم فى موقف مخطط ، ويحتجزون كرهائن ، لهم فائدة خاصة ، والمثل الكلاسيكى لذلك هو المسافر فى أية طائرة تتعرض للاختطاف ، الذى شاء سوء طالعه أن يوجد فى المكان الخاطىء وفى الوقت الخاطىء · ولا تزيد قيمة الضحية فى نظر الارهابيين حينئذ عن كونه أحد الآدميين الذين وقعوا فى قبضتهم ، أما هويته فلا أهمية لها · وعلى الرغم من ذلك ، فان الرهينة من هذا النوع معرض للخطر ، وقد تنتهى حياته نهاية مأسوية · ولقد قتل أحد الموظفين الأمريكيين بطريقة وحشية للغاية فى حادث اختطاف الطائرة T.W.A. فى بيروت ، ولكن ربما أمكن المحاجاة والقول بأن هذا الرجل كان من وحدة القوات الخاصة وله قيمة خاصة · غير أننا اذا رجعنا الى مثل آخر سنرى أن المستر « ليون كلينجهوفر » ليس له أية

قيمة خاصـــة · انه مجرد راكب على « آكيلى لاورو » قتله الارهابيون كوسيلة لاستعراض عضلاتهم ، كما يفترض · ولقـد أثبتت هذه الحادثة على وجه الدقة كيف تخفق مختلف الثقافات فى كثير من الأحيان فى تقدير كيف سينظر الآخرون الى مسالكهم ، وحدث هـذا فى صـورة وحشية للغاية ــ فلا يخفى أن أغلب الناس قد أدركوا أن « ليون كلينجهوفر » قد أختير للقتل بحكم كونه معوقا ، وليس لأنه يهودى ، ولقد بدا فى نظر الارهابى مجرد رجل يستعمل كرسيا للمقعدين ومن العجائز الذين لا يرجى منهم أى نفع ، غير أن كونه معوقا هو الذى أثار غضب المجتمعات الغربية · وقد أضفى ذلك على جريمة القتل مظهرا آخر جعلها تبدو عملا وحشيا فظا ·

والفئة الثالثة للأحداث يختار فيها الضحية باعتباره فريسة نافعة ومربحة ، ولا تتبع موقفا مخططا عاما · وتنزع هـذه الحالة الى الاقتران بالأنشطة الاجرامية أكثر من ارتباطها بالأنشطة الارهابية ، عندما تكتشف حادثة سرقة مصاحبة لها · وفى الحق أن هذه الناحية تقع خارج نطاق كتابنا ، وأن كان من المهم أن نشير الى أنه لما كانت التكنولوجيا قد ساعدت على سرعة استجابة قوات الشرطة ، لذا لا يستبعد مصادفتنا ازديادا فى اقتران أحداث الرهائن بالجرائم ·

وعندما يحتجز الرهائن فانهم يوضـــعون فى موقف مثير للتوتر وشديد الأذى وعظيم التعرض للخطورة · وفى الوقت نفسه ، فان احتجاز الرهائن من المواقف الشديدة التوتر التى تضنى قدرات وموارد حتى أكثر الحكومات براعة واقتدارا ، ويستجيب الآدميون لمثل هذه التجارب المضنية استجابة يمكن حصرها فى أطوار متعاقبة ، وتعتمد حالة استجابة الضحية على طبيعة الحادثة ، وهل هى حادثة القاء قنابل ، أم اختطـــاف طائرة ، أم محاولة اختطاف شخص ما ؟ وهكذا ، على أن الأفراد أصحاب الدراية بأوجه الاستجابة يكونون أقدر بلا ريب على مواجهة الموقف بحكم قدرتهم على النظر الى هذه التجربة نظرة عقلانية ، وبذلك يحتفظون برباطة جأشهم ، بدلا من الاستسلام وترك التجربة تسحقهم ·

وقد اقتدت معظم دراسات تجربة الضحايا بنظرية ما يحدث فى حالات الاغتصاب ، اذ يتماثل فى كثير من النواحى حادث القنبـلة هو وحادث الاغتصاب · ففى البداية ، يتعرض الضحية على حين غرة للعنف ، غير أن هذه الحالة لا تستمر عادة أكثر من فترة وجيزة · وترتبط أغلب ردود فعل الضحية بكيفيـة مواجهة ما سيجىء فيمـا بعد · أما حالات

اختطاف الطائرات أو الحصار ، واختطاف الأشخاص • فانها على نقيض ذلك من المواقف الممتدة التى قد تدوم أسابيع وشهور ، بل وسنوات . وفى هـــذا المقـــام يصح القول بأن هناك جانبـــا مشتركا بين الرهائن والسجناء ، ســـواء أكانوا من المجرمين أو من أسرى الحرب ، باستثناء أوحد وهو أن الاحتجاز كرهينة يكون عادة أمرا غير متوقع البتة •

ولنتخيل نموذجا تعميميا لضحية من ضـــحايا حادث ارهابى طال أمده ، وسنعتمد كمثل لنا على ما حدث عند حصـــار الارهابيين لاحـــدى السفارات • وبدأ الحادث عندما أعلن الارهابيون عن شخصيتهم وذكروا أن هناك تغيرا سيطرأ على الأوضاع المعتادة • ويجىء رد الفعل الطبيعى لأولئك التعساء الذين شاء سوء طالعهم آن يكونوا داخل المبنى ـ كزوار أو موظفين ـ فقد أصبحوا الآن جميعاً من الرهائن ، يجىء فى شكل عدم تصـــديق أنفسهم البتة • وربا لها من فترة عصيبة ! • واذا استعرضنا مصطلحات علم النفس سنقول ان مشاعر من قاموا بعملية احتجاز الرهائن تكون فى هذه الآونة « مشدودة » فهم يشعرون بالفزع ، رغم سرعة افراز غددهم للأدرنالين ، ورغم شدة اضطرابهم • فهم أشبه بحيوانات حبست فى ركن من الأركان ، على استعداد للقتال حتى الموت ، وعلى استعداد لقتل من يتحدى سلطانهم وغايتهم •

ويساعد احتفاظ الرهائن بهدوء أعصابهم على عدم تعريضهم لخطر القضاء عليهم • ولربما عانى بعضهم من اصابات ربمـــا زادت من أثار الصدمة • والهروب عادة مستحيل ، اذا كان الارهابيون قادرين على احكام قبضتهم • وتتدخل بعض مؤثرات أخرى • اذ كثيرا ما يدرك الضحايا المواقيت بطريقة مختلفة وكأنهم فى حالة تخدير ، بعد أن أصبحوا بغتـــة عاجزين عن التحكم فى مصائرهم ، وكثيرا ما استعمل مصطلح idiocide للدلالة على حالات الشعور « بموت النفس » • واذا استعملنا عبارات مبسطة قلنا ان التضحية يشعر بأنه قد وقع فى قبضة من هو أضخم منه وأقوى وأفضل تسليحا ، وأنه قد ألحق به الآذى واعتدى عليه • فلقد اقتحم أحد الناس حياة هؤلاء الضحايا وأمسك بزمام مصـــائرهم • ويشـــعر الرهينة من أثر مثل هذا الاعتداء بأن قوته قد انهارت ولم تعد فى حالتها الطبيعية ، وأنه قد ازداد هلعا ، وكأنه قد طرح أرضا بعد ضربه بهراوة غليظة ، ويشعر بهبوط مكانته درجتين فيما يسميه علمـــاء الاجتماع بسلم التسيد (*) ويرجع الكثير مما فى هذا الطور من حالات انكار وعدم تصديق

★ dominance hierarchy.

الى ما يقوم به المخ من قمع طبيعى للمنبهات البيئية ، التى اذا لم تتم السيطرة عليها ، فانها قد تتسبب فى تعريض الفرد لحالة رد فعل توترى شديد ، انها شىء أشبه بالتخدير الطبيعى ، وتشبه من جملة وجوه المشاعر التى يشعر بها من أخطر بوفاة عزيز لديه ، ولولا وجود هذا العنصر المخدر ، لأصبح الموقف صعب الاحتمال ولا يطاق ·

وبعد هنيهة تستقر الأحوال بقدر ما تسمح به الظروف فى مثل هذه المواقف · ويسيطر الارهابيون على الوضع ، ويجرون اتصالات بالجهات المسئولة خارج الطائرة · ويميل الرهائن الى الاعتقاد بأنهم لن يتعرضوا للقتل ما داموا يطيعون محتجزيهم · ويصف بعض الخبراء هذا الطور بأنه حالة التحرر من الواقع · ففيه يحاول الشخص الابتعاد عن ادراك الواقع بشغل عقله بأشياء أخرى كعد الوحدات المكررة فى زخارف ورق الحائط ، على سبيل المثال · ولا تستمر هذه الحالة طويلا ، لأن الواقع سرعان ما يوقظ الضحية من سباته ، فيضطر الى تكييف نفسه واقعيا والموقف الحرج الذى وضع فيه · ويصحب هذه الحالة دائما شعور بالاحباط عندما يشعر الرهينة باليأس المطلق من الموقف ·

ويتوقف الكثير مما يجرى بعد ذلك على هل استطاع الرهينة التحقق من خاطفيه ، وهل أمكنه أن يتعاطف معهم ، أم أنه نفر منهم نفورا مطلقا ، وبذلك عزز هويته كطرف معتدى عليه · وفى الحالة الأولى يكون الرهينة قد اتبع الأعراض الشهيرة « بأعراض استكهلم » · ولقد كتب الكثير عن هذه الحالة ، وقد ظهر هذا المصطلح فى أعقاب حادث غارة على أحد البنوك فى السويد ١٩٧٣ · ولم يعرف أى شىء عن هذه الغارة الا بعد اندلاعها ، وهى فى مرحلة غليانها ، وأعقبها فرض حصار · وفى هذه الأثناء نمى الرهائن مشاعر تعاطف تجاه محتجزيهم ، لأنهم أثبتوا كرم أخلاقهم عندما سمحوا لهم بالاستمرار فى البقاء على قيد الحياة ، وشعروا فى الوقت نفسه ببغضهم للشرطة ، وبأنها عدوهم الحقيقى ·

ويتعين النظر بعين العناية الى هذا المثل الذى حدث فى استكهلم ، ككل الأعراض التعميمية والسيكلوجية التى تأسر خيال العوام ، ويصفها علماء النفس بأنها Survival Identification Syndromes

وهى لا تحدث فى جميع الأحوال · والظاهر أن درجة العزلة ومدة الاحتجاز وما يحدث من تفاعل بين الرهائن ومحتجزيهم ، من العوامل المؤثرة على مقدار نمو هذا العرض · وكثيرا ما ينمى الرهائن مشاعر موجبه تجاه محتجزيهم · وفى الوقت نفسه ، فكثيرا ما يشعر الرهائن بالنفور من الجهات

المسئولة عندما يزداد احساسهم بأنها قد تخلت عنهم · ويرجع جانب من المشكلة عند تقييم « عرض استكهلم » الى ما يفعله الرهائن لدى الافراج عنهم ، عندما ينكرون معاناتهم من أى آثار ، على الرغم من جميع الأعراض التى تظهر عليهم ·

على أنه فى حالة أخرى مطابقة لما حدث فى المثل الخاص « بأعراض استكهلم » نزع بعض الرهائن الذين احتجزوا فى حادث اختطاف طائرة T.W.A. فيما بعد الى المجاهرة بأن المحنة التى لا تنتهى التى يعانى منها لبنان انما ترجع الى الولايات المتحدة واسرائيل ، أكثر من ردها الى الارهاب فى أبغض صوره · وما دامت أفعال الارهابيين تتخذ مظهر الأفعال التى تتبع منطقا وهميا ، سيظل الارهاب يستغل الشعور بالتعاطف عند عامة الناس · ويتكاثر الارهاب من أثر النجاح ، ومن ثم فاذا بدا شيء من الاخلاص فى كلام الرهائن عن معتقداتهم الشخصية ، فان الأفضل فى مثل هذه الأحوال أن يلوذ المسئولون عن مناهضة الارهاب بالصمت ·

وكما ينمى الرهائن مشاعر تعاطفية تجاه محتجزيهم ، كذلك يجنح المحتجزون الى ادراك ازدياد اعتمادهم على أسراهم فى العون على عقد صفقة ، وباستمرار الاحتجاز ، يشعر الرهائن – فى الحق – بحالة نكوص الى ما يشبه الحالة الطفولية · ويشار اليها بمصطلح traumatic psychological infantilism ، أى أنهم أصبحوا يشعرون بالاعتماد على اناس آخرين مثلما يشعر الطفل بالحاجة الى أمه ، فيتجه بعضهم الى التشبه بسلوك الأطفال ، ويزداد طواعية وخضوعا ، ويحاول التقرب الى محتجزيه · وقد يتسبب مثل هذا النكوص فى حدوث جميع أنواع المشكلات · فقد تستثار مشاعر الانجذاب الجنسى ، كما حدث فى حالة استكهلم السالفة الذكر ، ولقد عرفت بعض حالات حاول فيها الرهائن تعويق محاولات الانقاذ ، واخفاء محتجزيهم من قوات التدخل · ورفض بعض آخر الشهادة فى المحاكمات التى أعقبت ذلك · ومن هنا نستخلص العلاقة التى تحدث بين حالات التوتر وتوطيد أواصر المحبة ، وفى الحالات المتطرفة ، ربما تعرض المحتجزون لتغيرات عنيفة فى اتجاهاتهم · فليس من المستبعد اخضاعهم لعمليات غسيل للمخ تدفعهم الى التعبير عن معتقدات جديدة وقيم جديدة ، ومن الأمثلة الكلاسيكية المؤيدة لذلك «باتى هيرست» ، التى انتهى الأمر بانضمامها الى جماعة ارهابية كانت قد خطفتها وقد أشركتها فى عملياتها اللاحقة ·

بطبيعة الحال ، تعتمد عملية قيام الرهائن باقامة علاقات مع محتجزيهم على ما يجرى خلال حادث الاحتجاز ، وعلى الأخص أثناء الطور

الهروبى • فمن يتعرضون من الرهائن لاساءة المعاملة لا ينمون أعراضا مثل « أعراض استكلهم » على نحو واضح مثلما يحدث فى حالة من أحسن المحتجزون معاملتهم • وبالمثل فان أولئك الرهائن الذين اضطروا للهروب نتيجة لحادث من أحداث العنف لا يحتمل أن يتعرضوا لمشاعر تعاطفيه •

وفى أعقاب حادث اختطاف شخص أو اختطاف طائرة تظهر دلائل قوية تدل على ما يتوقع أن يتعرض له الرهائن من مشكلات سيكلوجية عندما يعملون على التوافق والسلوك السوى،وبوجه خاص ، فانهم يتعرضون لبعض مشكلات النوم والنكوص الى الماضى flash back وقد يشعرون بأن هناك من يتعقبهم ، وأنهم قد فقدوا كل شعور بالأمان • وقد تقترب هذه الحالة أحيانا من حالات البارانويا • وهناك جملة برامج علاجية نفسية لعلاج الآثار اللاحقة للاحتجاز سنعود اليها فيما بعد فى هذا الكتاب ، ومن بين أهم مظاهر السلوك الارهابى ، انها تضع الناس فى أوضاع حافلة بالتوتر ، فحادث الاحتجاز والاختطاف من التجارب البالغة الضرر ، لأن الضحية يوضع فى الأسر ، ويظل موضع تهديد بالاعتداء عليه أو بالموت • وعند كثيرين وفى مواضع كثيرة من العالم شعور بالجزع من التهديد بالتعرض للمخاطر فيما يصادفون من أحداث يومية • فالتهديد بالتعرض لقنابل الارهابيين أو الوقوع فى كمائنهم ، والخوف الذى يحدثه رجال الأمن بلا تمييز ووحشية من المسائل التى يجب أن تواجه يوما بيوم ، ومن أهم تكتيكات الارهابى تقدير ما سيترتب على عمليته من توتر • ولعل هذه الناحية من أهم الأشياء التى ازداد استغلالها ببراعة واقتدار فى العهد الحديث •

ما هى فرص امكان الاستمرار فى البقاء على قيد الحياة بعد أى حادث احتجاز كرهينة ؟ فى تحليل حديث لاثنين وأربعين حادث اختطاف ، أطلق فيها سراح جميع الرهائن اتضح وجود أربعة عناصر حاسمة :

١ ـ سماح الارهابيين للدخلاء باعطاء بدائل للرهائن •

٢ ـ ارتضى الارهابيون التفاوض ووضعوا القليل من الشروط القصوى التى لا رجعة فيها •

٣ ـ كان القليل من الأحداث من المواقف التى تتطلب اقتحام مواقع محصنة •

٤ ـ لم يطالب الارهابيون باطلاق سراح السجناء •

٥ ـ عقلية الارهابى

منذ عام ١٩٨٤ ، عندما أعلنت جماعة الجهاد الاسلامى استباحة دماء الأمريكيين فى لبنان ، احتجزت هذه الجماعة أحد عشر رهينة • واختطف تيرى أندرسون ، وهو مراسل صحفى قديم فى الشرق الأوسط للأسوشيتيدبرس وعمره ٣٨ سنة فى ١٦ مارس ١٩٨٥ فى بيروت • ولقد أمضى الأسابيع الثلاثة الأولى من احتجازه ، وهو مقيد بالسلاسل فى سريره ، وكان مهددا بالموت لوتبس ببنت شفة • وظل هذا المحارب القديم الذى حارب فى فيتنام فى سلاح البحرية يعانى من تعذيب محتجزيه• ففى خلال هذه الحقبة ، كان يضرب ويركل ويسام كل صنوف العذاب •

أما فرانك راير فانه أستاذ هندسة فى الجامعة الأمريكية ببيروت • وعندما اختطف عصبت عيناه ، وقيد بالسلاسل فى حائط ، وأنذر بالتعرض للضرب لو تحرك أدنى حركة • واستمر معذبوه يراقبونه ساعة بعد أخرى ، وينهالون عليه بالضرب بلا شفقة أو رحمة لو خالف تعاليمهم • وعند تاليف هذا الكتاب ، ما زال هذان الرجلان الى جانب ثمانية آخرين وثلاثة فرنسيين يقاسون ويلات احتجازهم •

ويتصور الارهابى أنه شخص يحاول رفع الظلم عن الاجحاف الموهوم ، ويبرر سلوكه بالزعم بأنه يعمل فى خدمة غاية تستحق كل هذا العناء • فهو ليس أول من يتبع شعار « الغاية تبرر الوسيلة » ، ولكن ماذا يجرى فى كوامن عقلية الارهابى ؟ وما هى الأفكار التى بداخله ؟ وكيف يتسنى لاناس يبدون ودعاء وسويين ظاهريا اقتراف مثل هذه الأفعال السادية المريعة ؟ كى تفهم هذه الأسئلة ، علينا أن ننظر فى كيفية نمو الأحكام السوية فى تلافيف مخ الفرد •

يعتقد علماء النفس أن احساسنا الأخلاقى أو تصورنا للقيم الأخلاقية ينمو فى عملية مثلثة الأركان ، أولا - يفعل الفرد أشياء يعتقد هو أو تعتقد هى أنه أو أنها ستثاب عليها ، وهكذا يكون الطفل المسلك الذى امتدح من أجله ، ويميل الى التوقف عن مواصلة الأفعال التى تؤدى الى توقيع عقوبة ، وبخاصة اذا كانت العقوبة مناسبة للجريمة ، وكانت موجهة . ثانيا - فى المستوى الثانى للنمو الأخلاقى ، يقيم الفرد مقبولية أى تصرف عملى بالقياس باطار من القيم ، ويكون المقصود بذلك عادة هو القانون السائد . وهكذا لا يفسح الشخص السوى المجال - على التو - لانطلاق الدوافع الحيوانية ، ولكنه يفكر هل هى مقبولة فى نظر القانون ؟ أو أى معايير أخرى للسلوك . ان هذا يتضمن القبول المستتر ، أو الخضوع - على أقل تقدير - للقواعد والتعاليم السارية فى النظام الاجتماعى الذى يعيشون فيه ، حتى اذا اختلفت احتياجات المجتمعات اختلافا ملحوظا .

والمرحلة الثالثة والأخيرة للنمو الأخلاقى تتمثل فى موقف تبنى الشخص لاتباع اتجاه ما لأفعاله ، ليس بمراعاة صيغة خارجة كالقانون ، وانما بالرجوع الى احساسه الفردى بما هو صواب وما هو خطأ . هنا يمارس الشخص اختيارا حرا . وعندما يفعل ذلك ربما اضطر للخروج على القانون . وهذا مسلك نتبعه جميعا من آن لآخر عندما نقود سيارتنا بسرعة تفوق السرعة المسموح بها ، وعندما ننسى اعادة كتاب مستعار ، أو عندما نضع فى جيوبنا بعض الدبابيس والأوراق البيضاء التى تتبع « العهدة الحكومية » . وعندما نفعل ذلك فاننا نقيس مقبولية هذه الأفعال تبعا لصيغة تعريفنا للقيم . فى الوقت نفسه ، فاننا نبرر تصرفاتنا عقلانيا بالمطالبة باغتفارها اعتمادا على مجموعة من القيم الراسخة فى نفوسنا . ولسان حالنا يقول : « ان الحد الأقصى للسرعة اجراء غير ضرورى » . « ان القليل من الدبابيس ليس شيئا ذا بال » .. وهكذا . وبالمقدور النظر الى مسلك الفرد على ضوء ما لديه من قيم كامنة داخله تؤثر بدورها على الأسلوب الذى يتبعه أو تتبعه فى حل مشاكله أو مشاكلها ، على ضوء نظرته أو نظرتها الى العلاقة بالآخرين .

وهل يتشابه الارهابى معنا فى هذا الشأن ؟ وهل هو ينظر الى أفعاله بمنظور العقل ، حتى اذا كانت أكثرها وحشية ، ولسان حاله يقول « لقد فعلت ما فعلت من أجل القضية التى هى فوق كل اعتبار » . وهل يكفى أن نستبعد كلامه ونرفضه لأنه ظن أنه التخفى وراء راية سياسية ما يبرر اقدامه على القيام بمثل هذه الأفعال العنيفة ؟ ليست

هناك اجابات تجريبية على هذه الأسئلة · ولكن لعل الاجابة تكمن فى دوافع الشخص · وكثيرا ما تعقد المقارنات بين الارهابيين والمجرمين · فالارهابيون يلجأون الى الأفعال الاجرامية فى سبيل تحقيق أهدافهم المعلنة ، وكثيرا ما يلجأ المجرمون الى تكتيكات الارهاب من أجل الحصول على مغنم شخصى · والفجوة التى تفصل الحالتين هامة لأن القضية التى يعمل الارهابى من أجلها بمثابة كل شيء فى نظره · أما فى نظر المجرم ، فان الدافع هو الثروة والتربح ·

وكما رأينا ، فان الارهاب يتضمن مجموعتين من الضحايا · وهكذا يحدث العنف فى علاقة مثلثة · وفى مقابل ذلك ، ففى حالة الجريمة ليس هناك غير المجرم وضحيته فى عالمهما الثنائى ، وعادة يعمل المجرمون لحسابهم الخاص ، بينما يعمل الارهابى كعضو فى جماعة لها تأثير هام للغاية على الفرد ، وعلى تشكيل الأفعال الارهابية · ولقد وصف الارهابى بأنه ممثل يلعب دورا أمام النظارة فى « مسرح الرعب » فما يعنيه أو يعنيها هو الصورة التى يظهر أو تظهر بها أمام الناس · والحق أن حقيقة الانتماء الى الارهابيين ، وليس الأهداف السياسية المعلنة ، هو المحفز الأساسى لعمليته ، وفى مثل هذه الأحوال : « ينحط الارهابيون الى حالة « الأشخاص الموجهين » ــ كما يقول الخبراء بدلا من أن يقال عنهم « انهم يعملون من أجل هدف » وفى هذا القول تشريف لهم · ففى نظر هؤلاء الناس « يكون الانجاز » وليس « الاهتداء » هو الأهم ، وبخاصة عند أولئك المصابين بميول نفسية مرضية · وفى هذا المقام لابد من الاشارة الى أن دور أجهزة الاعلام قد اكتسب أهمية مستحدثة مرتبطة بطريقة تصويرهم أو كتابتهم عن الأحداث الارهابية · كما أن هذه الأجهزة قد أصبحت قادرة أيضا على التأثير فى الآخرين الذين قد يسعون لتحقيق أمجاد مماثلة عن طريق التقليد أو الاقتداء بالدور الذى قام به قدوتهم ·

هل هناك اختلاف فى مسلك الارهابى بين دور الرجل ودور المرأة ؟ ان الذكور يتبعون مسلك العنف كامتداد للمرحلة العدوانية الشبيهة بالاجرامية ، فى نموهم الطبيعى ، ويقال لنا انه من الامتدادات الطبيعية فى الظروف المتأثرة بضغوط البيئة أن يتجه الذكور الى انماء مسالكهم بالانتقال من حالات العنف البسيطة الى عمليات القتل على نطاق واسع · ولقد أدركت أنظمة التدريب العسكرى منذ أمد طويل هذه الحقيقة ، واستطاعت دول كثيرة الاستمرار طويلا فى البقاء اعتمادا على قدرتها على تحويل المواطنين الى محاربين أشداء عندما تدعو الحاجة الى ذلك · والأمر

مختلف فيما يتعلق بالاناث · فكى يتجهن الى العنف فانهن بحاجة الى الانحراف انحرافا حدا عن الأوضاع الطبيعية ، أكثر مما يحدث فى حالة الذكور · وهكذا يتطلب الأمر لكى تتحول المرأة الى ارهابية أن تكون قد تعرضت لتجربة أصابتها فى الصميم أكثر مما يحدث فى حالة الذكـــور الذين قد يتحقق نزوعهم للقتل تدريجيا أو شيئا فشيئا ·

ويحتمل أن تكون أكثر النظرات اثـارة للاهتمـــام التى تحدثت عن العقل الانسانى والوثيقة الارتباط بموقف الارهــابى قد جاءت ضــمن أســـاسيات سيكلوجية فرويد ، فلقد ذكر فرويد أن العقل يعمل فى مستويين : مستوى الوعى ، ويكون فيه الشخص على دراية بما يفعل ، ومستوى العقل الباطن · ومن الناحية العملية ، فان ما يتحكم فى مسالكنا هو ثلاثة أجزاء من العقل تتبادل التأثير · وهى جميعا تعمل فى نطاق الاطار الواعى واللاواعى أو الباطن · ورأى فرويد أن الجزء الأكثر حيوانية أو الجزء الأســاسى من العقل هو الهو (Id) ويختص احتياجاتنـا للغذاء والهواء والاشباع الجنسى وغير ذلك من الشهوات · انه يمثل الوحش الكامن داخلنا · ولقد سبق ادراكه على هذا الوجه منذ أمد بعيد ، وارتكن الى هذه الناحية فى الكثير من الدفاعات الناجحة عن الجرائم فى المحـاكم وأشهرهـا ما يســمى بـ crime passioné عند الفرنسيين أو الجريمة المؤسسة على الغيرة ·

وفى مستوى أسمى توجد « الأنا » ego ، التى تسعى لاشباع هذه الاحتياجات على نحو موائم معقول ، وتصوغ مخططات واقعية لانجازها أو تحقيقها · وأحيانا قد تتعرض للتشويه أو المسخ وتبتعد عن غايات مرحلتها ، وتجنح للعمل فى مناخ أخرى ، كما يحدث فى حالات العقلية الاجرامية ، وغير ذلك من المسالك المنحرفة · وثالث أركان العقل هو « الأنا العليا » super ego ، وتعد بمثابة نوع من الضمير الذى يراقب أفعال الركنين الآخرين · ويرى فرويد أن هذه المكونات الثلاثة للعقل تتصارع بعضها مع بعض ، وأن العقل يتميز بسعة حيلته مما يساعد على القيام بآليات دفاعية defence mechanisms تساعد على حل مثل هذه المشكلات عن طريـق النكوص والكبت والتســـامى · وربما لجأ الارهابى الى العقلانية لتبرير عمليات القتل أو القاء القنابل متذرعا بأن مثل هذه الأفعال ستخدم « القضية » · فهل تبيح لنا هذه الاعتبارات الزعم بأن الارهابيين اناس يسلكون نهجا خاصا من أثر انحراف عقولهم ؟ والحق أن النظـــرية الفرويدية لم تنس القـول بحـدوث اســاءات لأداء الوظيفة ، كأن تكون الأنا العليا قد أخفقت فى السيطرة على الأنا ·

على أن هناك أدلة كثيرة توحي بأن عقل الارهابى يعمل فى نطاق سيكلوجية أخلاقية تتمثل فى دلائل مختلفة عن العلامات الدالة على المرض الذهنى ، التى يستطاع تشخيصها باتباع الوسـائل العلاجية النفسية التقليدية • فالارهـابيون يتميزون بالذكاء واللياقة ، وعادة يكونـون مثقفين ، ومن أصحاب الدوافع السامية ، عندما يتعلق الأمر بانشغالهم من أجـل « القضية » • وما يفعلونه فى المراحل الباكرة من اجتماعاتهم الارهابية ـ على أقل تقدير ـ هو عرض وجهات نظر مخالفة للمألوف ، وليس مظاهر انغماس فى مسالك نفسية مرضية • وقلما اتجه الشخص الى الارهاب من تلقاء نفسه ، والأغلب هو أن يتحقق اجتذاب الفرد لأى جماعة ارهابية على مراحل • ولعله يبدأ يدور مساعد صغير على هامش العمليات الارهابية كالقيام بتوزيع المنشورات • ويحدث ـ فيما بعد ـ تقدم تدريجى كالقيام بعمل « المراسلة » فى مركز النشـاط الارهـابى وتصاعد العنف • وفى بعض الجماعات الارهابية ، وبخاصة فى حرب العصابات وحركات المحاربين الأحرار قد تكون البداية على شكل مراسم مصحوبة بتعاليم تلقينية عن عادات القبيلة الارهابية ، وما هو مطلوب من المرشحين الجدد • وفى حالات أخرى ، قد تكون البداية عن طريق اختبار لمعرفة مدى الاستعداد والقدرة على المبادرة والولاء • وقد يكلف المبتدىء بعمل اجرامى تترتب عليه خشيته من افتضاح أمره ، وقد يستعمل كسلاح ضده فى الوقت المناسب ، يصعب سبل تراجعه •

وكثيرا ما تعرض المرشح للانضمام الى الارهابيين للاستنكار على نحو ما من قبل المجتمع ، مما أدى الى شـعوره بالوحشة • ومن السـمات الطبيعية للبشر الشعور بالانتماء الى جماعة ، ومن ثم فان أى فرد منعزل يندفع الى الاغراب والى الاعتقاد بأنه فاشل ، ينجذب تلقائيا نحو أية جماعة ، لن تكتفى بقبوله ، ولكنها تزوده بالوسائل والسبل التى تساعده على ركل النظام الذى نبذه • وهذه لعبة معروفة ، وقد لجأ اليها الاتحاد السوفيتى فى وكالة مخابراته K.G.B لاجتذاب السكرتيرات العوانس فى الوزارات الحكومية أو رئاسات القوات المسلحة حيث يؤتمن على الحفاظ على الأسرار الحربية • ويلجأ اليها الارهابيون أيضـا. عندما ينشئون تنظيمات جبهوية فى الجامعات تجتذب أولئك الذين يراهم الحركيون المحنكون « كجرحى يسيرون على قدمين » ، فى السباق من أجل التفوق على الآخرين • فما الذى بمقدور عالم النفس أن يذكره لنا عن السمات الشخصية أو نوع العقلية التى يتصف بها الارهابى ؟ فهل هناك مظهـر شخصى للارهابى ؟ وما هو نوع شخصية من يقدم على اقتراف أعمال

فاحشة من العنف بلا استحياء ـ عينى عينك كما نقول بالعامية ـ أو يفعلها متخفيا ، دون أى شعور ظاهر بالذنب ؟

يبدو أنه لا وجود لسمات شخصية معيارية فى هذه الحالة ، وان كانت هناك أنماط معينة من الشخصيات من النوع المتطرف من أولئك الذين يجتذبهم السلوك الارهابى ، مثلما تجتذبهم أية أشكال أخرى من العنف • ولربما تضمن هذا النوع المصابين بالبارنويا من الحانقين والمرضى النفسانيين الذين يجرون وراء المنبهات والمثيرات وكذلك الأفراد المتقوقعين الذين يتركز اهتمامهم على ذاتهم ، ولا يعبأون بأى شيء غير أنفسهم ، ولا يبالون بكل ما يتعلق بمشاعر الآخرين • ولو أمكن التعميم فيما يخص طبيعة عنف الارهابيين فقد يبين أن الارهابيين هم أساسا اناس لديهم اضطراب فى المشاعر (مشاعرهم تجاه الآخرين بوجه خاص) ، وان كانوا يتميزون باقتدارهم فى مسائل المعرفة والنواحى العملية • وكثيرا ما يتوافر لهم الميل الى تجسيم المشكلات خارج أنفسهم ، واسقاط أوجه نقصهم على الآخرين • وعلى سبيل المثال ، قد يوجه الارهابى اللوم الى الحكومة لتشجيعها العنف ، بما تتخذه من اجراءات مضادة ، بينما يكون عنف الارهابيين هو المسئول الأول عن اقدام الحكومة على مثل هذه الردود العنيفة • ويتركز جانب من استراتيجيته على استفزاز السلطات المسئولة ودفعها الى المغالاة فى ردود فعلها ، ومن ثم فانه يعمل كمحلل لكى يكتسب أنصارا آخرين للقضية •

وليست هناك أنماط للارهابيين • انهم أفراد شواذ نوعا ، تجتذبهم جماعات تقبلهم وتكسبهم هوية خاصة ، وبذلك تكون هذه الجماعات هى التى أكسبت تأثيرها طابعا خاصا لمسلك الفرد ، وبخاصة فى حالة الارهابيين • والجماعة الارهابية تتصف بطابع الكتمان ومسلك المتخفى ، ومن هنا يتحقق لها التماسك بصفة دائمة أكثر من الجمعيات الأخرى • وتعمل هذه الجمعيات فى ظروف متوترة للغاية ، وما أسهل جنوح تفكيرها من ناحية الفرد والجماعة معا ـ الى الالتواء والفساد •

ويعتقد علماء النفس الذين درسوا علم النفس الجماعى أن الجماعة الارهابية من أثر خضوعها لمثل هذه الضغوط قد تشعر بأنها معرضة للخطر ، وقد تنغمس فى المخاطرة لتحقيق غاياتها • وهذا يصح بخاصة عن أولئك الارهابيين الذين استلهموا معتقداتهم من التعاليم الشيعية الأصولية المتطرفة • والخوف هو مفتاح اتجاهات الأصوليين نحو غير المسلمين ، الذين يشعرون بغربتهم الشاملة عنهم • وكلما ازداد التهديد الذى يتعرضون له ، اشتد عداؤهم ، وازداد مسلكهم وقاحة • ولم يأت

هؤلاء المتشددون بأية مستحدثات جديدة · اذ تبـــدو تكتيكاتهم ارتدادا الى أسلوب أبكر من الارهاب عرف منذ عشرين سنة عندما كان الهدف هو مجرد احداث أكبر قدر مستطاع من الخسائر ، ولفت أكبر قدر من انتباه أجهزة الاعلام ، وان كان استعدادهم لاستخدام العنف وتصميمهم على الفوز كثيرا ما يجعلهم محصنين ضد احتياطات الأمن التقليدية · فاذا عزز ذلك الالتزام الانتحاري للشيعة ، النابع من تقاليدهم ومعتقداتهم الأميل للرهبنة والاحتجاج ، فلا عجب اذا رأيناهم أكثر انقيادا للارهاب ، ومصدر تهديد وحشى ، انهم أبناء جيل الحرب الأهلية اللبنانية · وقد جندوا من عصابات شوارع بيروت وأزقتها ، وليس عندهم سوى القليل لفقده · انهم رجال ونساء على استعداد للموت · وهذه الميزة تمثل مصدر قوة المتعصب · فالعالم ضدهم ، وكل ما يسعون اليه هو الشهادة واثبات جدارتهم دخول الجنة فى مشاهد احتفالية دموية ·

وفى مثل هذه الأمثلة ، بل وفى الحالات التى يتصف فيها سلوك الارهاب بعقلانية أكبر عندما تكون غرائز الحيــاة والاستمرار فى البقـــاء ما زالت بخير ، يذوب الفرد ذوبانا كاملا فى الجماعة ، وتتحول ذاتيته الى ذاتية الجماعة · وتؤمن الجماعة بأحلامها وأوهامها ، وبالحرب الوهمية التى تحاربها ضد العدو · واذا اتسم رد السلطات بالعنف ، فان هذا سيكون عاملا مساعدا على تعزيز الفانتازيا والتشبع بالأساطير ، بل وتزداد الجماعة تماسكا ·

وهكذا ينصح عالم النفس باتباع استراتيجيات مضــادة للارهـــاب لا تركز على الاستجابات العنيفة التى تؤدى بالتبعية الى تعزيز الفانتازيا · وبدلا من ذلك فانه يدعو الى سبل ووسائل تقوى الاجراءات الوقائية ، والى جعل الأهداف أصعب فى مهاجمتها مما يؤدى الى شعور الارهابى بالاحباط فى التو · ومحاولات المخابرات التى ترمى الى التسلل داخل الجمـــاعات الارهابية لمعرفة مخططاتها وتكتيكاتها وشخصياتها (وبخاصة شخصيـــة القيادات) ، من الاستراتيجيات التى تعتمد على مزيد من الصبر ، وقـــد تعود بعائد مثمر · واذا تسلحت السلطات بمثل هذه البينات سيكون بمقدورها شن حملة دعائية فعالة باستغلال المنافسات ، واضعاف تماسك الجماعة ، واغراء الارهابيين وغوايتهم – لو أنجز على خير وجه – قد يكون له تأثير أعظم · ولقد نجح الايطاليون فى كسر شوكة الألوية الحمراء ، وغيرها من الجماعات المختلفة اعتمادا على أسلوب البنيتوس Penitos الذى يكافىء الارهابيين ، الذين تعاونوا مع المسئولين ، بعد القبض عليهم بمعاملتهم معاملة حسنة ، وتخفيف أحكام سجنهم ، وعلى عكس ذلك لقد أثبتت الوعود والمغريات التى كانت تعرض على بعض الأشخاص لاذاعة أسرار زملائهم ، الى القيام بدور « الوشاة » فشلا فى ايرلاندة الشمالية ·

والارهابيون على دراية أيضا بهذه الحيل · فمنظماتهم هذه الأيام أكثر تماسكا ، ويراعى فى تكوينهـا تصعيب مهمة اختراق السلطات المسئولة لصفوفها · وبمقدورهم أن يعتمدوا دائما على عدم تيقظ السلطات المسئولة ، واغفالها الحفاظ على درجة عالية من انتباه أفرادها · فاذا كان هدف الاختطاف هو احدى طائرات « بان آم » فبالاستطاعة اذا اكتشـف الارهابيون ان اجراءات الأمن محكمة شديدة الاحكام فى مطار هيثرو ، فلا بأس من تنفيذ عملية الاختطاف فى مطار كراتشى ·

وكثيرا ما يخشى الارهابيون جماعتهم الارهابية أكثر من خشيتهم للعسكريين · فلقد نسوا فكرة المبالاة بالحياة ، وقد يترتب على الانحراف عن مهمة الجماعة اجراء تأديبى سريع أو عملية تعذيب Kneecapping (ستشرح فى سياق الكلام) · وكثيرا ما يصل التأديب الى حد القتل · وهناك دائمـا تشديد على الحفاظ على فاعلية معدات المهنة ، فلقد علق كثيرون من الذين بقوا على قيد الحياة بعد عمليات الخطف الارهابى عند استجوابهم عن كيف يحنو الارهابيون على أسلحتهم ، وكثيرا ما يتخذ هذا الحنو مظهرا جنسيا صريحا ، دائما بطريقة لا شعورية ! ·

اننا جميعا الى درجة كبرى من نتاج بيئتنا · ومن بين أكثر النزعات اثارة للقلق فى الارهاب المعاصر ، أننا قد دخلنا فى عصر « الجيل الثالث »· فكثيرون من الشباب الذين يحيون حاليا فى المواقع المضطربة من العالم مثل ايرلاندة الشمالية والشرق الأوسط وأمريكا الوسطى وأمريكا اللاتينية وجنوب أفريقيا لا يعرفون العـالم الا فى صورة ممتزجة بالارهـاب · ولا يعرف أطفال أزقة بلفاست أو بيروت عالمـا غير العالم المدجج بالأسلحة التى تستعملها الميلشيات وقاذفو القنابل والقناصة · نعم ان ما يشكل حياتهم هو أفعال العنف ·

ويتحدث الخبراء عن عملية « التطبيع الاجتماعى » الأول وعن تلك السنوات التى يتشكل فيها الفرد فى سن الخامسة ، والتى يتحدد فيها الكثير من مسالك البشر عن طريق التجربة · ولقد تسببت تجربة تعرف الأطفال على الارهاب منذ نعومة أظفارهم فى انتاج جيل ثالث من الارهابيين يتفوق على الأجيال السابقة له فى الشراسة · وسوف يتصاعد العنف عندما يصل مثل هؤلاء الأشخاص الى مواقع القيادة فى الجماعة · ان ارهابيى القرن الواحد والعشرين عائشون وموجودون بيننا بالفعل · وهم يتعرضون لمثل هذه المؤثرات التشكيلية التى ستغربهم عن المجتمع وتسوقهم الى طريق العنف ·

٦ – من هم الارهابيون ؟

ما هو نوع الأشخاص الذين يصبحون ارهابيين ؟ لقد كتبت جملة أبحاث عن هذا الموضوع • ولم ولن يفلح أى منها فى الاتيان باجابة مرضية • وبالاستطاعة العثور على سمات مشتركة عند الارهابيين ، ولكنها ليست ذات بال ، ومن ثم فانها لن تفيد الباحثين فى الاجراءات الخاصة بمناهضة الازهاب ، أو حتى من يحاولون تصعيب مهمة اختيار الارهابيين لأهدافهم • ومن المتعذر التعبير عن هذا الموضوع بلغة الأرقام • فلكل دعوى ما يقابلها من الدعاوى الأخرى • فلماذا ورغم وجود عدد كبير من مواطنى بلد ما يشعرون بالضيم فانهم لا يتجهون الى الارهاب ، وان كان القليل جدا من الظلم قد يكون كافيا لخلق حركة ارهابية كبرى ؟ • وربما كان هناك توازن بين التجاء الجماعات السياسية اليسارية الى الارهاب واستخدامه من قبل الجماعات اليمينية المتطرفة • وفى واقع الأمر انك اذا اتجهت شرقا الى الشرق الأوسط وما وراءه ، أو اتجهت جنوبا الى جنوب أفريقيا وما وراءها سترى أن مصطلح الجناح الأيسر ومصطلح الجناح الأيمن قد فقدا مدلولهما •

على أنه من العسير ، اذا تمعنا بالقهر الكافى ، العثور على أساس « ثورى اشتراكى » حقا تستند اليه تطلعات الجماعة الارهابية • وربما أمكن الاستعانة بالعبارات الطنانة التى جاهر بها ماركس وكاسترو وجيفارا ، بيد أن الدوافع الحقة سيبين أنها تكمن عادة فى الدين والقومية والعرقية والراديكالية • فالاستشهاد الشائع بوجود تعاون بين الجماعات مضلل ، والأكثر شيوعا هو الصدام بين الأفراد وليس بين الجماعات •

وبمقدورنا أن نلمح ذلك فى الموقف الايرلاندى . فالجيش الجمهورى الايرلاندى من بين أقدم الجماعات الارهابية ، ولكنه مختلف تماما عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجيش الأحمر الألمانى ، والجيش الأحمر اليابانى وحركة ايتا بأسبانيا ، بحيث يصح اعتباره فئة قائمة بذاتها ، لأنك ستصادف عنده دوافع النزعة القومية والعاطفية والوطنية . فجميع هذه المؤثرات لهـا تأثير على المسلك الايرلاندى ، الذى يبدو فى نظر الكثيرين أقرب الى ما يحدث فى المباريات الرياضية . ويعامل الجيش الجمهورى الايرلاندى الخوارج بعين الشك ، وينظر الى تكتيكات الجمعيات الارهابية الدولية بازدراء . ولا تلقى أية فئة خارجية عندهم أى ترحيب باستثناء مساعدات الأمريكيين المنحدرين من أصل ايرلاندى والتى تمثل ترابطا قائما على تعاطف فى غير محله ، ومن أثر سوء الفهم والعاطفية المحضة . واذا منعت هذه المساعدة ، واستمر الانكماش بنفس هذا المعدل فقد يرغم الجيش الجمهورى الايرلاندى على الاتجاه الى طلب المعونة من جهات أخرى لامداده بالغذاء . غير أن مثل هذا الاجراء لو حدث لن يزيد عن علاقة دلفعها الضرورة وليس العقل .

ويكذب الجيش الجمهورى الايرلاندى الكثير مما يقال عن صفات الارهابى ، اذ لا تجرى فى دماء الجيش الجمهورى الايرلاندى دماء الشباب وحدها ، فاعتمادا على حقيقة تاريخ القضية ، فانها قد اجتذبت الكثير من البالغين من الرجال وأقلية من النساء . وعلى الرغم من أن القادة قد يكونون من المثقفين وأولى الألباب ، الا أن أغلبية الأعضاء أقل تمتعا بهذه المميزات ، وينحدرون من خلفية عمالية . وقد روعى عن عمد اختيار أهداف سياسية مبسطة : « اطردوا الانجليز (والجيش) من ايرلاندة الشمالية » . ويلقى هـذا النداء استهواء ، فليس هناك شعارات سياسية طنانة ، ولا وجود لعبارات ماركسية ثورية تحتاج الى ملقنين . ولربما كان الهدف الحقيقى للجيش الجمهورى الايرلاندى شيئا أكثر من الخلاص من الانجليز ، وان كان هذا الهدف هو الشعار الذى تلتف حوله راية الحركة وتتردد الصيحات مطالبة به .

وثمة وجه شبه فى الغاية بين الجيش الجمهورى الايرلاندى والمنظمة التى تنتمى اليها قوات التحرير الفلسطينى ، لأن غايتها نابعة أيضا من الصراع على الأرض مع اليهود . ولقد دفعت الظروف الفلسطينيين الى النزوع الى طلب العون من جماعات دولية أخرى . وبينما قد لا يبدو للايرلاندى مظهر خاص يعرف به ، فان العربى يبدو عربيا . ولما كانت عيون قوات الأمن مركزة على العرب وبخاصة فى المناطق المهددة ، والمواقف المعرضة للتهديد ، لذا اضطر العرب الى البحث عن هذا العون الخارجى .

وترتب على ذلك حدوث عمليات تعاون مشترك بين العرب وجماعات « بادر ــ ماينهوف » والجيش الأحمر الألماني والجيش الأحمر اليابانى ، ومع جماعة سانشيز (كارلوس) بطبيعة الحال ٠

فهل هناك نمط خاص للارهابى ؟ من المحتمل عدم وجوده ، وان كان هناك ــ فى أغلب الظن ــ شىء من التشابه فى الأسس التكوينية وطريقة اختيار المجندين ، فبوجه عام ، المجتمع الذى يحدث فيه الارهاب اما أن يكون ديموقراطيا برلمانيا ، أو نظاما سلطويا ، يدار ادارة سيئة عادة ٠ ولا وجود للارهاب فى أى مجتمع شمولى ، فما هو سر ذلك ؟ فعندما لا ينتظر قيام دعاية للأفعال الارهابية ، أو يدار نقاش عام حولها ، فى هذه الحالة لن تكون هناك وسيلة لتعريف العالم برسالة هذه الأفعال ، وبدونها تكون القضية قد ضاعت قبل أن تبدأ ٠

وفى نطاق هذه المجتمعات ، يمكن اختيار منفذ الارهاب من بين الشاعرين بالاحباط والعاطلين من الشباب والأثرياء من « التنابلة » والمجرمين بالفطرة ٠ والرابطة المشتركة بين جميع هؤلاء الأفراد هى ــ على ما يبدو ــ عنصر الاثارة المترتب على فعل شىء ما ضد « النظام » ٠ وهناك عنصر جنسى ، وعنصر تعاطى المخدرات وجاذبية الأسلوب الشيوعى الذى يسمح باجراء تجارب جنسية حرة ، والتهنئة التى يتبادلونها باتباعهم للايديولوجية ، وهذه كلها مغريات تمثل المراحل الأولى للتجنيد للارهاب ٠

ولا يهب الزعماء أنفسهم للقضية ، اللهم الا من باب المظهريات ٠ فهم بوجه عام يعزلون أنفسهم عن الباقين تأمينا لحياتهم ٠ وعندما يتنبه الزعيم الى أن الدوافع لا يلزم أن تتماثل أو تكون بنفس الشدة عنده وعند أتباعه ، فانه يسمح لهم بالالتهاب الحماسى ، دون انتظار عون منه ، ودون أن يفرض عليهم نظراته ٠ وعادة يكون القائد هو المخطط ، ولا يستعين بمساعدين الا فى المسائل التقنية كصنع القنابل وتصميمها وغير ذلك من الضرورات المصاحبة ٠

ومن العسير التزام الدقة عند تحديد ملامح الارهابيين الذين مازالوا يمارسون عملهم ، فهم على الجملة يتمتعون بشدة الحرص على أرواحهم ، ومن غير المقدور تصديق كل ما يقولونه عن أنفسهم من باب المباهاة ، لأنه غالبا يحمل طابع (الفشر) ٠ ولا ننسى أن ملفات الشرطة تخضع لحراسة مشددة بالضرورة ، ويرفض الصحفيون الافصاح عن مصادر معلوماتهم ٠ وهذا يصدق بوجه خاص عن الجيش الجمهورى الايرلاندى حيث يتميز الانضباط الداخلى بشدة صرامته أكثر من جميع الجمعيات الارهابية ٠ فهم يحكمون بالموت على المبلغين Kneecapping لأنهم يضربون بالرصاص

عند ظهور ركبهم وتقطع أصابعهم بل ويتعرضـون للخصى ! فكل هـذه العقوبات توقع مقـابل اقتراف جرائم مختلفـة ! ابتداء من السرقة الى تسريب المعلومات التى تمس الأمن على نحو أو آخر ٠

« أنا كارلوس ! ٠ لقد سمعتم عنى ! اخبروا العالم ! » ٠ لقد وردت هذه الكلمات أو كلمات أخرى مماثلة على لسان « كارلوس » بمناسبة اختطاف أحد عشر وزيرا من وزراء البترول (أوبيك) فى فيينا فى ديسمبر ١٩٧٥ ٠ والحق أن معظم العالم كان قد سمع آنئذ عن كارلوس فى أغلب الظن ٠ انه رجل مشحون بالأسرار ٠ انه اللبين القرمزى المراوغ فى عالم الارهاب ٠ وقيل عنه انه يتماثل وشخصية « القاتل المحترف » فى رواية Day of Jackal « لفردريك فورسيث » (*) ٠ فاى انسان كارلوس هذا ؟ ومن أين بدأ سيرته الارهابية ؟

ومن المحتمل أن يكون كارلوس أكثر الشخصيات الارهابية نصيبا فى أحاديث أجهزة الاعلام اليوم ٠ وهناك مادة وفيرة متناقضة عنه ، غير أن المعلومات المتفق عليها والمؤيدة من ملفات الشرطة تبين أن كارلوس اليش راميرز سانشيز (فقد كان هذا اسمه عند مولده) بدأ حياته بداية محظوظة ٠ وأبوه هو خوزيه آلاجراشيا سانشيز وأمه ألبا ، وولد فى أكتوبر ١٩٤٩ فى كاركاس عاصمة فنزويلا ، وأحاطه الثراء من كل جانب منذ مولده ، وكان هناك ما هو أكثر من المال ، فلقد ولد فى عائلة ثورية (وقد سمى باسم من أسماء ستالين) ٠ واشترك جده فى ثورة ١٨٩٩ : وكان والده من المتحمسين لستالين ، ومن أشد المتعلقين به ٠ وعاش مترفا ٠ اذ كان أبوه محاميـا ومليونيرا قادرا على كسب المال بمختلف الطرق ، والمعروف عن بدايته قليل باستثناء أنه شق طريقه من خلال التنظيمات الشيوعية الطلابية ، والتحق بجامعة لومومبا بموسكو ٠ ويعتقد أنه فى هذه الأثناء بدأت احتكاكاته الأولى بالفلسطينيين الذين تعامل معهم عن كثب ابتداء من ذلك الحين ٠

ومن المؤكد أنه انضم الى الحركة الشعبية لتحرير فلسطين أثنـاء حادث « داوسون فيلد » ، وفى الصراع الذى نشب ضد الملك الحسـين ملك الأردن ، والذى انتهى بابعاد منظمة تحرير فلسطين من البـلاد ٠ ويقال انه خلال هذه الحقبة تمكن من التأثير على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعلى وادى حداد بصفة خاصـة ٠ وفى سنة ١٩٧٢ ، كان فى لندن برفقة أمه ضمن السلك الدبلوماسى ٠ ولم يصادف أية مشكلة فى

(*) قصة تصور محاولة اغتيال ديجول على يد قاتل محترف مجهول الهوية استاجرته احدى الجماعات المناهضة لاستقلال الجزائر ٠

سبيل الحصول على المال · ومن المحتمل أنه كان يحصل عليه من والده · وخلال هذه السنة ، ظهر لأول مرة فى « قائمة المراقبين » · وعلى الرغم من أن الأحداث التالية لم تنسب اليه لعدة سنوات ، الا أنه قد عرف الآن أن « اليش » هو الذى دبر ونفذ هجومين في لندن ابان فترة وجوده فى المدينة · أولا فى محاولة الاعتداء على اللورد سيف صاحب محلات ماركس وسبنسر فى ديسمبر ١٩٧٣ ، وثانيا ـ حادث الاعتداء بالقنابل على البنك الاسرائيلى هاباليان فى فبراير ١٩٧٤ ·

ثم انتقل من لندن الى باريس حيث قاد عملية لحساب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، كما ساعد الجيش الأحمر اليابانى فى عملية هجوم بالقنابل · وأحس الفرنسيون بنشاط « اليتش » بمحض المصادفة . عندما اغاروا على شقة أحد الأشخاص الموضوعين تحت المراقبة للاشتباه فيه · وساعدهم استجواب لاحق على محاصرة اليتش فى شقة أخرى · غير أنه استطاع بهدوء أعصاب فذ وبحضور ذهنى أن يشق طريقه وسط الحصار المفروض على المبنى · وفى ديسمبر ١٩٧٥ ، نفذت العملية التى احتجز فيها وزراء الأوبيك الأحد عشر ، وجرح أحد رفاق اليتش الخمسة جرحا خطيرا أثناء العملية ، وأدلى فيما بعد بالكثير من المعلومات الهامة عن زعيمه · وانتهت عملية الأوبيك بدفع فدية كبيرة قامت بدفعها المملكة العربية السعودية وايران · وساد الحدس بأن العقيد القذافى كان ملهم هذه العملية ومولها ·

واشترك اليتش يقينا فى التفكير فى وضع مخطط اختطاف إحدى الطائرات الايرفرانس ، والتى انتهت فى عنتيبى فى يونيو ١٩٧٦ · وبعد هذا الحادث بشهور قليلة ، ظهر اليتش على المسرح فى ليبيا ، وقام بالدور الرئيسى كمدرب ، ويفترض أنه كان ملما الماما حسنا بما احتوته ملفات وكالات الأمن الدولية ، ومن ثم رأى أن دواعى الأمن تقتضى ألا يشترك فى هذه العمليات الشخصية ، لفترة ما على أقل تقدير · وانتقل من ليبيا الى سوريا للعمل فيها ، وبارحها الى أوربا للعمل لحساب سوريا ولشن عمليات تصفوية ضد المنشقين المسلمين فى باريس · وأثناء فترة التحضير لاحدى هذه العمليات وقعت اثنتان من الخلايا الثورية القديمه لاليتش فى قبضة الشرطة ، واستؤنفت مطاردته ثانية · وحكم بالسجن على اثنين من رفاقه · وكتب اليتش الى السفارة الفرنسية مهددا بالانتقام من الحكومة الفرنسية ، اذا لم يطلق سراحهما · وحدث اعتداءان بالقنابل حول منطقة تصفية الحسابات التى حددها فى رسالته · وكان بالمقدور نسبة الحادثين لاليتش ، لكن الحكومة الفرنسية لم تتزحزح عن موقفها ،

وأمضى السجينان مدة السجن · وبعد اطلاق سراحهما تزوجت ألمانية تدعى ماجدالينا كاوب من اليتش ·

فهل تقاعد اليتش الآن ؟ من غير المحتمل ، فالى جـانب استمتاعه الواضح بهذه اللعبة ، فانه يشعر بحاجة دائمة للمال للصرف على متعـه الخاصة ، وما تحتاجه من اسراف · واليتش معروف تماما لدى السلطات فى أوربا ، ومن غير المستبعد معرفتهم لمحل اقامته · ولقد خلق أعداء له فى الشرق الأوسط ، فى ليبيا على الأخص ، غير أنه من المحتمل أن يعاود الظهور ثانية لخدمة احدى قضايا الشرق الأوسط · وأما القول بأن اليتش ليس بحاجة للتذرع بالحاجة للمال لاحتراف الارهاب فأمر مؤكد · وليس من السهل تحديد الدافع الأيديولوجى الذى يسوقه الى هذه الناحية ، ماعدا الاستمتاع بالحياة وما فيها من مثيرات ، وحرصـه على استمرار الانبهار بصورة « كارلوس العظيم » اذ يساعد ذلك على اشـباع بعض شهواته · ولربما بدت غطرسته المغالى فيها عندما وقع باسمه على تهديد للحكومة الفرنسية ، أمرا متوافقا تماما مع شخصيته ، بعد أن عرف أنه قد اكتسب احتراما يحسد عليه فى بعض المجافل لما يتمتع به من قدرات تنظيمية وشجاعة لا شك فيها · وأيا كانت دوافعه ، وأيا كانت شخصيته ، فان « كارلوس » قد برز كشخصية دولية حقا !

وهناك زعيم ارهـــابى ملهم آخر ، انحدر من أصـل ثرى ، انه أبو نضال ، وكان اسمه عند مولده « صبرى البنا » (*) ، وينتمى الى عائلة ميسورة تعمل فى التجارة · ولقد أصبح رئيسا لاحدى التنظيمات الارهابية التى يخشى بأسها فى الشرق الأوسط · ويشترك أبو نضال وكارلوس فى العديد من الصفات ، كالغطرسة الغامضة · فعند مصرع « شلومو أرجوف » (السفير السرائيلى) فى يونيو ١٩٨٢ ، قبض على فريقه المؤلف من ثلاثة رجال ، وحكم عليه بالسجن ثلاثين عاما · وصرح أبو نضال : « ان القضاة البريطانيين سيتعلمون ماهية العدالة » ونسب الى أبو نضـال حادث اغتيـال كنيث ويتى السكرتير الأول بالسـفارة البريطانية فى أثينا فى مارس ١٩٨٤ واغتيال برسى نوريس مساعد القائم بالأعمال البريطانى فى بومباى ١٩٨٤ · وأبو نضال أشد حرصا وتكتما من كارلوس · ولقد أدرجت تنظيمات ارهابية أخرى اسمه ضمن الأسماء المطلوب إغتيالها · ولقد اعتقد بوجه عام ولفترة من الزمان أنه فارق الحياة من أثر نوبة قلبية فى أواخر ١٩٨٤ · ولم يظهر دليل ملموس مؤيد لهذا

(*) فى شهر نوفمبر ١٩٨٩ نشر بالصحف ان ليبيا امرت بطرده سعيا وراء تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة ·

الخبر • وكان اختفاؤه مؤقتا من مسرح العمليات تصرفا حكيما • وليس من شك أنه سيستأنف نشاطه مرة أخرى •

وانحدرت « أولريكه ماينهوف » من بيت يسوده الوئام ، ويتمتع ببحبوحة من العيش • وعاشت برفقة زوجها كلاوس راينر رول حياة وادعة هانئة • وقد قوبلت بالترحاب عندما عملت صحفية في المجلة اليسارية Konkret ، وهي من المجلات السياسية • وبعد انفصال عرى زواجهما ، اتجهت الى الانضمام الى جمعية شبابية تدعى "Commune Set" وكانت هذه أول مرة تتصدى فيها للحديث عن السياسة الطلابية ، وقربتها هذه الحياة من لاودرون انسلين • وكان آنئذ معجبا بأندرياس بادر ، وهو من الطلبة الفاشلين الأوغاد المنحلين ، الذين استهوتهم الحياة الرغيدة التي يحياها الثوريون • واسترعى انتباهها عندما بدأت الجماعة تمارس نشاطها فلسفة « انسلين » بواقعيتها وأيضا فلسفة بادر التي كانت تسرف في التحليق في أعنة الخيال ، وعندما قبض على بادر لم تحتاج الى قدر كبير من الاقناع لكي تقدم على مساعدة انسلين لاقتحام السجن وانقاذه • وأدخلها هذا الحادث صفحات التاريخ ، وانتهت حياتها بالانتحار في سجن شتامهايم في شتوتجارت ١٩٧٧ •

لقد أخرج العالم عددا كبيرا من الارهابيات الصلبات العود ، وقد حققن جميعا هدفهن ، اما بشغل المراكز القيادية ، أو بالحصول على الشهرة وذيوع أسمائهن في شتى الأنحاء • وتضم القائمة أسماء من مختلف الدول • فأولريكة ماينهوف وجودرون انسلين (تتبعان ألمانيا الغربية B.M. و R.A.P.) ونانسي بيري وباتي هيرست S.LA. ونوساكو شيجونوبو J.R.A. وانجليكا شبايتل (جماعة الهلال) وليلى خالد (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) • وهذه أسماء قليلة من مجموعة كبيرة من الأسماء التي انحشرت وسط الارهابيين لتحرير أنفسهن عن طريق العنف ، وأثبتن تفوقهن على الرجال • والحقيقة في هذه المسألة موضع خلاف • بيد أنه من المسلم به أن النساء الارهابيات أشد فظاظة وقسوة من نظرائهن الذكور •

ويتطلب النجاح في تجارة الارهاب جميع الصفات التي تنشد عادة في الضابط العسكري الممتاز ، كأن يكون الارهابي متمتعا بدرجة عالية من القدرة القيادية ، وأن يكون قادرا على الحصول على أفضل أداء من أتباعه الذين قد لا يشتركون معه في مواهبه ، وأن يكون بارعا في التخطيط ، والقدرة التنظيمية مسألة أساسية • ولا ننسى البراعة في اجتذاب المال وتدبيره والمقدرة الكبرى على الحسم في مسائل الأمن ، وأن يهب الشخص

نفسه تماما للقضية . غير أن هذه القضية قد ترتكن على قاعدة عريضة ، كما حدث في حالة كارلوس (الذى كانت غايته هى الهام الثورة العالمية والحفاظ عليها) . وأكثر الاحتياجات نفعا هى القدرة على ربط القدرة التخطيطية بالاستيعاب الحسن للأخبار الاعلامية ، ومعرفة تأثيرها على الرأى العام ، لأن هذه هى الوسيلة التى تحقق أعظم تأثير .

★★★

٧ ـ أهداف الارهابى

- القاء قنبلة على احدى السفارات ؟
- طائرة اختطفت !
- انفجار فى أحد الأبنية العامة !
- برتقال مسموم !
- اغتيال سفير !
- اختطاف رجل أعمال !
- سرقة حصان سباق !
- تورط أحد الساسة اليمينيين فى فضيحة جنسية ؟

من المسلم به اننا لم ننقل هذه العناوين نقلا حرفيا ، وان كانت جميع الأحداث المشار اليها آنفا قد ظهرت كمانشيتات فى السنوات العشر الأخيرة . ولقد اختلفت دوافع هذه الأحداث ، غير أنها جميعا قد اشتركت فى ناحيتين على أقل تقدير . أولا انها من الهام الارهابيين . ثانيا أنها واعمت الروح الاعلامية . فما هو هدف الارهابى ؟ يكاد هذا السؤال أن يكون مستحيلا . انه أى شخص ، أو أى شىء يمكن أن يهاجم بطريقة درامية ، ويتم الربط بينه وبين قضية ارهابية ، بغض النظر عن وهن هذا الارتباط ، وينتهى الأمر بافزاع الأكثرية . ان مثل هـذا النبأ يهـم المسافر الى بلد خارجى ، ليس بالضرورة لأنه من أهداف الارهاب ، ولكن لأنه كثيرا ما يكون فى صحبة أحد هذه الأهداف ، فقد يأوى واحدا منهم .

ولربما سافر في واحدة من هذه الأهداف ، أو قد يكون مجرد « مشروع » هدف • واذا اقتصرنا ـ مبدئيا ـ على استعمال كلمة « هدف » دون تعريفها سيساعدنا هذا على ادراك لماذا تختار بعض أهداف بالذات ؟ • فلقد توافر لحادث اختطاف هانس مارتين شلاير ، واغتياله فى سبتمبر ١٩٧٧ عدد من العوامل التى تراعى عند انتقاء الأهداف • وتسبب الغضب فى لفت الأنظار فى شتى أنحاء العـالم مرة أخرى الى جماعة بادر ـ ماينهوف والجيش الأحمر • انه كان انتقاما من مقتل رفقائهم فى سجن شتوتجارت واقتحام الطائرة لوفتهانزا فى موجاديشيو • كما أنه أقلق اقلاقا عنيفا حكومة ألمانيا الغربية ، التى كانت ما زالت تترنح من أثر أحداث الاغتيال الباكرة لبوباك وبونتو ، وهما من رجال الأعمال البارزين• وألقى الجيش الأرمنى السرى لتحرير أرمنيا قنبلة فى مطار أورلى بباريس فى يوليو ١٩٨٣ لتذكرة العالم بأنهم ما زالوا على قيد الحياة • ويعد لفت الانتباه « للقضية » عاملا ، وان كان لا يلزم أن تكون هناك علاقة فعلية بين « الهدف » وتلك القضية •

وحتى الآن ، أى بعد خمس سنوات ، ما زالت محاولة محمد على أغا الاعتداء على البابا جان بول الثانى سرا خفيا • وكان أغا سفاحا عتيدا ، واسمه موجود فى سجلات الأنتربول • وهو عضو فى جماعة « الذئاب التركية الرمادية » • وانتشرت نظريات تقول ان أغا كان ينفـذ تعاليم المخابرات السرية البلغارية • ولو كان ذلك كذلك ، فلماذا ؟ فاذا أقدم سفاح محنك على مثل هـذه المحاولة الخائبة ، وهو يعرف ضآلة فرص هروبه ، فاننا قد نتصور أن هناك سببا غريبا وراء عدم مراعاته لقواعـد الارهاب •

ولننسى هنيهة النواحى البلاغية والتأملات فى المثل العليا للارهابيين والفلاسفة ، ولننظر مليـا الى ما يفعله الارهابيـون بالفعل وطرائقهم الأساسية فى العمل • وهذه الأفعال تهم القراء لأنها قد تروى لهم وقد تؤثر فى حياتهم العملية وأسفارهم •

جريمة القتل بالشوارع :

اطلاق الرصاص على الأبرياء فى الأماكن العامة ، وقتلهم • كمـا حدث فى عملية هجوم أبو نضال على مطار العال ومكاتب فحص الجوازات فى روما وفيينا فى ديسمبر ١٩٨٥ •

القاء القنابل فى الشوارع :

القاء القنابل على الأماكن العامة وقتل الأبرياء مثلما حدث فى حالة

القنبلة المرتجلة التى ألقاها الجيش الجمهورى الايرلاندى على محل هارودز فى لندن فى ديسمبر ١٩٨٣ ٠

اختطاف الطـائرات :

الاستيلاء على احدى الطائرات والسيطرة عليها دون مراعاة لمـا أظهره الركاب من رغبة فى التفاوض على اطلاق سراح الارهابيين السجناء ٠ على سبيل المثال ـ حادث اختطاف جماعة الجهاد الاسلامى للطائرة ايرفرانس ٧٣٧ ، وهى فى طريقها من فرنكفورت الى باريس فى يوليو ١٩٨٤ ٠

القاء قنبلة على طائرة وهى محلقة فى الجو :

كما حدث فى الطائرة ايرانديا ـ٧٤٧ ، وهى فى طريقها من تورنتو الى لندن عندما انفجرت فى الجو بعيدا عن الساحل الايرلاندى فى يونيو ١٩٨٥ ٠ وأعتقد أن الحادث من تدبير المتطرفين السيخ ٠

اغتيال الشخصيات السياسية :

قد يؤدى استعمال القنابل عادة الى مصرع الأبرياء أيضـــا ٠ على سبيل المثال محاولة اغتيال الجنرال جريفاس فى الطائرة الكوميت B.E.A. فى أكتوبر ١٩٧٦ ٠

الاستيلاء على الأبنية :

الاستيلاء على السفارات أو أبنية المؤسسات ، وبها أبرياء يحتجزون كرهائن ، على سبيل المثال حصار السفارة الايرانية فى لندن فى مايــو ١٩٨٠ ٠

ما ذكر آنفا كان مختارات عشوائية لعمليات ارهابية نمطية أثبتت تبعا لطبيعتها أنها قد هددت حياة الأبرياء أو عابرى السبيل ٠ وعندمـا تمتد القائمة بحيث تشتمل على حادث اختطاف القطار فى هولاندة من قبل بعض أبناء جزر الهند الشرقية ، والاستيلاء على المركب الايطاليـة أكيلى لاورو فى البحر المتوسط فى أكتوبر ١٩٨٥ ، فانها تساعـــد على القاء الضوء على ما تتعرض له الأسفار من مخاطر ٠ والاختطاف جـــانب من جوانب الارهاب يستحق البحث فى هذه المرحلة ، وان كانت جوانب عديدة منه مازالت لم تطرق ـ على ما يبدو ـ وربما رجع ذلك الى تأثـير الكتاب المتصلين بشركات التأمين ٠ ويحتل هذا التهديد مكانة بارزة على رأس المسائل التى تهم الأفراد ٠

ولقد ظهرت بعض روايات جديدة بالاشارة عن الاختطاف ، وعلى رأس الروايات التى تستحق القراءة ينبغى أن نضع قصة سير جوفرى جاكسون عن محنته وما تعرض له على يد ال Tupamaros (١) (يجب أن لا نخلط بينها وبين Tupoc Amoras فى بيرو) • وعندما اختطف سيرجيمس كان يشغل منصب السفير البريطانى فى أوروجواى • ولقد عرف من مشاهداته أنه مرشح للاختطاف من قبل جماعة توباماروس. وشهدت بواكير ١٩٧٠ عشرات من أحداث الاختطاف السياسى فى أمريكا الجنوبية هددت حياة عدد كبير من أبناء الدول المختلفة ، من روس وألمان غربيين وأمريكان ويابانيين وجواتماليين •

وازداد تيقن جاكسون من أنه سيكون هدفا للارهاب الى حد أنه اتصل بوزارة الخارجية فى لندن معربا عن موافقته على الموقع التبادلى الذى قد يلجأ اليه أثناء هذا الحادث • ووقع حادث الاختطاف فى ٨ يناير ١٩٧١ • وتعرضت سيارة السفير لكمين نصبته جماعة من الارهابيين المسلحين • وعلى الرغم من عدم اطلاق أية طلقات نارية ، الا أنهم انهالوا ضربا على جاكسون ، الذى كان قد سبق أن اتفق هو ووزارة الخارجية أثناء زيارته للندن قبل الحادث بستة شهور على عدم الانصياع لرغبات الارهابيين وضغوطهم ، بصرف النظر عن أية تهديدات توجه اليه ، واستطاع جاكسون الحفاظ على هيبته رغم ايوائه فى أماكن زرية • وفيما بعد ، وكما يبين من كتابه ، فانه قد استغل وقته فدرس خلفيات من أسروه ، ودوافعهم • ويلقى الكتاب بعض أضواء مثيرة للدهشة عن أحوال جماعة توباماروس • ولعله من الوثائق الكلاسيكية عن كيفية امكان حفاظ الأشخاص على هيبتهم عند التعرض لأى توتر أو ضغط •

بطبيعة الحال ، كان جاكسون مختطفا (بفتح الطاء) • ولقد أثبتت هذه الفعلة بالذات متى يقترب الارهابى من التماثل هو والمجرم العادى ، وأيا كان وصف هذه الحالة ، أى اجرامية أو سياسية ، فانه لا اختلاف بين التكتيكات المستعملة فى الحالين ، ففى نهاية اليوم كان لدى الطرفين (الحكومة والعصابة الارهابية) « سلعة » يراد دفع مقابل لها • وكثيرا ما تتمثل الفدية فى حالات الاختطاف السياسية فى المطالبة باطلاق سراح الرفاق المحتجزين ، أما المجرمون فانهم يسعون عادة للحصول على مقادير فورية من المال ، لايستطاع تتبع مصدرها أو مصيرها • ومن الطريف أن نذكر أنه فى بعض مراكز الاختطاف (وايطاليا مثل بارز فى

---

(١) Peoples Prison — Sir Geoffrey Jackson (لندن فى ١٩٧٣)

هـذا الشأن) ليس من المستبعد اطلاقا أن يستأجر الارهابيون خبراء اجراميين لانجاز الاختطاف • ومن المؤكد أن الألوية الحمراء قد استغلت فى الماضى مواهب عصابة « كلابريان » فى أكثر من مناسبة ، وفى احدى الحالات بالذات أثبتت بصمات المفاوضات أن العصابة قد أشرفت أيضا على عملية المساومة •

ربما كان من المعقول فى الماضى القول بأن عمليات الاختطاف فى ايطاليا كانت الى حد كبير أعمالا اجرامية سعيا وراء التربح ، وفى مناطق أخرى من البلدان التى قامت بدور ريادى فى الاختطاف كأمريكا اللاتينية، كانت هناك نسبة كبيرة من المختطفين من رجال السياسة ، ولقد شهدت ١٩٨٦ و ١٩٨٧ تغيرا فى هذا الاتجاه ، فبعد انخفاض معدل الجريمة فى شتى الأنحاء فى سنة ١٩٨٤ ، و سنة ١٩٨٥ عاد المعدل الى التزايد ، كما يبدو ، ومن المتعذر الاستشهاد بالأرقام نظرا للمحاولات التى تقوم بها العائلات وسماسرة التأمين للتستر على هـذه الأحداث لأسباب شتى ، ففى بعض البلدان من غير المشروع دفع الفدية ، وان كانت هناك فى بعض البلدان هيئات قانونية على استعداد لاغماض عينيها ، لو اتضح أن الفدية لصالح الضحية •

وفى الولايات المتحدة ، لعل أفضل الاتجاهات الواقعية ، هو الاتجاه الذى تسلكه F.B.I. • فهم على أتم استعداد لمقاومة اغراء الكشف عن مكان اختباء العصابة ، ومهاجمتها ، ويكتفون بمحاولة التلويح بتسليم المبلغ المطلوب آملين التصرف مع العصابة بعد اطـلاق سراح الضحية • وهو اجراء معقول ، ويساعد على اقدام العائلة على التعاون وتقديم كل المعـلومات الميسورة ، التى يتيسر فى المقـام الأخير ل F.B.I. اصطياد العصابة ، وتفيد المحاكم عندما يقدم المختطفون للمحاكمة •

وفى ايطاليا من غير المشروع دفع الفدية • بيد أن عائلات كثيرة ترتاب فى قدرة الشرطة على تحقيق انقاذ الضحية • وربما كان هـذا التصور ظالما نوعا ، وان كان هذا الشعور قائما ، كما أنه يتسبب فى ايغار الصـدور من أثر خشية اعلان الثروة الحقيقية ، التى قد تعرض الأسرة لخطر الكشف عن تهربها عن دفع الضرائب ، على أنه من أوجه النقص التى تخفف من حدة الموقف الايطالى بعض الشىء ، القانون الذى يبيح خرق القانون ، اذا كانت الغاية هى انقاذ الحياة ، وهذا حل هزيل ولكنه فعال •

وفى الثمانية عشر شهر الأخيرة ، أثبتت دراسة الحالات الميسورة حدوث ازدياد فى أحداث الاختطاف فى بيرو وكوليمبيا وجواتيمالا ، وأن هذه الأحداث قد عاودت الظهور فى ايطاليا ، والأسباب عديدة ومتنوعة . ولكن فيما يتعلق ببلدان أمريكا الجنوبية هناك مدرسة فكرية ترى أنه فى الحالات التى تيسر فيها لصغار المجرمين الحصول على مورد اعاشة معقول من تجارة المخدرات ، فان هذا قد ساعد على انتعاش تجارتها وحسن تنظيمها مما يسر للسنديكات الكبرى اعتصار العاملين فى نطاقات محصورة ، والذين لا يرغب « كبار المعلمين » تشغيلهم ، وهذا هو سر انتعاش الاختطاف مرة أخرى ، ولا ينجح الاختطاف بالضرورة فى اختيار ضحاياه من المعروفين بالثراء . ففى بيرو وكوليمبيا ، حدثت عمليات اختطاف لم يسبقها اعداد وتدبير لمجرد الانخداع فى مظهر الضحية والظن بأنه يملك مالا وفيرا اعتمادا على طريقته أو طريقتها فى ارتداء الملابس أو بعد التعرف على المحلات التى يرتادها أو ترتادها .

والمسئولون بالمؤسسات الثرية يتعرضون دائما للخطر . وهناك بشائر كثيرة أثبتت ان هذه الحالة فى ازدياد . وتتقاضى المؤسسات الضخمة الآن تعويضات من صكوك التأمين ، وان كان هذا الاجراء لا يقلل الخطر (ويعتقد بعض أنه قد يزيد الخطر) ولكنه يزيد النفقات . وقد يدفع رئاسات المؤسسات الى الاستعانة بخبير مقتدر يستشار فى كيفية اجراء المفاوضات بمهارة .

وهناك حكايات تروى فى دوائر المستشارين عن أسرع مفاوضات قياسية جرت فى هذا الشأن . فلقد اتصلت احدى العصابات بأب ايطالى وأخبرته أن أصغر بناته قد اختطفت فى عصر ذلك اليوم ، وطلبت فدية لو أراد أن يراها ثانية على قيد الحياة ، وجاء رد الأب الايطالى على الوجه الآتى : « ان لدى عشرة أطفال ، وهم جميعا مصدر هم وضيق لى ، ويكلفوننى الكثير من المال لرعايتهم . ولا يحتاج انجابهم لأكثر من ثوان معدودة . فاذا نقص أحدهم ، لن تكون هناك مشكلة ، ولعلها ستكون نعمة » . وبعد أن أجاب على هذا النحو وضع سماعة التليفون على الفور ، على أننا لاننصح باتباع هذا المسلك لو أراد المسئولون الشعور بالأمان ! .

وستستمر أحداث الاختطاف ، والحيلولة دون حدوث أحداث من هذا القبيل للمسئولين والدبلوماسيين مسألة صعبة من الناحية المادية والعملية ، فهى تحتاج الى عدد كبير من السيارات المجهزة بأفراد مدربين أحسن تدريب ، ولديهم وسائل اتصال حسنة ، وهذه ناحية مكلفة .

وسوف تعانى السفارات والشركات والمؤسسات معـــاناة شديدة لو حولت دورها الى « قلاع محصنة » ، أو عملت على حماية العاملين فيهـا فى الذهاب والاياب بنقلهم فى سيارات تسير فى قافلة محمية بالشرطة • ولربما أدت هذه الوسيلة الى التجاء الارهابيين الى نصب الكمائن ، لـو أحست أن الهدف المراد اختطافه فريسة ثمينة • ولعل أفضل طريقـــة للوقاية هى تدريب المسئولين وعائلاتهم وتعريفهم أبسط قواعد الاحتياط التى تساعد على تصعيب اختيارهم كأهداف ، أى يجب أن يبدأوا باتباع وسيلة علاجية قوامها الحرص على الذات : « لو أننى جعلت نفسى هدفا صعبا للارهابيين فانهم سيضطرون الى البحث عن شخص آخر • فليكن المتخلفون من نصيب الشيطان ! » •

ولننتقل بعد ذلك للكلام عن النطاق الذى ينال أعظم قدر من الاهتمام الاعلامى • انه العمليات الارهابية التى يكون ضحاياها من بين المسئولين المسافرين فى رحلات جـــوية • ولعلها أنجح المخـــاطرات التى شغلت الارهابيين حتى الآن • وهذه مسألة تستحق النقاش ، فما هو سر شعبيتها ؟ وما الذى يساعد على اثارتها للكثير من المشاعر ؟ فقوائم المسافرين تضم عادة اناسا من أجناس متعددة ، من بينهم عدد لا بأس به من النســـاء والأطفال ، والاتصالات على خير حال ، والمطارات الدولية تقع فى أماكن لا يتعذر وصول مصورى الصحف ومخبريها اليها ، وآخر ما يذكر فى هذا الشأن ، وان لم يكن أقل العوامل أهمية هو الوجود الفعلى لسيارات تحت أمر الارهابيين مما ييسر وصولهم الى ملاذ آمن بعد انجاز فعلتهم ، وثمة عامل آخر جدير بالنظر • فحتى اذا توافرت أفضل قوات مدربة فان اقتحام الطائرة الجاثمة على الأرض من أصعب المهام ، وبخاصة الآن بعد أن تعلم الارهابيون دروسا من موجادشيو وأحداث مماثلة • ولعل القارىء أكثر اهتماما بكيفية منع حدوث الاختطاف أكثر من اهتمـــامه بأحداث الاختطاف ذاتها • ففوق كل شىء فانه بمجرد اختطاف المســافر فانه لا يحرص حرصا حرفيا على أى شىء خلاف اطاعة القواعد الأساسية التى تدعوه الى عدم الاتيان بأية حركة أو القاء أية نظرة تشتم منهـــا المشاعر العدوانية ، وأن يغض من بصره ، ويترك أمره لله آملا انهـــاء الرحلة على خير •

وفى السنوات العشر الأخيرة مثل الأمن فى المطار أشرس جـوانب الرحلة الجوية • ولقد أنفق قدر كبير من المـال لحل هذه المشكلة • غير أن المتفجرات والأسلحة مازالت تهرب الى داخل المطـــارات والطـائرات بلا انقطاع ،فما سر ذلك ، وما الذى يجرى ــ ان وجد مثل هذا الاجراء ــ

لايقافه ؟ وأول مسألة ، جديرة بالملاحظة هى أن السفر بالطائرات قد ساعد على انكماش حجم العالم وعلى اختفاء الحدود بين الأمصار ، ولم تعد المهام التى جرت العادة على انجازها فى غضون أيام كثيرة تتطلب أكثر من ساعات قليلة • وتدفع روح البحث وحب الانجاز والمغامرة الانسان الى استعمال وسائل النقل رغم الأخطار ، ومن أصعب المهام التى تواجه الانسان ويجب أن يحسب لها كل حساب مقارنة الخطر بما سيجنيه من وراءه •

ولقد بلغت السياحة العالمية القمة • فهى تنقل الملايين من الباحثين عن المتعة الى المطارات • ولم يصدق القول بأن السماء هى الحد الذى يقف عنده الانسان مثلما يصدق الآن • واذا استطعنا التغلب على عامل الخطورة سيغدو السفر الجوى مستحبا لما له من مزايا كالكفاية والراحة والمتعة واليسر • والعوامل الكامنة وراء تحقيق التحسن فى الرحلات الجوية وتأمينها هى بالضرورة عوامل تجارية وانسانية • وعلى الرغم من تصدر العامل التجارى ، ويعد بالتأكيد الفيصل الأخير ، فان هناك ناحيتين من نواحى العامل الانسانى قد جعلت للتجارة هذه المكانة •

ففى مقابل كل عشرين خبيرا يقولون : « لا وجود لما يدعى بالأمن الشامل » ، يوجد ثمانون يرفضون هذا الزعم • وربما سلمنا بذلك ، لأن الطرف الأخير قد يؤيد مزاعمه بابداء ملاحظات عن انحطاط مستوى الحياة ، وعدم تقبله لها ـ فيما يحتمل • ومن أسف أن العشرين الأوائل هم الذين على حق • فليس هناك حقوق مطلقة للبراعة • فاذا وجد الشخص القادر على لم شمل الأشياء ، سيوجد فى مقابله الشخص القادر على تشتيت هذه الأشياء « وفركشتها » • ويصح هذا الكلام الى حد كبير عن المعونات التقنية لتأمين المطارات • ولا يقتصر الأمر على ذلك • اذ يتدخل العامل الانسانى الثالث الممثل للهشاشة ، والذى بمقدورنا مصادفته على أنحاء ثلاث ! الطمع والقدرة على التركيز وضعف الذاكرة • فاذا بدأنا بضعف الذاكرة سنرى أنه فى أعقاب أى حادث اختطاف طائرة يذاع على الملاء ، لا يستبعد أن تسمع صيحات عامة عن تسرب أسلحة ومتفجرات الى داخل الطائرة • ويصيح عامة الناس مطالبين « باحكام الأمن » ، ويقبلون لفترة وجيزة من الزمان الطوابير الطويلة فى مكاتب التفتيش الأمنية ، ويحنون رؤوسهم بحكمة كل منهم للآخر ، ويهمسون ببعض التفاهات • وبعد أسابيع ، يصيحون متذمرين من التأخير وانعدام الكفاءة وما أشبه ، وتحفل الجرائد اليومية بمواد أخرى ، فينسى حادث

الاختطاف . ان هذه الحالة هي واحدة من أعراض ضعف الذاكرة ، وكأن قانون Sod قد عاد للحياة مرة أخرى .

وعلى الجملة ، يمكن القول بأن المساعدات التقنية مثـل استخـدام الأشعة السينية فى التفتيش على الحقائب ومكتشفـات المفجرات فيهـا الكفـاية ، فبمقدورها أن تؤدى واجبهـا عندمـا تكـون مـدة النوبتجيات ساعتين أو أربع أو ست أو ثمان ساعات ، وأن تفتش الحقيبة تلو الأخرى، ومن المؤسف أن كل ما يتركز عليه انتباه القائمين بالتفتيش من البشر عبارة عن خيالات سوداء وبيضاء تظهر فى « المونيتور » . ولا تسهل عن مقدار دقتها . ولا تنسى أن مدة تعرضها لا تزيد عن ثوان معدودة ، وأنها فى تتابعها السريع تترك القائم بالتفتيش مشدوها ، وكأنه تحت تأثير حالة تنويم مغناطيسى . ومن غير المقدور أيضا الاعتماد حتى على أصحاب أعظم قدر من اللياقة البدنية وأصحاب النوايا الحسنة للتعـرف بدقـة على ألوان الحقائب الدائمـة التحـرك على المونيتور الصـغير وأشكالهـا وتكوينها ، وعليك أن تجري اختيارا بنفسك بالنظر الى تليفزيون منزلك ، وحاول أن تحدد المدة التى باستطاعتك أن تركز فيها تركيزا تاما ، دون أن تبعد عينيك عن الشاشة ! ـ وربما ذكر علماء النفس أن كفاية الأداء ومدى الانتباه يهبطان هبوطا سريعا بعد مدة تتفاوت من اثنى عشرة دقيقة الى خمس عشرة دقيقة . وتزهو الكثير من سلطات المطارات ، لأنها تجرى تبديلا للفريق المسئول عن الأمن كل خمس وأربعين دقيقة . وفى بعض مواقع ، قد يكتفون بنقلهم من مونيتور الى مونيتور آخر !

ومن الناحية التجارية ، من غير مقدور شركات الطيران والمطارات أن تساير الجموع الشديدة الازدحام ، ولعلها تضيق مما يحدث من تأخر أو ربما الغـاء للرحـلات اذا أفترض أن أمتعة جميـع الركاب قد فتشت تفتيشا دقيقـا .

وكثيرا ما أشير الى أن احداث شلل كامل فى المطارات قد يساعد ـ بقدر كبير ـ على منع الارهابى من القاء قنبلة . وفى هذا المقـام قد يعنى هذا الشلل الاستبعاد الكامل لغير المسافرين من دخول المحيط الخارجى ، ولا يسمح بدخول أى أصدقاء أو عائلات لتناول القهـوة مع هؤلاء المسافرين قبل الرحيل والسلام . وبذلك تختفى ساحات المتفرجين ولا يسمح بالدخول الا لمن سبق حصولهم على التذاكر ، ولمن تم فحصهم بوساطة الكومبيوتر من الركاب ، ولا تصطف طوابير المتفرجين الا خـارج المحيط الخارجى . أما فى الداخل فلا يبقى أى شىء ، إى تختفى المقاهى

والمحلات ، وأرفف الصحف ، أى لا يبقى أى شىء على الاطلاق . وسوف تتحقق خسائر للأنشطة المساعدة ، وستزداد ضرائب المطارات والقيمة الايجارية . وبالاستطاعة تحصيل هذه الزيادة من الجماهير التى لن تكف عن الاحتجاج لما لحق أثمان التذاكر من ارتفاع .

فما الذى يمكن أن يفعل ؟ يتعين تدريب الكافة لتعريف المسافر بما الذى يجب أن يلحظه ، وتشجيعه على الابلاغ عن ذلك ، مما سيعود بالنفع ، وهل يتوقع أن يزداد افراز الأدرنيلين بحيث يفرز الكمية الكافية التى تساعد على زيادة كفاية المفتشين اذا سافروا على نفس الطائرة برفقة الركاب والأمتعة التى يفتشونها ؟ ليس من شك أن هذا سيساعد على رفع مستوى الحوافز ، فليس هناك أى شىء بوسع المسافر أن يفعله فى المطارات الدولية خلاف التزام الحذر واختصار الوقت الذى يمضيه متسكعا بالقرب من مكاتب فحص أوراق الركاب المهددة . فعليه أن يصل مبكرا ، وأن يجرى عمليات الفحص الشكلية الخاصة بالتفتيش ، وأن يمضى وقت الانتظار فى آمن مكان ، أى فى صالة المسافرين ، ثم يغادر على الفور .

ولقد قامت F.B.I. بتوزيع حراس الجو على الطائرات . وقامت قوات الأمن الاسرائيلية بنفس الاجراء فى الوقت نفسه تقريبا . وسلح هذا الحرس وخصص له مكان استراتيجى فى الطائرات ، ولكنه كان من أسف بلا حول ولا قوة فى تأمين الطائرات . وربما نسبت له مسئولية الحوادث فى بعض الحالات . على أن الدعاية التى أحاطت وجوده قد ساعدت لفترة طويلة على تخفيف وطأة التهديد بدرجة ملحوظة .

وحماية رئاسات المؤسسات أيسر كثيرا . فبالامكان عدم السماح لأحد بدخولها الا بعد فحص بطاقات الهوية ومعرفة الغرض من الزيارة ، والتأكد من سبق تحديد موعد لهم بعد مراجعة الأوراق الدالة على ذلك ، وفى هذا الاجراء الكفاية ، على شريطة تعزيزه بعقد دورات تدريبية لتعريف جميع العاملين بالاجراءات الأمنية (انظر الفصل السابع عشر) . وربما ظهرت مشكلات أخرى فى حالة الفنادق ، التى كانت لجملة سنوات من بين أهداف الارهابيين ، وان كانت أية رئاسة من رئاسات المؤسسات قادرة الآن على تزويد مسئوليها الذين يتنقلون من مكان لآخر ببيانات عن التهديدات التى يتعرض لها الوافدون من دول مختلفة . وليس من العسير الحصول على هذه البيانات عن طريق الملحقين التجاريين والمسئولين عن الأمن فى الفنادق الراقية ، ولا ننسى أيضا وجوب الاسترشاد بقيمة الفدية التى ترد فى التهديد .

وعلى الرغم من أن اختطاف الأشخاص والرحلات الجوية يمثلان الأخطار الرئيسية التى تواجه الدبلوماسيين والمسئولين ، الا أنه يجب أن لا يغيب عن فطنتنا أن هناك أشكالا أخرى من الاختطاف قد حدثت فى محاولة لابتزاز المال من الشركات والأفراد ، ولقد احتل حادث سرقة (شيرجار) فى ولاية كيلدارى فى جنوب ايرلاندة حيزا كبيرا فى أنباء المملكة المتحدة أشبه بالحيز الذى تحتله حالة اختطاف احدى الطائرات ، فلقد أختطف فى فبراير ١٩٨٣ من حظيرته الحصان شيرجار الذى أحرز جملة جوائز فى ميدان ربع الدربى ، والذى يعد قرة عين أغاخان وطلبت فدية ، ولكن المفاوضات التى تولت أمرها احدى الشركات الخاصة أخفقت · ويفترض بوجه عام أن الحصان قد مات الآن · وألقيت مسئولية هذا الحادث على عاتق منظمة الجيش الايرلاندى المؤقتة

لا يبدو أن هناك قاعدة احصائية يمكن الاستناد اليها فى تقدير الفترات التى ترتفع فيها أعمال الارهاب الى ذروتها ، وان كان أكثرها يحدث أثناء أعياد موالد القديسين والشهداء ، وخلال المواسم الدينية فلقد اختارت (PIRA) أهدافها الارهابية فى انجلترا ابان عيد ميلاد السيد المسيح زهاء جملة سنوات ، ويتعين أن يتضمن أى تقدير للأحداث التى تهدد الأمن القومى الفترات التى يحتمل حدوث عنف فيها ، ان وجدت ·

وربما كان من الخطأ ــ أخلاقيا ــ التحدث بشىء من التفصيل عن الأهداف المحتمل تعرضها لاعتداء الجماعات الارهابية ، والتى تجاهلوها حتى الآن ، ويكفي القول بأن هناك مواقع عديدة سيكون حدوث أى اعتداء ارهابى عليها من أبشع الكوارث ·

★★★

٨ ـ الاغتيال

... انها الصورة المتطرفة للرقابة

(جورج برناردشو The Rejected Statement)

من المؤسف ، وان كان من المعقول أن نتصور إن تداعى المعايير التقليدية ، وما صحب ذلك من استعداد متزايد للالتجاء للعنف لتحقيق غايات سياسية قد خلق بالفعل تنظيمات سياسية فى جميع البلدان ، وكلمة assassination (اغتيال) لها أصل مثير للاهتمام . فلقد ظهرت فى بواكير عهد الصليبيين والحروب الدينية فى الشرق الأوسط ، عندما اتبع القائد الاسلامى العظيم صلاح الدين تكتيكا كان له أبلغ أثر على كفاية المقاتلين وروحهم المعنوية ، اذ كان يزود محاربيه الذين كانوا يهاجمون ليلا « بالحشيش » (*) ، وعندما يتخدرون ويتشبعون بالحماسة الدينية ، كانوا يتسللون الى صفوف خيام الصليبيين فى الظلمات ، ويقطعون رقاب الجنود النائمين ، وعرف هؤلاء الجنود باسم « الحشاشين » ، ومن هذه الكلمة العربية أشتقت الكلمة الانجليزية assassination والأغتيال موجود عندنا منذ قرون ، ولكن فنه ارتقى بمضى الزمن .

عليك أن تتوقف قليلا لتتأمل أسماء بعض زعماء العالم الذين أغتيلوا فى السنوات الأخيرة ، ولاحظ انتماءهم إلى مختلف أقطار العالم :

(★) يخلط المؤلف خلطا فاحشا بين صلاح الدين وبين حسن الصباح زعيم فرقة الحشاشين فى شمال سوريا .

الرئيس ألندى (شيلى) والرئيس شرماركى (الصومال) والرئيس موندلين (موزامبيق) والرئيسة باندرانيكة (سريلانكة) والملك سعود والملك فيصل (السعودية) والرئيس ريمون (بنما) وتوم مبويا (كينيا وسيرريتشارد شاربلس (حاكم برمودة) والشيخ عثمان (اليمن الشمالى) والرئيس راتبيسماندراما (مالجاشى) والشيخ الرحمن (بنجلاديش) والرئيس ثومبالباى (تشاد) والرئيس كيندى (الولايات المتحدة) والرئيس محمد (نيجريا) وايرى نيف (انجلترا) وأنور السادات (مصر) ومسز أنديرا غاندى (الهند) (*) ، بل وحدثت محاولات أخرى لاغتيال البابا والمسز تاتشر . ولو ذكرت القائمة كاملة بحيث تتضمن أيضا مئات المحاولات التى لم تنجح لازدادت القائمة طولا ولبدت مخيفة لأنها ستضم شخصيات تنتمى الى جميع أركان المعمورة .

ولقد شهدت السنوات العشرون الأخيرة محاولات انقلابية فى قرابة ٦٠٪ من البلدان الأفريقية ، ونجحت ١٨ محاولة انقلابية من بين ٢٢ محاولة فى أمريكا اللاتينية ، بينما تعرضت ٦٢٪ من البلدان الأفريقية لمصائر مماثلة ، مع حدوث محاولات فى أغلب الدول الأخرى . وعلى الرغم من أن الانقلابات ليست منتشرة فى الشرق الأوسط (فنسبتها لا تزيد عن ٥٠٪) الا أن حوادث الاغتيال ومحاولات اغتيال الزعماء السياسيين والزعماء التقليديين أمر شائع .

واذا نجح العنف كوسيلة لتحقيق غاية سياسية ، فانه سيصبح أقرب الى المرض المتوطن ، فستعمد شخصية تلو الأخرى بعد أن تتعرف على الوسيلة ، الى شق طريقها بالقوة الى الأمام لبلوغ ما تعتقد أنه حق شرعى لها : السيطرة على السلطة ، وهكذا يتضح أن الانقلابات والاغتيالات نادرا ما حمت أية دولة من انتشار العنف ، كما أنها لم تساعد على توقفه . ولنأخذ الأرجنتين مثالا لنا . فبين ١٩٥١ و ١٩٥٣ حدثت بها ثمانية انقلابات ، وحدث بها عدد مساو لذلك منذ ذلك الحين حتى الآن (١٩٨٧) . ومازالت بعيدة عن الاستقرار . ومن اليسير التنبؤ بكل اطمئنان بأن ازدياد ارتقاء الأسلحة ووسائل النقل ، وتعقد الدوافع من أثر امتلاء العالم بالمسائل السياسية المعقدة والمآزق الأخلاقية — التى لم تلق الا القليل من الحلول — جميع هذه المؤثرات قد أدت الى حدوث تغيير للحكومات باتباع وسائل العنف ، وأصبحت أمرا مألوفا للغاية .

(*) لقد زادت الأسماء كثيرا منذ ذلك الحين . ويمكن أن نذكر فى آخر شهور سنة ١٩٨٩ مصرع رينيه معوض رئيس لبنان وأحمد عبد الله رئيس جزر القمر .

والاغتيال من بين المخاطر التي تشغل بال جميع الزعماء السياسيين ولقد وجد الاغتيال دائما ، وسيظل باقيا على الدوام ـ فيما يحتمل ـ ولكن ما هو تأثيره على المسافر فى مهمة عمليــة ؟ انه يهمه على جملة أنحاء ، اذ تعد معرفة تقنيات الاغتيال ، ودوافعه وأهدافه جانبا من الفهم الشامل للارهاب • فلقد أدت المخاطرات فى ميدان المصالح الاقتصادية ، وبخاصة فى بلدان العــالم الثانى والعــالم الثالث الى قيــام محادثات ومفاوضات فى الساحات السياسية العليا ، وغالبا ما تدور فى مستوى الرؤساء ونواب الرؤساء • وفى كثير من الأحوال ، كان ما دفع الى حدوث مثل هذه الأوضاع هو الارهاب ذاته • اذ يدين الزعماء الذين اشتهروا بالفساد ، وأيضا الزعماء الذين صمموا على ازالة الفســاد بمناصبهم الى ما قاموا به من انقلاب ناجح أحســن تدبيره ، وبمجرد اســتيلاء هؤلاء الزعماء على السلطة فانهم يحجمون عن تفويض آخرين بتولى الرقابة على المسائل المالية • وسواء أكان الدافع لذلك هو فقدان الثقة ، أو الرغبة فى تضخيم أرصدتهم لمواجهة الطوارىء ، فان هذه النواحى تكاد تكون مسائل ثانوية فى نظر المسئولين من رجال الأعمال • ، ولكنها تعنى احتمــال تعرضهم من حين لآخر لكى يصبحوا أهدافا سياسية أو أهدافا للارهاب فالمدفع الرشاش والقنبلة ـ بوجه خاص ـ لا يفرقان بين الأشخاص • فمجرد الوقوف على المسرح ، وبغض النظر عن هل يعد الشخص بريئــا أم لا فانه سيكون عرضة للوقوع فى أسر قوات الأمن فى أى بلد معاد

ومن الطريف والمثير للانتباه أن نبحث الدافع الأساسى للاغتيال • والدوافع الفردية معقدة للغاية ، ويتعذر توضيحها • وغالبا ما يقتــل القاتل فى المحاولة ، وكثيرا ما يتعذر انتزاع أية معلومات منه حتى اذا قبض عليه • وغالبا ما تستغل الجماعات الارهابية حالات الاغتيال غـير المخطط ، وتدعى مسئوليتها عنها ، كوسيلة دعائية ، وفى حالات ملحوظة لا تتكشف الحقيقة على الاطلاق على نحو مرض • ويكفى أن تتأمل الأساطير والاشاعات والأعذار الباطلة التى مازالت تحاك وتحيط باغتيال الرئيس كيندى • واذا تحدثنا بوجه عام ، سنرى أن الدوافع تنطوى تحت احدى الفئات التالية ، أو قد تجمع بين فئة أو أكثر مما يأتى :

الدوافع السياسية أو الدينية أو الاجرامية أو المالية أو النفسيــة المرضية أو العرقية •

وغالبا ما لا يظهر أى تشابه بين نتيجة الاغتيال والأهداف الأصلية للقاتل • ويصح هذا بوجه خاص عندما يكون « الهدف » رئيسا للدولة

أو يشغل وظيفة سياسية عليا مماثلة · ولعل أفضل مثال لذلك ما حدث عند اغتيال الأرشيدوق فرانس فرديناند فى النمسا فى ١٨ يونيو ١٩١٤ فلقد اشترك فى الحادث ستة رجال ، ومازال الخلاف محتدما بين المؤرخين حول هل كان الجنرل بوتيموريك الذى كان مسافرا برفقة الأرشيدوق آنئذ هو الهدف الحقيقى للاغتيال ؟ · وبغض النظر عن النتيجة النهائية للخلاف ، الا أنه من المؤكد أن الجماعة الفوضوية (اليد السوداء) هى التى خططت عملية الاغتيال ، ولكن لم يدر بخلدها ما ستجره فى أذيالها من عنف وهمجية بعد أن اشتعلت الحرب العالمية الأولى التى أعقبت حادث سراييفو فى التو ·

وبالمقدور تحويل أى شىء من الأشياء التى بين أيدينا الى سلاح · وتخضع الوسائل المستخدمة لقريحة الانسان والحاجات التى تتطلبها العملية التى يراد تنفيذها ، أما الأسلحة التى تنتقى « لعمليات القتل بالأمر » فانها ترتبط عادة بمطلب أو مطلبين هامين ، أولا ، هل ينوى القاتل الهروب بعد اصابته للهدف ؟ ثانيا ـ هل يحتاج السلاح الى اخفاء لتوصيله الى محل استعماله ؟

وباستثناء حالات الشهداء ، الذين يقصدون الشهادة ، والذين يقتصر وجودهم ـ عادة ـ على الشرق الأوسط ، وغالبا ما تكون لديهم تطلعات دينية ، فان الارهابى العصرى يرغب فى معظم الحالات فى الهروب « بجلده » بعد العملية ، وقد أدى هذا الى شيوع أجهزة التفجير عن بعد ، ويليها فى الأفضلية السلاح النارى البعيد المدى · وليس استخدام أجهزة التفجير عن بعد بالأمر المستحدث ، كما يعتقد بوجه عام · تأمل النبذة الآتية :

« فى الاحتفال بيوم القوات المسلحة فى المدرسة الحربية بكاركاس عاصمة فنزويلا ، ركب الرئيس روميلو بيتانكور متنقلا فى شوارع المدينة فى السيارة الليموزين الخاصة بالرئاسة · وكان يتبادل الحديث هو ووزير الدفاع خوزيه لوبيز هنريكيث وزوجته بجواره · وعلى حين غرة ، جنحت السيارة السوداء يقودها السائق ازايل فاليرو وانحرفت تجاه Avenida de los Proceros ، بعد أن اعترضتها سيارة أولدزموبيل موديل ١٩٤٥ ، التى تناثرت على الفور الى آلاف الشظايا وغمرت المكان بالنيران والدخان الكثيف الذى ارتفع الى ما يزيد عن ثلاثمائة مترا ، وحاول الرئيس ووزيره فتح الباب الخلفى لاخراج السنيورة هنريكيث لتأمين حياتها ، وبعد أن أصيب بحروق شديدة الشوفير فاليرو ، وأحد المسئولين

بالرئاسة والكولونيل رامون أرماس بيريت ، فانهم سقطوا جميعاً من المقعد الأمامي (١) .

ونجا بيتاكورت من المحاولة ، ولكن وزير دفاعه لم يتماثل معه في الحظ ، فقد مات بعد وصوله الى المستشفى بوقت قصير .

وحتى ما يقرب من السنوات العشر ، كانت الطبنجة هي السلاح المفضل للاغتيال . وربما رجع ذلك الى سهولة اخفائها والحصول عليها . على أن عيب الطبنجة يرجع الى الحاجة الى زيادة الاقتراب من الهدف ، كما أن نسبة عالية من القتلة الذين استعملوا هذا السلاح كانوا يصابون بالذعر في أعقاب المحاولة ، ومن الطريف أن يلاحظ أن عددا كبيرا من القتلة الذين استخدموا الطبنجة ممن قبض عليهم قد ادعوا أنهم مصابون بأمراض عقلية ، أو كانوا مصابين بالفعل . وسواء أكان هذا الادعاء حقيقيا ، أي أنهم كانوا مصابين بالفعل ، أو كانوا قد أختيروا بعناية - بحيث يبدون كذلك - من قبل المنظمات التي كلفتهم بعملية القتل ، فان هذا الأمر لن يعرف قط . ولقد عاني رجال السياسة في الولايات المتحدة بوجه خاص من أولئك المرضى النفسانيين ! . واذا اكتفينا بما حدث في العشرين السنة الأخيرة ، سنرى أن اثنين من أشقاء كيندي قد ابتلوا بمثل هذا الصنف ، وأصيب المحافظ والاس (محافظ ألباما) بالشلل من جراء اعتداء أحد أدعياء الحبل ، وأطلق واحد منهم الرصاص على مارتين لوثر كنج . وفي اليابان سنة ١٩٦٩ هاجم مجنون يدعى شيجيت سوجو وزير الخارجية الأمريكية روجرز وسفير أمريكا ريتشارد ماير باستعمال سكين .

وظهرت أسلحة غريبة في جميع العصور ، فلقد أغتيل في المكسيك في ٣٠ أغسطس ١٩٤٠ ليون تروتسكي أحد زعماء ثورة ١٩١٧ البلشفية وأول قوميسير للجيش الأحمر ، ونفاه ستالين . وأستعمل فأس الجليد لقتل رامون ميركادير . وفي ٢ يناير ١٩٦٩ ، كان الامبراطور هيروهيتو يقف في شرفة قصره ملوحا لجموع تناهز الأربعة آلاف شخص أثناء الاحتفال بالسنة الجديدة ، وأطلق كنزو أوكوزاكي أربعة رصاصات باشينكو من الصلب باستخدام مقلاع ، ولما كان أوكوزاكي واقفا في مستوي الأرض على مسافة بعيدة نسبيا من الامبراطور لذا انحرفت الطلقات بعيدا عن الامبراطور . ويتعين أن يلاحظ أن اسم أوكوزاكي كان مدرجا

---

(١) جريدة التايمس في ٤ يوليو ١٩٦٠ .

فى قائمة الشخصيات الخطرة (وكان الحال هكذا أيضا فيما يتعلق بلىهارفى أوزوالد قاتل كندى المزعوم) · وهذا يبين ضرورة وضع أمثال هؤلاء المشبوهين تحت التحفظ أثناء الفترات التى تظهر فيها الشخصيات الهامة جدا والمعرضة للتهديد فى أية اجتماعات عامة ، ولعل أصدق رجعة الى « الحشاشين » قد مثلها تيديانو كايتسا عندما جرى وسط الزحام وحاول خنق الرئيس سيكوتورى رئيس غينيا · وقد عثر على كيتا فيما بعد وهو يدخن صنفا فاخرا من الأفيون ·

ولربما كان استخدام السم هو أبكر الوسائل المعروفة للاغتيال ، ولا ريب أنه من أفضل الوسائل فاعلية لأنه يتيح للقاتل فرصة عدم الكشف عنه ، وفى الوقت نفسه ، فانه ليس من الضرورى ـ باستثناء حالات الدوافع المرضية النفسية أو المالية ـ انهاء العملية بالقتل ، اذا كانت الغاية المرغوبة هى ابعاد هدف الاغتيال من السلطة ، فاذا أمكن تحقيق ذلك ضد رأس الدولة أو أحد كبار الساسة المسئولين ، باستعمال وسائل تؤدى الى الحاق الشين به أو بهم ، كان هذا هو الأفضل بالنسبة للنتائج التى ستعود على سياسته وحزبه ، وعلى هذا لا يخفى أنه اذا نجح أحد السفاحين المحترفين فى احداث تلف فى مخ الضحية أو أصابه بالعمى أو سرطان الكبد أو المثانة أو الكلى ، فانه سيكون قد حقق مبتغاه ، وبالمقدور استغلال الحالة المرضية الطويلة الأجل عند أحد الضحايا لشن حملة قذرة ضده ، وهل هناك ما هو أفضل لتلويث سمعة أية حركة سياسية من موت زعيمها مصابا بالعمى أو الجنون أو متعفنا اثر اصابته بمرض خبيث ؟ ان هذا شيء مهول ! ، نعم ولكن يؤثر عن K.G.B. (وكالة المخابرات السوفيتية) أنها قد استخدمت ال Caesium كوسيلة للقتل فى العشرين السنة الأخيرة أو يزيد ، ولن يكون الضحية فى حاجة لاكثر من وجبة واحدة اذا أستعمل هذا المسحوق الأبيض الحميد فى مظهره ، لكى يموت بسرطان الكلى فى بحر شهور تسعة · وبوسع القارىء الشغوف بهذه النواحى أن يبذل بعض الجهد ويبحث عن عدد الساسة فى أوربا الغربية الذين ماتوا بسرطان الكلى فى السنوات العشرين الأخيرة ! ·

وتزودنا الصناعات البتروكيمائية فى أواخر القرن العشرين بكميات وفيرة من المواد السامة ذات المفعول الكيمائى القوى الفذ · وبالمقدور ادخال هذه المواد عن طريق الرئتين والجلد أو المعدة ، واذا أحسن اختيارها فانها قد تكشف عن أعراض يكاد يتعذر التفرقة بينها وبين الأعراض الطبيعية · وهذا هو أحد الأسباب التى جعلت الحفاظ على السجلات

الطبية أمرا عظيم الأهميـــة لتأمين حياة الشخصيات العظيمة الأهمية . ويعد الشخص المهدد بنوبة قلبية أو أي مرض من أمراض العصر هدفـا سهلا ، لأن أعراضه يمكن أن تستخضر عن طريق الاستخدام البارع للمواد السامة الميسورة .

وهناك بعض محاليل (*) عظيمة التأثير ، وهي متوافرة في المذيبات المستخدمـــة في الصنـــاعة ، واذا تعرضت للتخفيف والتسخين ستظهر الأكاسيد التي تنتج الفوسجين (اذ ينتج الجرام من ثالث كلوريد الكربون ٢٧٥ مليجرام من الفوسجين) . وليس لأي محلول من هذه المحاليل نقطة اشتعال ، ومن ثم فبالامكان تسخينها دون خوف من حدوث انفجـــار والفوسجين غاز سام وبلا رائحة ، أو لون ، أو بخار . ومن السهـــل استنشاقه . وقد استخدم كسلاح هجومي في الحـرب العـالمية الأولى وتتشابه أعراضه هي وأعراض النوبـات القلبية . ولن يكتشف سببـه الأصلي الا بعد اجراء تشريح دقيق . وبالمقدور استخدام أي محلـــول من هذه المحاليل بسهولة اذا مزج بالبنزين في السيارة ، وعندما تنطلق السيارة وتصل درجة حرارة البنزين الى درجة الحرارة العادية لســـير السيارة فان الفوسـجين يتكون ويصـــل الى مستودع زيت الموتور . وما أسهل انتقاله من عدة فتحات ووصلات الى أن يصل الى مكان جلوس ركاب السيارة عن طريق جهاز التهوية ، وربما تعـرض السائق والركاب لنوبات قلبية ، ولن يوفق في الكشف عن السبب الأصلي الا اذا أجـرى فحص دقيق للحطام ، ويزداد تأثير ثالث كلوريد الكربون اذا أبتلع مع الكحول . وربما أدت حتى الجرعات المعتدلة الى احـداث حـالات تسمم (ويسكى + ثالث كلوريد الكربون والصودا) وابتلاع الـ C.T.C بهذه الصورة مميت بلا شك ، لأنه يحدث تليفا في الكبد من أثر التسمم الكحولي (٢) ، لقد عمدنا الى اختيار حالات الاغتيال المشار اليها آنفـــا قاصدين اما اثبات احدى نقاط النقاش ، أو لأنها وثيقة الارتباط بالفصول التالية ، ولكي نبين اننا لازلنا لم نتعلم دروسا كافية رغم مرور الوقت واذا راعينا وجودنا في مكان قريب من الأحداث المحتملة ، في مجـــرى الميدان المعتـــاد لنشاط رجـــال الأعمال ، والحاجة العامة لفهم أخطـــار الاغتيال ، فانه من المستبعد أن يكون رجل الأعمال نفسه هدفا للاغتيال بالطريقة التقليدية أو الكلاسيكية . على أن هناك ناحية من الاغتيال قـد

(*) من أمثلتها Perchloroethyline, trichloroethylene, trichloroethane وثالث كلوريد الكربون .

(٢) On Cirrhosis of the Liver - on Oettingen.

تهمه بوصفه شخصا عظيم التــأثير بحكم حالته أو بوصفه ممثــلا لهيئـة مسئولة في نطاق منافسة تجارية حساسة . وليست هــذه الناحيــة واضحــة دائمــا ، ولكن بالاستطاعة اتخاذ بعض الاجراءات للتخفيف من أثرهــا . ونحن نشـــير هنـــا الى الاغتيال عن طريق تلويث سمعــة الأشخاص .

ويقصد بهذه العملية غالبا ازاحة الشخص المعرض للحملة من مقاعد السلطة ، ولا يلزم أن يتحقق ذلك عن طريق قتله . وهل هنــاك ما هو أفضل في عالم الاعمال للخلاص من المنافسين من تشويه سمعة ممثـــل المؤسسة أو المؤسسة الكبرى التي ينتمي اليهـــا ، ففي حيـاة كثير من الأشخاص هنات وأحداث تافهة ، ليس لها علاقة على الاطلاق بتيار حياتهم أو أعمالهم أو شخصيتهم . تأمل كيف استطاع بعض جهابذة الاعـــلام استغلال مثل هذه الأحداث ؟ . فما أسهل تحويل سيجارة المـــاريوانا العديمة الضرر التي دخلها شخص ما أثناء صباه ـ من باب العلم بالشيء ـ في أيام الكلية الى اشتباه بتعاطي المخدرات من النوع الثقيل .. وما أيسر النفخ في أية علاقة غرامية قصيرة عابرة ، وتحويل روميو المزعـــوم الى زير نساء غارق في شهواته . وربمـــا استغلت جنح المرور وتحولت الى سجل اجرامي حافل !

ولا يستبعد أن يكون سيسيل باركينستون قد فقد مقعده في مجلس وزراء المحافظين من أثر حملة تشهير متعمدة غولي فيها في تصوير علاقته بالمس كيز . ولقد أشير صراحة الى أن الحملة المسعورة كانت من تدبير جون ستوكر مساعد كونستابل مانشستر الكبرى . وكانت الحملة تهدف الى تعطيله من الاطلاع على الحقائق في بحث كان يقـــوم به في ايرلاندة الشمالية ، وليس من المتعذر التعرف على خلفيـــة أي شخص يعيش في مجتمع حر . واذا كان هذا المجتمع الحر قد خلق أيضا نظاما اعلاميا متعطشا للعناوين الرئيسية التي تجتذب الأيمن ، فانه لن يتعذر تخطيط حملـــة مدبرة لتحطيم شخصية أي انسان .

أن التهديد بفضح الأشخاص وما يعقبه من فقدان لمصداقيتهم هــو الذي ســـاعد على نجاح تكتيكات K.G.B. (في الاتحاد السوفيتي) التي تعتمد على اذاعة الفضائح الجنسية ، وما يعقبها من عمليات تشهير ناجحة الى حد كبير ، نعم انها تحقق نجاحا باهرا ، لأن الشخصيات الحقيقية الكامنة وراءها لا يمكن أن تعرف على الاطلاق . ولقد لجأت جمعيات ارهابية

كالجيش الجمهورى الايرلاندى - يقينا - الى أسلوب التشهير لابتزاز العون المالى وانتزاع المعلومات - الى درجة غير معروفة أيضا • وكم عدد المرات التى وصلت فيها الشائعات ابان حكم كيندى الى الصحافة عن علاقته المزعومة بمارلين مونرو ! وتعرض هارولد ويلسون عندما كان رئيسا لوزراء انجلترا لهجوم خسيس لصداقته بأحد رجال الأعمال المتهمين بالتهرب من الضرائب ، وتحول هذا الهجوم الموجه لظهر شخصية عامة كويلسون الى نكتة وطنية بدلا من أن يؤدى الى القضاء عليه سياسيا ، لأن رد فعل الجمهور البريطانى من النواحى التى لا يمكن التكهن بردود فعلها مما ساعد على القول بأن لديه حصانة ضد جميع أنواع الرذاذ ، على أنه اذا حدث شىء مشابه فى وقت آخر وفى بلد آخر فانه لا يستبعد أن يؤدى الى حدوث نتيجة مختلفة عن النتيجة التى حدثت فى انجلترا ، انه التشهير سلاح خطير يهدد رجال الأعمال تهديدا خطيرا •

* * *

٩ ـ أسلحة الارهابى

تحدث الضغوط الهائلة المترتبة على ردود الفعل الكيمائية الناجمة عن الانفجار صراعا وحشيا بين الفراغ والقوى المضادة ، والأثر الذى يحدث للجسم البشرى مريع · فاللحم ينفصل عن العظام · وسيشاهد أولئك الذين لا يوجدون فى بؤرة الانفجار العضلات والأنسجة وهى تتطاير ، وتتصاعد منها حرارة لافحة · واذا ابتعدنا عن مركز الانفجار سنرى الشظايا المتطايرة من الشرابنل والزجاج وغير ذلك من الأنقاض ، وضررها أخف ، وان استمر وجود الدماء والصدمات المذهلة · وسينقل المصورون الصحفيون صورا لأبشع حالات الدمار والفزع · وعندما يحدث ذلك ، يكون الارهابى قد حقق غايته مرة أخرى ، عندما تنقل أجهزة الدعاية أخبار الصدمات والأضرار الى شتى الأنحاء ·

ولو كان هدف الارهابيين ، كما ذكرنا ، فلا عجب اذا استمرت القنبلة ـ والمتفجرات بمعنى أصح ـ لها القدح المعلى فى ترسانة تكتيكات الارهاب · وبغض النظر عن الأثر الدرامي والخوف الكامن والنفور الذى يبديه معظم الناس من المتفجرات ، فان هناك أسبابا أخرى تفسر سر شعبية مثل هذه الوسائل ، واذا أردنا أن نعبر عن ذلك اعتمادا على نظرتنا المتأملة فان علينا أن نبحث عن ماهية ما يحتاجه الارهابى كما يبين من أفعاله المتنوعة والفظيعة ·

واذا نظرنا الى كلمة « الأسلحة » Weaponery ككلمة عامة تنضوى تحتها كل وسيلة يستعملها الارهابى لتحقيق أغراضه ، وارتضينا القول بأن مختلف العمليات الارهابية تنتج احتياجات متنوعة تعتمد على هدف

الارهاب ، وطريقة الوصول اليه ، ودرجة الدعابة المطلوبة ، ستظل هناك جوانب مشتركة من التفكير فى اختيار المعدات غير المشروعة المطلوبة لاجراء هذه العملية • واذا تصورت هذه المعدات كقائمة للمشتريات ، سيبين أن ما يتحكم فى الأصناف المشتراة أو المسروقة أو المصنوعة هو مجموعة من العوامل •

مقدار توافرها ـ العيار المستحب (فى الأسلحة الرشاشة) ـ سهولة الاخفاء ـ الدقة ـ بساطة الاستعمال ـ امكان الاعتماد عليها ـ أدنى حد للحجم ـ مقدار الضوضاء عند الاستعمال ـ مقدار الابتعاد الميسور عن الهدف •

وكل عامل من هذه العوامل يستأهل البحث ، من ناحية ارتباطه بباقى عوامل اختيار السلاح المناسب ، وباعتباره سيؤثر فى كل مرحلة من مراحل التخطيط فى أغلب سيناريوهات العمليات الارهابية •

مقدار التوافر :

فى الكثير من البلدان الغربية ، لا يسمح باستعمال المفجرات الا بعد الحصول على ترخيصات صارمة • ويراعى عند تطبيق هذه التعليمات عدم المساس ـ بقدر المستطاع ـ بالحقوق الدستورية للمواطن ، التى تسمح له باقتناء الأسلحة لحماية نفسه ، ولممارسة الرياضة ، أو للخلاص من الكائنات الضارة • وبالمثل هناك جملة بلدان ، لا وجود فيها لمثل هذه القيود على الاطلاق ، أو تطبق بتراخ بحيث تعد كأن لا وجود لها • ففى بعض أجزاء من البلدان العربية ، يعد حمل السلاح تقليديا ، من علامات بلوغ حامله سن الرشد • ومن المؤكد أنه ليس من الضرورى لحامل السلاح أو مستورده ، الذى لا يحصل على اذن بذلك ، أن يمر بأية جمارك تحدد أحقية بلوغه سن الرشد وحصوله على مثل هذه الأسلحة الفتاكة •

ومازال من المقبول قانونا فى بعض البلدان التى تتبع نظام الترخيص باستعمال الأسلحة ، امكان الحصول عليها وعلى الذخيرة المرسلة الى الزبون عن طريق الطرود البريدية • ولا يلزم فى بعض البلدان اثبات الاستلام وتسجيله بعد التأكد من شخصية المستلم • ويكتفى باخطار مراكز الشرطة المرهقة بكثرة الواجبات باسم المستلم ورقم الترخيص •

وفى جميع المدن الكبرى فى العالم ، هناك سوق سوداء لبيع الأسلحة النارية والمتفجرات والذخائر ، وما يصحبها من أدوات مكملة •

ومن الممكن أن تكون هذه الأصناف من تذكارات الحروب أو بعض المعارك أو قد تكون مسروقة من مصادرها الأصلية ، أو ربما أجريت فيهـــا بعض تعديلات لاحقة بمهارة فى بعض المصانع حسنة التجهيز (يوجد فى أية مكتبة عامة معلومات تعرف المقتدرين من الهواة المتحمسين كيف يجرون هذه التعديلات) ٠

وكثيرا ما يسوق الطريق الى توفير الأسلحة الى الفساد والشراهة وتحجم الادارات الحكومية عن الكشف عن احصاءات السرقة والمفقودات أثناء المناورات ٠ بيد أنه فى بلدان « الناتو » وحدها ، قد عرف أن مثل هذه الأرقام قد تصل الى العديد من مئات الأسلحة كل عام ٠ وذكر أحد المصادر الموثوق منهـــا أن بين ١٩٧٠ و١٩٧٥ ، أبلغ جيش الولايـــات المتحدة عن سرقة احدى عشرة ألف قطعة ، كان من بينها الصواريخ أرض جو Redeye ٠ وفى سنة ١٩٨٠ وجهت الاتهامات الى مدنيين حاولوا بيع كميات هائلة من الذخيرة ٠ وعرف أنهم من أصل ايرلاندى ، واتضح ــ فيما بعد ــ أنها مسروقة من مخازن البحرية الأمريكية ، ومن الأحداث التى أحسن الدعاية لها فى شنهر أكتوبر السالف الذكر ، ما ذكرته السلطات الايرلاندية عن القبض على صيادة للسمك تدعى ماريتا آن ، التى اكتشفت أن الأسلحة التى حملتها للجيش الجمهورى الايرلاندى كانت مسروقـــة ــ فى الواقع ــ من بنادق الجيش الأمريكى ، ويعرف دارسو الفيزيـاء أن خلطات المتفجرات بالمقدور تحضيرها من مكونات تعد ظاهريا من العناصر غير الضارة ، وبالاستطاعة شراؤها من أى محل للكيماويات أو السوبر ماركت ٠ ومن يتشكك فى ذلك ، ما عليـــه الا أن يطلع على الجـــرائد والنشرات الشعبية التى توزع فى الخفاء ٠ وفيهـــا يذكر على سبيـــل المثال : « بوسعك أن تكون Your 077 » أو « لقد أصبح الثأر عملية سهلة » ٠ ولقد يسرت هذه النشرات وأمثالها مثل هذه العمليات ٠

ومن المشكوك فيه ما يقال عن تعذر الحصول على الأسلحة ابتداء من الصاروخ أرض ــ جو الذى يمكن حمله ، والرشاشات الثقيلة والخفيفـة حتى أصغر الطبنجات ، مادامت هناك النقدية الكافية للشراء ٠ ويتناسب نجاح السوق السوداء تناسبا طرديا هو وهشاشة الناس ، وتزيد سهولة تلبية احتياجات المتمردين والارهابيين والمجرمين ذلك ، وسيستمر الأمـــر هكذا ٠

العيارات المستحبة :

الأسلحة الاكثر توفرا والأسهل فى الحصول عليها هى تلك التى

لها سوق عسكرية وشبه عسكرية واسعة . وغنى عن البيان أن مثل هذه السوق الكبيرة فى السلاح تستلزم وجود سوق هائلة للذخيرة . وتبعا لمبدأ الشيء لزوم الشيء ، فانها تتطلب رأسمال لتجارة قطع الغيار التى تعد من أهم مصادر المواد التى يحتاج اليها لصنع أسلحة غير مرخصة .

وما لم يكن السلاح مطلوبا لتنفيذ مهمة عالية التخصص ، فان الارهابى يطالب عادة بالعيارات الشائعة (٩ مم على سبيل المثال) لكى يطمئن الى وجود مصدر تموينى سهل دائم ، وأيسر نسبيا فى تزويده بالسلاح . ومن الأسلحة الميسورة أيضا في المتاجر ، المعدات ذات التعمير الذاتى ، التى تتميز بصغر حجمها وامكان حملها فى حقائب اليد .

سهولة الاخفاء :

لا يقتصر هذا النوع ، كما يدرك لأول وهلة ، على المدافع التى تحمل باليد . فهناك أعداد متزايدة موجودة فى الأسواق الآن من التجهيزات التى تساعد على اعداد أسلحة قادرة على تحقيق الغاية المطلوبة . ولقد أمكن تكييف أنواع كثيرة من الطبنجات من موديلات مختلفة بحيث يستطاع تركيبها فى حقيبة الأوراق وغيرها من الأدوات السهلة الحمل على نحو يساعد على سهولة التصويب الدقيق بها . ويساعد استعمال القذائف الليزرية الصغيرة على توفير قدر كبير من الدقة لهذه التجهيزات . وبالمقدور تزويد الطبنجات ذات الأعيرة الصغيرة بكاتم للصوت يسهل ضبطه ، أو بمعنى أصبح قامع للصوت . اذ كان حدوث الصوت من الكوابيس التى تقلق الارهابى وتثير مخاوفه ، ولقد أمكن تذليل هذه الناحية أيضا .

وبالاستطاعة فك الكثير من الأسلحة الى قطع صغيرة تسهل مهمة الارهابى اذا أراد نقلها الى الطائرة التى فى النية اختطافها . ويزداد الميل الى الأسلحة التى يمكن انتاجها بغير استعمال لأى عناصر اضافية ، أو باستعمال القليل منها ، وان كانت المواد البلاستيكية ذات الكثافة العالية ، والفايبر كاربون غير قادرة على التغلب على مشكلة الفحص بالاشعة السينية، ومن الميسور الحصول على قطع من مواد مماثلة قادرة على الالتصاق بصفة وقتية ، وبمقدورها خداع الجميع ما عدا حراس الأمن بعيونهم الساهرة .

الدقـــة :

وهذا مطلب هام للمتخصص . فمن المحتمل أن يراعى الارهابى عند انتقائه لأسلحته معدلات نيرانها والمساحات التى بمقدورها غمرها ،

وبخاصة عندما يتوقع الاشتباك فى معارك مستمرة هو والقوات النظامية • ولعل تكتيكاته الأساسية تعتمد على نصب الكمين ، على أن يتبع ذلك بغارات صاعقة ، يلجأ فيها الى احداث ضجيج مصحوب باطلاق كمية كبيرة من النيران ، سعيا وراء شدة الاثارة •

بيد أن السفاح الذى يهوى توجيه ضرباته عن طريق القناصة ينشد الحصول على قدر كبير من الدقة • وفى هذا العصر الذى اشتهر بدقته ، ليس من الضرورى أن تكون البندقية هى التى تستهويه • فلقد أقنعت احتياجات الرياضة المصممين بانتاج أسلحة أصغر من البندقية العادية لها مدى مماثل للأعيرة الكبيرة ، ولا يزيد عيارها عن ٧ر٦٢ مم • ويساعد صغر حجمها على اخفائها ، ومن ثم أخترعت طبنجات طويلة المدى ودقيقة ، وتتطلب مثل هذه الأسلحة استعمال مناظير تساعد على احكام الارهابى للتصويب على نحو لم يحلم به أحد من قبل ، ويتعين القول أنه لما كانت السوق العمومية لمثل هذه الأسلحة النارية صغيرة ، خارج الولايات المتحدة على أقل تقدير ، لذا تزداد صعوبة حصول الارهابى عليها من السوق السوداء •

وعند الكلام عن عامل الدقة ، يجب أن لا ننسى « القنبلة » • فبينما تتبع قنابل الارهابيين وأجهزتها فى استخدامها – اذا تحدثنا بوجه عام – قاعدة « اقتل كل من يقف فى طريقك » وقاعدة « عليك أن تدمر العقارات » ، الا أن هناك حالات تتطلب قدرا أكبر من الدقة • وفيما يتعلق ببعض أهداف بالذات ، فان هذه الدقة ميسورة ، بالرغم من أن من يوفق فى ذلك عادة هو المخرب البارع ، وما أيسر وأجدى آية شذرة قاتلة من الشرابنل تتوافر لها مميزات المقذوفات كامكان انطلاقها لمسافات بعيدة ، ولا يثير شكلها أى اشتباه بأنها قنبلة بلاستيكية • ويتيح ذلك للمحترف الماهر القدرة على صنع أشراك خداعية شيطانية أو أجهزة تتحكم فيها عن بعد من مسافات بعيدة تؤمن حياته من عدوان هدفه المقصود •

بساطة الاستعمال :

على الرغم من أن الأسلحة المتقدمة المعقدة تحقق غايتها عندما يستعملها بعض الارهابيين من أصحاب الخبرة ، الا أن هناك رغبة عامة تطالب بمعدات أبسط وأبعد عن التعقيد لسهولة استعمالها ، والمصدر الذى يزود الارهابيين بالمجندين فسيح للغاية ، ففى مناطق كثيرة ، يختار المجندون من القرويين غير المتعلمين ، وغالبا من بين الطلبة ، وفى بعض

الأحيان من الأغنياء العابثين ، واذا تحدثنا بوجه عام سنقول أن هذه القاعدة التجنيدية تأتي بفئة من الأشخاص ليس لديهم أى شعور فطرى أو خبرة بأى نوع من أنواع الأسلحة ·

وقد تقتضى الضرورة تدريب المجندين على عجل · وليس من شك أن الظروف قد تتطلب تكليفهم باحدى العمليـــات بغير تدريبهم على أى نحو ، ومن ثم فيتعين أن تتصف أسلحتهم بالبساطـــة فى استعمالها ، وتجنح أغلب الأسلحة العســكرية الصغيرة الى الاتصــاف بالبساطة · ولا يعنى هذا افتقار الجندى الى الذكاء · فالمبدأ الذى تعتمد عليه فكرة البساطة هو الحاجة ــ عادة ــ الى حشد أعداد كبيرة فى ميدان المعركة ، واحتمال قيام غير الفنيين باجراء عمليات اصلاح الأسلحة ·

وتناسب بساطة الاستعمال حالة أجهـــزة المتفجرات المصنوعة فى المنازل (البيتى) · غير أن « الأحداث المنزلية » أو الاصابات التى أحدثها بعض الأشخاص لأنفسهم قد جاءت غالبا فى ايرلاند الشـــمالية من أثر المبالغة فى تبسيط صناعة القنابل ، التى قد تؤدى الى اهمال وضع أجهزة تأمينية ، وما يترتب على ذلك من نتائج محتومة ·

امكان الاعتماد عليها :

ويرتبط هذا العامل ارتباطا وثيقا بعامل البساطة · فغالبا ما تؤول أسلحة الارهابيين الى اناس بعيدين عن المهارة ، أو من المتهاونين فى هذه الناحية ، الى جانب انتقالها من مستعمل لآخر · وكثيرا ما تخزن الأسلحة تحت الأرض فى لفافات غير أصولية ولفترات طويلة (وأحيانا تتعرض للماء) وهذا سبب من الأسباب التى تفسر لماذا استمرت أسلحة قديمـة بطل استعمالها تلعب مثل هذا الدور البارز فى تسليح الارهابيين رغم انتهاء مدة استعمالها · ويرجع هذا بالطبع الى سهولة الحصول على مثـل هذه الأسلحة · ان هذا لا ينقص من امكان الاعتماد على الأسلحة الحربية الحديثة · فالأمر بعيد عن ذلك · فلعلنا قـــد اقتربنـــا من اليوم الذى ستصادف فيه الجهات المسئولة عن فرض القانون بارهابيين يستخدمون أسلحة من آخر طراز ·

الحد الأقصى فى المدى وأدنى حد فى الحجم :

وهذا أيضا مطلب عام لجميع المشتغلين المتخصصين فى الارهاب ، وبخاصة القناصة ، والارهابى الذى يحرص على الاطمئنان الى امكان فراره

بعد انجاز مهمته . ولابد من القول بأن سوق البنادق ذات الدقة العالية والمدى البعيد أصغر نوعا من سوق الأسلحة اليدوية . وربما كانت الولايات المتحدة استثناء من هذه القاعدة . ففيها فرص هائلة للاستجابة لرغبات من يسافرون الى بقاع قصية ابتغاء لصيد الوحوش الضخمة ، أو من يسافرون وحدهم قاصدين المتعة حاملين مثل هذه الأسلحة لاطلاقها على الفريسة أو لحمايتهم من الحيوانات المفترسة .

ويتوجب عدم نسيان مقدار ما تضيفه المناظير الجيدة الصنع من دقة الى قدرة المصوب المسلح تسليحا هزيلا ، وان كانت المناظير الجيدة لن تحول أية طلقة رديئة التصويب الى طلقة قاتلة . ولقد دار السؤال حديثا فى أوربا حول امكان اخضاع المناظير الدقيقة وغيرها من الاجهزة المكملة للأسلحة للترخيص . وهذه مسألة خلافية . على أن الوقوف ضد هذا الرأى قد لا يكون مجديا .

درجة الضوضاء المترتبة على استخدام السلاح :

« كوسيلة من الوسائل التى يعتمد عليها الارهابى ، باستطاعة مخترع القنبلة الصامتة أن يجنى ثروة طائلة » . لقد استمعنا الى هذا القول همسا فى أحد المعارض الدولية التى خصصت جناحا كبيرا من أجنحتها للأسلحة والذخائر ، وبطبيعة الحال ، فان القنبلة الصامتة مسألة مستحيلة تقنيا ، ولقد ذكرنا هذا العامل لكى نثبت أن درجة الضوضاء المصاحبة للسلاح ربما كانت أحيانا فائقة الأهمية للارهابى . فقد يكون ارتفاع الصوت فى حالات خاصة أمرا مرغوبا ، مثلما يكون انعدام الصوت مرغوبا فى حالات أخرى ، كما يبين مما حدث فى يوم الجمعة الدموى أو الأحمر Bloody Friday فى بلفاست فى ٢١ يوليو ١٩٨٢ ، فلقد شهد هذا اليوم القاء عشرين قنبلة من هذا النوع فى المدينة وفى نفس الموعد ، أى عقب الظهيرة أثناء ذروة الزحام فى ساعات التسوق ، وقصد بالضجيج أن يكون مساعدا هاما على احداث الارتباك والذعر عند عامة الناس وقوات الأمن والانقاذ . ونظر الى الغضب العارم على أنه اعلان للعالم بأن الجيش الجمهورى الايرلاندى مازال قادرا على شن هجمات فى المنطقة ، رغم زعم الصحافة « خلع أنياب الارهابى وقضم أظافره » .

واذا نظرنا للوجه الآخر للعملة ، أى الحاجة للصمت ، سنرى أن الأسلحة النارية تحقق أهمية خاصة ، وفى بعض البلدان ، تعد أجهزة « كتم الصوت » غير مشروعة . ولا تقر بلدان أخرى ذلك . وبغض النظر عن المشروعية أو عدم المشروعية ، فليس من الضرورى وجوب الحصول على

ترخيص للحصول عليها · وكلمة « كاتم الصوت » اسم على غير مسمى · فبالاستطاعة كتم الصوت تماما فى أى سلاح نارى ، غير أن النتيجة قد تدفع الى عدم استعمال هذه الوسيلة ، أو قصر استعمالها على نطاق محصور ·

وليس « كاتم الصوت » بالشيء المستحدث تماما · فلقد وجدت هذه الأجهزة حتى قبل الحرب العالمية الأولى ، وكانت تصنع بمعرفة الشركة الأمريكية التى يملكها هيرام ماكسيم ، وأيضا شركة باركرهيل هوبكنز والين فى المملكة المتحدة ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وما صحبها من وفرة فى القوات الخاصة الرسمية وغير الرسمية ، وازدياد الحاجة الى قتل الأشخاص فى صمت ومن مسافات قريبة · والهمت هذه الرغبة الباحثين للسير فى هذا الدرب ، وأنتجوا أسلحة أعظم تأثيرا ·

ولم يحل انعدام الحاجة عند الرسميين اليها بعد الحرب ، دون قيام جهود خاصة للارتقاء بها · فلقد نجحت شركة Sterling Arms فى المملكة المتحدة فى استحداث صورة منقحة لجهاز كتم الصوت ، وقامت باختباره شركة S.M.G. وتوثقت من صلاحيته ، ومازال كثير من المسئولين يزعمون أنه يمثل قمة المدافع الرشاشة القصيرة · أما البندقية هكلر وكوخ M P 5 SD فمن المعدات التى تسعد من يستعملها · غير أن ما تنتجه المصانع الخاصة من مبتكرات هو الذى يلقى اهتمام الارهابيين فى أغلب الظن ، واذا أستخلص من هذا الرأى ما أنتجه بعض مهندسى "garden shed" من أجهزة لكتمان الصوت للقذافى فلن يكون هذا الاستنتاج بعيدا عن الصواب ·

فمن الحقائق الثابتة أن مثل هؤلاء المتحمسين قد أثبتوا امكان قيام أى مهندس « نص نص » بانتاج مثل هذه الأجهزة ، ومن الحق أن الصيادين اللصوص أو الذين لا يحملون ترخيصا بالصيد فى أوربا والولايات المتحدة قد ظلوا يستعملون لسنوات طويلة أجهزة كتمان صوت « بيتى » ، ويركبونها على أسلحة من عيار صغير ٢٢مم · واذا حشونا أى وعاء من البلاستيك من النوع المستعمل فى الغسيل بقطعة صوف من النوع المستعمل فى جلاء الأوانى ثم ربطناه بشريط لأغراض التمويه بثقب صغير فى ماسورة أية بندقية ، فاننا سنحصل على كاتم صوت وخاف للوهج من أفضل نوع · وعدد الطلقات التى يمكن اطلاقها بهذه الوسيلة محدود للغاية · ولكن ربما تكون الحاجة الملحة هى التى تدفع لذلك بحثنا وراء وسيلة رخيصة ·

ولقد بلغنا الآن مرحلة يمكن فيها شراء كواتم للصوت مختلفة التأثير يستطاع بوساطتها تطويع الأسلحة لمختلف الغايات التى ننشدها ، والتى قد تعد بديلا لعدد كبير من الأسلحة التى يشتهيها الارهابى • والقدرة على كتمان الصوت تهم القائم بالاغتيال أو السفاح أكثر من أى ارهابى آخر • ولقد كانت الطلقة الدقيقة التصويب التى لا يسمع صوتها دائمـــا بمثابة كابوس لرجال « البودى جارد » أو الحرس الخـاص • فبحكم عجزهم عن تحديد مصدر السلاح النارى بالنظر أو بالسمع ، فانهم يضطرون الى التزام الموقف الدفاعى الشديد التعرض للخطر ، ويعجزون عن القيام بأى هجوم أو اقتحام ، ان هذا يمنح السفاح ــ لو كان قد احسن اختيار موقـــع تصويبه ــ القدرة على اطلاق طلقتين أو ثلاث طلقات مما يزيد من امكانيات هروبه •

القدرة على الضرب عن بعد :

ومصطلح Stand-off من المصطلحات العسكرية أصلا • ولقـــد استعملناه لأنه يساعد على توضيح هذا العامل ، وفى هذا المقام ، فـــان ما يهمنا هو استعمال المتفجرات التى تيسر للمعتدى باستعمال جملة وسائل متنوعة القدرة على التحكم فى عملية التدمير عن بعد ، فبمقـــدور من يلقى القنبلة أن يقف عن بعد ، ويرى النتائج فى الوقت المناسب ، وأن يطلع على أخبارها فى الصحف أو يشاهدها فى التليفزيون ، أثنـــاء استمتاعـــه بتناول مشروبه المفضل •

وهناك نوعان أساسيان من المتفجرات : شديدة الانفجـــار ولهـــا تأثير باتر قاطع ، ومتفجرات معتدلة الانفجار لها تأثير دافع «Push» والنوع الأخير أكثر شيوعا فى المناجم والمحاجر • وتساعد هذه الخاصيـــة على امكان الحصول على هذه المتفجرات فى أى مكان من العالم • والمتفجرات الشديدة الانفجار H. E. « والبلاستيكيات » الحديثة لها فوائـــد متخصصة ، أكثرها للأغراض العسكرية • وبالمقدور التحكم فيها تحكمـــا دقيقا ، وتتميز بثباتها وعدم تعرضها للتلف مما يساعد على تخزينها وحملها والاحتفاظ بها ، وتفسر هذه المزايا السر فى ارتفاع ثمنها • وثمة مكونات عامة تشترك فيهـــا أغلب المتفجرات ، ممـــا يجعلها عرضة للاكتشـــاف باستخدام وسائل التبخير ، وان كان بالاستطاعة فى كثير من الأحيـــان التغلب على ذلك • ومن المتفق عليه امكان الاعتمـــاد على الكلاب أكثر من المعدات فى هذا الشأن ، بل وربما كان الخنزير أفضل من الكلب فى هذا المضمـــار ، رغم صعـــوبة تدريبه وتغيير عـــاداته الشخصية ، كما أنه لا يحترم الأديان ، (والأديان لا تحترمه) ولا يعترف بما هو غال أو ثمين •

بالاضافة الى أنه لا يلقى الكثير من الترحيب فى قاعة كبار الزوار بالمطارات !

وفى عمليات الارهابيين ، هناك أنواع من المخاليط المتفجرة بين بين (أو البينية بلغة كرة القدم) لعل أشهرها هو مخلوط ANFO Coop والمخصبات (التى تستعمل لتزويد النبات بالنيتروجين) • ويساعد زيت الديزل (السولار) على اكساب المادة طابعا رخويا ، وقد اتبع الجيش الجمهورى الايرلاندى هذه الطريقة لمدة طويلة عندما قاموا بحشو مقادير ضخمة من هذا المخلوط فى المجارى والمخضات وما أشبه • وكانت النتيجة مهلكة •

وتنتقى المتفجرات عادة من أجل آثارها المريعة ، وامكان تفجيرها عن بعد • فليس جميع الارهابيين بالزهاد والقديسين الشهداء على الاطلاق • وعلى رأس العوامل التى تراعى فى تخطيط العمليات من هذا النوع تأمين طريق الهروب •

ومن أكبر الأحداث الحافلة لالقاء القنابل فى السنوات الأخيرة عملية اغتيال الأدميرال لويس كاريرو بلانكو ، الذى كان يشغل آنئذ منصب رئيس وزراء أسبانيا ، وكان شديد الميل لاقتفاء أثر الجنرال فرانكو • وقبل يوم ٢ ديسمبر ١٩٧٣ بأيام ، انهمكت جماعة من العمال فى بعض الأشغال فى أحد الشوارع المديدة ، وعكفوا على وضع اللمسات الدقيقة الأخيرة لجزء من الطريق ، كان يستخدمه موكب رئيس الوزراء • ونجح الارهابيون من الباسك ، وهل يتوقع أن يثيروا أية شبهات وهم يقومون بأعمال من صميم واجبهم ؟ • ومن ثم قاموا بوضع ما يمكن أن يوصف بقنبلة المجارى الضخمة ، وتم تفجيرها بدقة بالغة ، وأمكنها الاطاحة بالسيارة الليموزين الخاصة برئيس الوزراء وقذفتها الى أعلى الكنيسة المجاورة وزعم رجال الباسك أن ما قاموا به كان انتقاما لقتل عدد من أقرانهم •

واذا أريد اتمام عملية التفجير عن طريق زر كهربائى ، فان كل ما هو مطلوب لا يزيد عن قدر كاف من التيار الكهربائى لتسخين سلك رفيع (طوله ٥ر٢سم) يستعمل كمعبرة • وتستغرق هذه العملية مدة من الزمن تقاس بكسور من الثانية • وهذا يبين مقدار ضآلة القوة الكهربائية المطلوبة • والأحجار المستعملة فى الحاسبات وما أشبه متوفرة فى السوق ، وتعد كافية لانجاز هذه المهمة • ولقد حققت تكنولوجيا آلات التصوير تقدما عظيما ، ساعد على ابتكار ما يدعى بالخلايا الورقية التى لا يزيد سمكها عن سمك ورق التصوير ، ولكنها قادرة على توليد طاقة كهربائية هائلة باستطاعتها اشعال مفجر صغير ، وبذلك يتم التفجير •

وحققت الطريقة نفسها التى تعتمد فى صناعة الساعات على الكوارتز

بدلا من البايات ، طفرة فى صنع القنابل لا تقارن بها أيام استعمال الساعات الزنبركية وموقتات الغسالات وما أشبه . فلقد غدا من الميسور الآن زرع قنبلة زمنية دقيقة قبل الوقت المطلوب للانفجار بحيث يتم خـــلال ثـوان معدودة وبمنتهى الدقة .

ولعل أفضل مثل معروف للقنـــابل ذات جهاز التفجير المتمهل فى فاعليته هو القنبلة التي وضعت فى الجراند هوتيل فى برايتون ببريطانيا. وبرايتون هى المديـنــــة التى عقد فيهـــا حـزب المحافظين الحاكم مؤتمره السنوى . واختير الجراند هوتيل كمكان للاقامة من قبل كثير من الأعضاء وعلى رأسهم رئيسة الوزراء نفسها (مرجريت تاتشر) . وانفجرت القنبلة فى ١٢ أكتوبر ١٩٨٤ . ولولا ارادة الله ولطفه لنجحت القنبلة فيما فشل فيه جى فاوكر Fawker ، وانتهى الأمر بازهاق أرواح أغلبية مجلس الوزراء البريطانى . وشاءت الأقدار أن يقتل خمســـة أشخـاص ويجرح عديدون جروحا بليغة ، ولو صح القول بأنها حققت شيئا نافعا واحدا لكان هذا الشيء هو أنها كشفت القدرة التخطيطية والخبرة التقنية لـدى بعض أعضاء الجيش الجمهورى الايرلاندى . ومن المعترف به فى دوائـر الشرطة البريطانية أن الجيش الجمهورى الايرلاندى يضم بين صفوفـــه بعض أفضل التكنولوجيين فى العالم .

ولم يقتصر الأمر على استخدام أجهزة التوقيت فى تفجير القنـــابل المريعة . ففى ٢٧ أغسطس ١٩٧٩ فى « وارين بوينت » فى شمال ايرلاندة قتل ثمانية عشر جنديا وضابطا فى الكتيبة الثانية من لـــواء المظـــلات (الشياطين الحمر) فى كمين وضعت فيه متفجرات تتفجر عن بعد من مركز قيادة الجيش الجمهورى الايرلاندى . وكانت عملية تكنولوجية بارعــــة ، وتطابقت فى تكتيكها هى وعملية تفجير أخرى جرت على ظهر يخت الايرل مونتباتن (خال الملكة) فى بورما . وتسببت القنبلة فى مصرعه ومصرع عدد من الآخرين على ظهر اليخت . وأثار الحادث لغطا واضطرابا فى الرأى العام ندر حدوثه فى المملكة المتحدة .

وربما كان الأكثر افزاعا واثارة للتقزز الدائم الانفجار الذى حدث على سطح احدى الطائرات ، وترتب عليه سقوط العديد من القتلى بلا تمييز . وقررت عدة مراكز معلومات القنابل عدم استبعادها أن يكون الحادث من تدبير « أبو ابراهيم » (الاسم الحركى) ومن أعظم خبراء هذا الفن ، بعد أن حقق درجــة عاليـــة من الخبرة فى استعمال المبتكرات البارومترية (*) للتحكم فى تفجير الحقائب المفخخة فى جوف الطائرات .

(*) قنبلة تنفجر عندما يرتفع عمود الزئبق فى البارومتر الموجـــود فى « تابلو » الطيارة الى درجة معينة محسوبة . وليتنى أعرف سرها ، لأنها من الأشياء الغريبة حقا .

والحقائب الملغمة أمر شائع ـ بطبيعة الحال ـ وساعد على احـــداث ثورة في هذا الفن ما حدث من تطور في المتفجرات بعد أن اتخذت شكـــل الرقائق اللاصقة ، والتي كانت مصممة أصلا لأغراض حربية متخصصة . وتصنع المتفجرات الآن في أشكال منمنمة بحيث يكون من المقدور طبعهـا على جزء صغير من المعدن الذي يستعمل في تدريع بعض الحقائب ، وبذلك تكون في مأمن من اكتشاف العيون اليقظة للمسئولين عن الأمن . وليس الاحتياط لمواجهة مثل هـــذه الاعتداءات متعـــذرا ، وان كان فادح الثمن اقتصاديا . ولا ننسى أن التفتيش الدقيق الكامل يتسبب في تعطيل العمل تماما في المطارات . وفي بعض الأحيان قد يكون أكثر الأشخاص ضيقـــا بهذه الاجراءات هو أكثرهم تعرضا للخطر ، يعنى أحد كبار المسئولين .

وليس بمقدور أي بحث عن أسلحـــة الارهـــاب تناسي الحديث عن البندقية التي تستعملها (مخابرات السوفيت) KGB في الإغتيـــال . ولقد كانت البندقية المسممة والتي تشاهد في أفلام الجاسوسية المثيرة من الحقـــائق السائدة عنـــد KGB منذ سنوات عديدة ، ولقد ارتقت بعـــد استعمال مادة cyanide pellets ، وقد تتخذ جملة صور ، ومن آن لآخر تحدث احدى الاصابات التي تحتل العناوين الرئيسية في الجرائد ، وكانت أحدثها الحادثة التي نشرت في مختلف أجهزة الاعلام وتحمل بصمـــات K.G.B. ، والتي قتل فيها جيورجي ماركوف في سبتمبر ١٩٧٩ . فلقد حقن بسم الرسين ، بنقر بوز المظلة في رجل المعتدى عليه عندما كان مسافرا للعمل في لندن . وكان هذا المعتدى عليه هو أحد المنفيين البلغاريين الذين يعملون في خدمة الاذاعة البريطانيـــة B.B.C. ولعل هذه الحقيقة كان فيها الكفاية لتبرير الخلاص منه .

وختاما ، فهناك أسلحة تفضلها الجماعات الارهابية ، ولكنها لا تعرف أي حدود في شتى مجالات استعمالها . وغالبا ما يكون الارهابي حيوانـا وطنيا ، وكثيرا ما يتصف بشجاعته (وكثيرا ما يتصف بالجبن أيضا) . انه يتبنى دوما قضية يؤمن بها ايمانا حارا . فاذا راعينا جميع هذه العناصر وجمعنا بينها سنحصل على انسان قادر على استعمال كل ما يقع بين يديه . والضرورة وهي أم الاختراع ـ كما نعرف ـ لم تقف عائقا أمام كل من ينجح في اسدال الستار عليها والتخفي وراءها في الوقت المناسب .

★★★

١٠ ـ تكنولوجية الارهاب

حققت أساليب الارهاب تقدماساير خطوات التقدم فى التكنولوجيا التى تقبل التطبيق وأمكن ذيوعها على نطاق واسع · والطريق الوحيد لايقاف تقدمها المتواصل هو حرمانها من الحصول على أية معلومات تقنية · وهذا الحرمان فى ذاته مستحيل ، اذ يسعى المخترعون للحصول على المال من وراء مخترعاتهم ، وكذلك تفعل منافذ البيع بالقطاعى · فنحن نعيش فى مجتمع حر ، يتعرف فيه الرأى العام والمشترون المحتملون على هذه الخطوات التقدمية عن طريق صناعة الاعلان والمجلات التجارية والمعارض · والارهابى فى جميع مظاهره العديدة قادر على زيارة جميع هذه المراكز الاعلامية ، ان لم يك بطريقة مباشرة ، فلا بأس من أن يتبع طرقا ملتوية ، وان كانت متيسرة ، انه شخص متعدد الجوانب ، كثيرا ما يرغم الى اللجوء الى التفكير بطرق ملتوية كى يحقق مهمته الارهابية · وليس من الضرورى أن يخترق ترسانة صناعة الأسلحة بحثا عن العون ، لأن الكثير من الاستعمالات المنزلية اليومية تزوده بوسائل الاهتداء الى غاية تساعده على تنشيط مبتكراته المميتة أو أخفائها أو تمويهها · وفى الكثير من الحالات فانه يستفيد استفادة مباشرة من التكنولوجيات السوفيتية ، والتى تعد فى بعض نطاقات مساوية فى تقدمها للغرب ، ويتعين النظر الى الارهابى على أنه يملك معرفة مساوية ـ على أقل تقدير ـ لمعرفة قوات الأمن المعادية له · وليست آخر الأساليب المتقدمة فى تكنولوجيا الأسلحة الصعبة المنال عظيمة الأهمية للارهابى ، اذا كان بمقدوره أن يؤدى مهمته الفتاكة بكفاية مماثلة باستخدام أسلحة غير معقدة أو متقدمة وشديدة البساطة ، وربما استثنينا من ذلك سيل الأسلحة المنهمرة التى انتقلت من أيدى السوفيت الى بلدان مثل ليبيا ، ولا يستبعد أن تشق طريقها فى نهاية الأمر الى ترسانة

الارهابيين ، وبالاستطاعة القول بوجود موقف مماثل ترتب على بيع بعض الأجهزة التى تحاط بدرجات السرية العالية الى سوريا والى طرفى النزاع الايرانى العراقى ، فجميع هذه البلدان الثلاثة لها منظمات ارهابية تتبعها وتقوم بتمويلها أو تأييدها ٠

وفى معظم الأحوال ، بالرغم من أن دور الارهابى يقتصر على استخدام الأسلحة التى يمكن اطلاق نيرانها دون حاجة الى مساعدات اضافيـــة من أجهزة تكنولوجية تتجاوز قدرات الارهابيين ، فاننا سنكتفى فى هـــذا الكتاب ببحث تلك الجوانب التى يمكن أن توصف بأنها تمثل ما سيتعرض له المسئول المسافر أو الدبلوماسى المسافر من أخطار ٠ وطبقا للتعريف ، فان هذا التحديد يستبعد الأهداف الاستراتيجية والتكتيكية الكبرى ، والتى ربما استهوت الارهابى يوما ما ، وسيترتب عليها تغير هام فى العوامـل التى يتعين عليه أن يراعيها عند بحثه عن الأسلحة ٠ وفى سياق هـــذا الكتاب ، يعد التقدم فى ذخيرة الأسلحـــة الصغيرة والدروع الشخصية ووسائل التفجير هى أهم الموضوعات المناسبة ٠ وهذه الموضوعات عظيمـة الأهمية للجماعات الصغيرة من المتشددين الذين لا يستهويهم أى شىء خلاف الجوانب التى قد تؤثر فى الأمان الشخصى لقرائنا ، ولقد حرصت أشد حرص عند مناقشة هذه النطاقات أن لا أفيد الارهابى من حيث لا أدرى ، ومن ثم فقد أحجمت عن ذكر اسم أى مصادر أو شرح أية تفاصيل تقنية ٠

وفى وقتنا الحالى ، عندما تخطط أية منظمة ارهابية لاختطاف طائـرة أو لتدبير عملية تؤدى فى نهاية الأمر الى احتجاز رهائن مهددين بالسلاح ، فان هناك احتمالا قويا بتوقعهم حدوث عملية اقتحامية تقوم بها قوات الأمن من آن لآخر ٠ وسيساعد الاعـــلام والتدريب من قبل مدربين على دراية بالاضافة الى المفهومية الفطرية على تعريفهم بجميع هذه النواحى ، وعلى تزويدهم ببيانات حسنة عن أنماط التكتيك والمعدات التى يحتمل أن تستعملهـــا جماعات الاقتحام ، ان هذا سيساعدهم على تركيز أمخاخهم على الجوانب التخطيطية والتسليحية للعملية حتى يتمكنوا من النهوض بأفضل ما فى مقدورهم لاحباط ـ أو تجنب ـ هذا التهديد الهجومى ، وليس من غـــير الطبيعى أن تنحصر الطرق المفتوحة أمامهم فى قتل الجماعة المهاجمة أو زيادة صعوبات الموقف ، بحيث لا تنتهى عملية الاقتحام بالمقتل المؤكد للرهائن ، على الرغم من أن هذه النتيجة الأخيرة قد يكون لها وقع كبير فى بعض البلدان ٠

وفى بوجوتا بكولومبيا ، لم تعر قوات الأمن أرواح الرهائن أكثر من اهتمام تافه عندما شنت هجومها فى ٦ نوفمبر ١٩٨٥ ، والذى تصدرته

احدى الدبابات بعد أن استولى الارهابيون على دار القضاء العالى . نعم لقد قتل جميع الارهابيين ولكن علينا أن لا ننسى مقتل مائة آخرين الى جانبهم ، بما فى ذلك رئيس المحكمة العليا .

ويتضمن تدريب الارهابى تعريفه بآثار بعض أساليب خاصة كالقنبلة اليدوية الصاعقة والأنواع المختلفة من الغازات المسيلة للدموع . ولن تمثل أية وسيلة من هذه الوسائل مشكلة فى نظر الارهابى اذا توقع استعمال المقتحمين لها ، وتساعد النظارات السوداء وسدادات الأذن على تخفيف آثار القنبلة آنفة الذكر . كما تساعد الكمامات على تخفيف آثار الغازات المسيلة للدموع . والحق لقد حدثت حالات كان تأثير الغازات المسيلة للدموع واهنا للغاية ، عندما استعملت ضد عدو استطاع أن يستفيد من افرازات الأدرنالين فى جسمه التى لا تتوقف .

ولتنبيه الارهابى ، توجد دائما لحظة تحذير تسبق أى اقتحام . ومن أسف أن أجهزة الاعلام قد تحدثت كثيرا عن هذه الناحية فى كتب ومقالات ظهرت بعد حصار السفارة الايرانية ١٩٨٠ . ففيها تم التنبيه على الكافة (ومن بينهم الارهابى بطبيعة الحـــال) بأهمية الانبعاجات فى الجدران والضوضاء التى تكشف حدوث محاولات للتدخل ، والعدسات والكاميرات الخفيه التى تكشف كل ما يجـرى من تحركـات ، وأطلعته هـذه الكتب والنشرات على قيمة ترك أجهزة التليفزيون وما شابهها مفتوحة . واذا تعرف الارهابى على هذه التحذيرات ، فانه سيبحث ــ بطبيعة الحال ــ فى ترسانته عما يمكن استعماله لتعطيل أو اعاقة الاقتحام .

وفى عالم الذخيرة ، توجد الآن تشكيلة لا بأس بها باستطاعة الارهابى أن يختار من بينها ما يشاء . ويمكن الاعتماد عليها فى اقتحام أكثر الأبواب مناعة ، وقتل أى انسان يقف خلفها ، وهناك دروع وسترات مدرعة من التفلون وذخائر مغلفة بمادة التيتانيوم ، وذخائر متفجرة مدببة . وجميع هذه الأصناف متوافرة بالسوق الحرة . وفى أسوأ الأحوال ، فان الارهابى يعرف أنه قد يواجه بهجوم تقوم به قوات أمن مسلحة تسليحا كاملا ومجهزة أفضل تجهيز ، غير أنه يعرف أيضا أنه قادر على الحصــول على الذخـيرة القادرة على النفاذ فى أغلب الدروع . فلقد أصبح من المعروف للكافة أن الذخيرة المدببة اللينة ذات الطرف المجوف قادرة على صد أعظم المقاتلين من رجال الشرطة وأشدهم بأسا ، وجميع هذه الأصناف معروفة من الاعلانات ، ومن الميسور شراؤها .

وبعد ما ذكر عن وجود ذخيرة قادرة على اختراق الملابس المدرعة ، فان الارهابى يعرف أيضا أن هنـــاك دولا عديدة تتمسك باتفاقيـة جنيف ، ولا تسمح باستخدام الذخيرة التى تحرمها الاتفاقية . ولقد حثت هـــذه

الاوضاع الارهابيين فى الماضى على الاهتمام بارتداء الدروع · ويتوافر الآن عدد لا بأس به من التصميمات التى تجمع بين خفة الوزن وتعذر نفاذ أى شىء فيها ، مما يساعد الارهابى على الحصول على قدر معقول من الحماية · ان عالم الدروع عالم لا يتوقف فيه التقدم التقنى عند الشركات المشهورة ، ولقد شهدت السنوات العشر الأخيرة الانتقال من استعمال الصلب الى استعمال السيراميك ثم الكفلار Kevlar ثم استخدمت مخلوطات عادوا بعدها مرة أخرى الى استعمال السيراميك بعد تقدم الأبحاث ، ومن حسن الحظ أن أغلب المصانع الجادة ، تطبق قواعد تتشابه فى صرامتها هى والقوانين السائدة فى حالة الأسلحة ، فتضع شروطا صارمة لبيع أحدث الأردية المدرعة ·

فاذا انتقلنا الى المتفجرات ، ولعلها هى أنفع الوسائل المتقدمة للارهابى ، سنرى ما حدث من تقدم فى الأشكال المختلفة للمتفجرات · وأساليب التفجير وقطع الصخور ، التى يراعى فيها مبادىء مونرو(١) وتسمح بأكبر قدر من الدقة فى قطع مختلف أنواع المعادن · ولقد بلغت درجة كبيرة من الارتقاء مما جعلها عظيمة الفائدة لتكنولوجية الفضاء ، وغالبا توجد هذه العبوات المتفجرة عند المخربين أكثر من وجودها لدى الارهابيين · على أن المتفجرات التى تتخذ شكل الرقائق قد حققت أثرا أعظم عند استعمالها فى صنع الحقائب المفخخة · وتمشيا مع طبيعة صناعة الحقيبة المفخخة ، فنادرا ما تفلت مثل هذه الأشياء من اكتشاف الباحث الخبير المدقق الذى يعتمد على explosive vapour sniffers ، أو على الكلاب · وتعد الوسيلة الأخيرة هى الأفضل · على أنه فى المطارات الأقل تقدما ، هناك وفرة من هذه الكلاب ، ومن ثم فانها تكون أوفر حظا فى احتمال اكتشافها للحقيبة المفخخة ·

ويشعر الارهابى صاحب الخبرة التكنولوجية بفرحة حقة عندما يصادف عددا من المبتكرات فى السوق المفتوحة تسمح له بممارسة حرفته بكفاية كبيرة عندما يشرع فى صنع احدى القنابل · وتتوافر له فرصة عظيمة للاختيار عندما يذهب لشراء المكونات التى يستعملها لتجهيز قنبلته وزيادة خطورتها عندما يضعها تحت تصرف المتخصص ، وكثيرا ما يشترك أكثر من واحد فى صنع قنبلة الارهابيين · ووجود المصمم المتخصص هام للغاية ولا يستغنى عنه فى أى مرحلة من مراحل تصميمها واستخدامها ·

---

(١) تعرضت مبادىء مونرو لأوصاف العبوات الناسفة من حيث شكلها وتركيبها الكيماوى وآثارها المدمرة وطريقة تجويفها التى تساعد على احداث تأثير باتر عند اختراقها بدقة فائقة لجسم المصاب · وتعتمد على ما يحدث من رد فعل يعقب الانفجار يذيب المعدن المغلف للعبوة ويدفعها بشدة لاختراق جسم الضحية · ويتبع هذا الاختراق اندفاع الغازات ذات الحرائق الشديدة الارتفاع تحت ضغط عال يمزق الفتحة التى حدثت للجسم ·

وفى مرحلة التحضير ومرحلة التشغيل يكون الفريق الذى اشترك فى صنع القنبلة فى أكثر أحواله تعرضا للخطورة ، فقد توكل عملية جمع المكونات لعدد من الأفراد لا يلزم أن تتوافر لهم أية معرفة بالغرض من الأصناف التى صدرت اليهم التعليمات بشرائها ، فهناك متفجرات يجب الحصول عليها • ويعد « المفجر » أهم مكونات جهاز التشغيل ، بالاضافة الى الأجزاء الخاصة بالتوقيت والبطاريات والوعاء الذى ستشحن فيه المفجرات • وقد ينتهى دور المصمم بعد وضع مخطط حافل بالتفاصيل للمعدة ، ثم ينتقل العمل بعد ذلك الى من يقوم بتعبئة المتفجرات فى وعاء مموه يخفى حقيقته • وقد لا تكون له مواصفات خاصة ، وربما تولى فريق آخر عملية صنع دائرة الاشتعال ، وتثبيتها فى وعاء القنبلة حتى تصبح جاهزة للتفجير ، ولا يبقى بعد ذلك غير التشطيب النهائى الذى يتركز على وضع صمام بسيط للأمان وأداة توقيتية أقل بساطة •

وقد تكون الغاية من هذه الاضافة الأخيرة هى زيادة كفاية القنبلة لمواجهة مختلف الأحوال ، التى تتعرض لها من جراء النقل والعبث بها أو فحصها • فمن الأفضل تأمين القنبلة ضد الكشف عليها بوساطة الأشعة السينية وضد الضوء أو الظلمة ، ويتوقف مدى هذه الاضافات على علم المصمم ، وخبرته •• ومن أهم مكونات القنبلة ، سقاطة الأمان ، من أى نوع كان ، حتى تساعد على تأمين حامل القنبلة • ولن يكون هذا الشخص ــ يقينا ــ واحدا من أصحاب الأدوار الرئيسية فى تسلسل المشتركين فى صنع القنبلة كالمصمم والمختص بالناحية الكهربائية • ويترتب على اشتراك العديدين فى هذه العملية اضعاف السلامة والأمان • وكثيرا ما أدت هذه الأعمال التجهيزية المتعددة التى تسبق تشكل القنبلة فى صورتها النهائية الى القبض على الخلية الارهابية ، بفضل يقظة التجار أو الجيران • والتدرب على التعرف على هذه التكتيكات من الاجراءات المضادة الهامة فى أية حملة شاملة ضد الارهاب •

ولربما كان من الخطأ البالغ تعداد جميع الأشياء العادية المستعملة فى الحياة اليومية ، التى يحتمل أن تفيد فى صنع القنبلة • ولكن يكفينا التنبيه الى أى شىء بمقدوره توليد الطاقة ، ولو بصورة مصغرة ، أو من النوافل ، وأيضا أى شىء يرتبط بالتوقيت الدقيق ، وأى شىء يساعد على قطع التيار أو توليد التيار نتيجة لعملية محسوبة ، وأى شىء يتغير فى الحجم والشكل تبعا لقاعدة يمكن التنبوء بها تحت ظروف محددة • ان جميع هذه الأشياء ، وغيرها الكثير تحقق نفعا للارهابى المقتدر الملم بالتكنولوجيا •

وتعد قوائم الخدمات الأمنية والوسائل التأمينية مصدرا حسنا للمعلومات التي تفيد الارهابى فى أكثر من ناحية . اذ لا يقتصر الأمر على تيسيرها عثوره على المواد التى قد يحتاج اليها ، ولكنها تمكنه من التزود بمعرفة دقيقة نوعا بما هو متوافر لدى قوات الأمن . وتساعد هذه المصادر على التعريف بمختلف الأصناف والمنتوجات وطريقة استعمالها ، أنها تنبه الأرهابى الى ما يتعين أن يهتم به عندما يحتجز فى معقله برفقة الرهائن ، فاذا عرف ما الذى يتعين اهتمامه به ، وكيف يتمكن من التعرف على التهديد الذى سيتعرض له ، سيكون باستطاعته قلب الموائد على وكالات المخابرات .

لعله من أخطر الجوانب وأكثرها اثارة للفزع فى التكنولوجيا السهولة الظاهرية لصنع أية قنبلة بدائية ، وما أسهل تسرب المعلومات التى يرجع اليها أوساط مستعملى القنبلة من أصحاب شىء قليل من المعرفة بالفزياء ، والتى تيسر لهم صنع هذه المعدة من المواد المشتراه من محلات المصنوعات المعدنية أو من السوبر ماركت . ويعرف الجميع أن من يملك كيلو جرامات قليلة من أكسيد البلونتيوم (وليس من العسير الحصول عليه كما نتخيل) وقدرا معقولا من المتفجرات الثابتة بدرجة عالية باستطاعتة أن يصنع معدة تحمل مئات الأطنان من المتفجرات شديدة الانفجار ، ولعله من الأشياء التى تستوجب مزيدا من اليقظة الاعتقاد بأنه مادامت الجماعة الارهابية قد نجحت فى تحقيق ذلك . فهل هناك ما يحول دون قيامها بصنع أسلحة بيولوجية أو بيوكيمائية . فلربما كانت هذه المهمة أيسر كثيرا ؟

بطبيعة الحال ، من غير المحتمل تماما توقع استعمال الارهابيين لمثل هذه الأسلحة ، فلا جدال أنهم سيفقدون أى تأييد لقضاياهم ، لو أنهم أقدموا على ذلك ، وبوجه عام ، فان الارهابيين لا يقدمون على قتل الناس لمجرد القتل . ففى تصورهم أنه سيجىء يوم يعترف فيه بقضاياهم ، وسيؤدى استخدام سلاح ذرى أو بيو كيمائى بقصد استعراض العضلات الى احداث حالة من النفور والتقزز لن يسهل التحكم فيها ، مما يعوق محاولتهم بلوغ مبتغاهم .

وما يستحق النظر ، هو امكان ادعاء أية جماعة ارهابية ملكيتها لهذا النوع من الأسلحة ، واذا افترضنا أن المتحدث باسمهم أراد تقديم تفسير مقنع ومفصل عن كيفية صنعهم للقنبلة ، ومن أين حصلوا للمواد ، وأمكن التحقق من هذه البينات ، فأين سيدور التفاوض معهم ؟ وكيف تستطيع الشرطة فى البلدان الأقل تقدما التحديد الفعلى لهل هم ازاء موقف حقيقى أم أنهم حيال أساتذة فى عالم الخداع ؟ .

بطبيعة الحال ، ليست هناك حاجة حقيقية تدفع الارهابى للالتجاء الى أسلحة سرية لو كان كل ما يحتاج اليه هو احداث بلبلة لدى القوات القانونية والنظامية • والدولة الصناعية المتقدمة معرضة لأشد الأخطار ، وبخاصة عندما يكون ارتفاع مستوى التنافس الصناعى على قمة أولويتها ، وقد يحدث الدمار الذى ينشـــأ على أثر الهجـــوم على أنابيب النفط ، أو أخاديد توصيل الغاز الطبيعى فى وسط البحار ومخازن الكومبيوتر التابعة للقطاعين العام والخاص مشـكلات اقتصادية جسيمـة فى فسحة قصـيرة من الوقت •

واذا اعتمدنا على أجهزة توقيتية راقية وتكنولوجيا المتفجرات ـ التى تحدثنا عنها آنفا ـ واستعملناها فلربما حدثت حالة كتلك التى حدثت فى نيويورك ١٩٧٧ (ولم تك من تدبير ارهابى) • فلقد ساد الظلام فى المدينة زهاء يومين بعد انقطاع التيار الكهربائى ، الذى ترتب عليه قدر كبير من الأذى • غير أن أكثر ما أثار الاهتمام بوجه خاص هو ما حدث من اضطراب فى النظام وخروج عن القانون • فلقد اندلعت النيران وانتشرت أحـــداث الاحتيال على نطاق واسع • ومن العسير أن نتصور كيف كانت الشرطـة ستواجه هذه الأحداث لو أنها استمرت ؟ واذا افترضنا انها استطاعت فهل كانت ستستعين بالقوات المسلحة ؟ بالتأكيد ! ولقد استشهدنا بما حدث فى نيويورك ، لأنه تصادف أنه حدث هناك • وبالمقدور احداث فعـــل مدبر يعم العديد من المدن فى وقت واحد • وربما ترتبت عليه أثار أكثر مأسوية ، وبخاصة اذا أفلح المجـرم فى الانتقال الى قارة أخرى بعـــد « تفجيره القنبلة » •

وعندما يحين الوقت المناسب سيتجه اهتمام الارهابيين الى الأغراض الاستراتيجية • والأثار المترتبة على أحداث اختطاف الطائرات والقاء القنابل مازالت تتصف بمأسويتها ، وستظل كذلك • ولكن من المتفق عليه أنهـا لا تحظى بعناية أجهزة الاعلام ، الا لفترات قصيرة تتناقص يوما بعد آخر • فاذا سلمنا بهذه الحقيقة ، فاننا سنقر القول بأن ما يحدث من تقدم فى الصواريخ (أرض ـ أرض) و (أرض ـ جو) سيكون موضع اهتمـــام متزايد من الارهابى •

ولن نصف آنئذ هذه التقنية بأنها تقنية مستحدثة ، وأظننا لم ننس أنه قد ظهر فى عناوين الصحف فى الماضى حادث من هذا القبيل • ففى ١٩٧٣ ، أحيط خبر قيام خمسة من الفلسطينيين فى روما بمحاولة اسقاط طائرة الركاب التابعة لشركة العال الاسرائيلية باستخدام صاروخ بدعاية هائلة ، وحدثت محاولة مشابهة فى باريس ١٩٧٥ ، عندما حطمت طائرة

يوغوسلافية · وعلى الرغم من اتصاف هذه الأسلحة بالابتعاد عن البساطة، الا أنها استطاعت أن تشق طريقها الى أيدى الارهابيين ـ على ما يبـدو ـ بانتظام واطراد ، ولن يمضى وقت طـويل حتى يعاد النظر فيما يصلح للانضواء تحت عنوان استراتيجية الارهاب ·

ومن الحقائق المعروفة أن جماعة بادر ـ ما ينهوف قد هددت فى الماضى باستخدام غاز المسطردة ضد عامة النـاس فى محاولـة للابتزاز · ومن المعروف أيضا أنه فى وقت باكر يرجع الى ١٩٧٥ قبض على جمـاعه من الناس فى النمسا أثناء قيامهم بعملية تحضير لغاز الأعصاب ، وكانوا ينوون بيعه لجماعة ارهابية غير معروفة · وهكذا تكون بذور هذه الفكرة موجودة، وبازدياد تقدم التكنولوجيا ستزداد وسائل تحضيرها واستعمالها ونشرها تقدمـا ·

* * *

١١ ـ هوامش الارهاب

(أكل اللحوم وسفك الدماء سيان) MEAT IS MURDER

الارهاب ـ كما رأينا ـ نهج وأداة ووسيلة ، ولكنه ليس أيديولوجية انه وسيلة ، قد تزايد الالتجاء اليها فى السنوات الأخيرة من قبل « نوعية ثانوية » متكاملة جديدة من جماعات « العمل المباشر » ، ولقد تزايدت بلايا العالم الغربى الغارق فى النواحى الاستهلاكية من جراء التهديدات بالابتزاز وما تحمله فى طياتها من عمليات تلويث المنتجات وغير ذلك من « الأعمال المباشرة » التى تتصف باجرامها • ويتبع هذه الأساليب من أصبحوا يدعون « بالارهابيين الرقاق » (*) ، ولكن كما سنرى فليس هنـــاك ما يوصف بالرقة ، فيما يتعلق بتكتيكات أولئك الذين أضفوا طـــابع التطرف على حركات اصلاح البيئة والمنادين بحقوق الحيوانات وغير ذلك من القضايا والحروب الصليبية •

هذه التنظيمات ، والتى آثرنا تسميتها تنظيمات هوامش الارهـــاب تستحق ـ بطبيعة الحال ـ كتابا خاصا بها ، فهى متعددة الى أبعد حد • ولن يستبعد احداثها أخطارا ودمارا من جراء ما تقوم به من تهديد ، ولـــو اننا ألفنا هذا الكتاب منذ خمس سنوات ، عندما كانت مثل هذه التنظيمات مازالت تحبو وتتبع أساليب سلمية فى مقاصدها ، لـــما استحقت آنئذ أى ذكر • على أن العنف بمجرد اتباعه له قوته الدافعة • ومن ثم أفسح الاحتجاج المشروع الطريق أمام « العمل المباشر » والمقاصد الاجرامية ، والحديث عن

(*) Soft terrorists

هذا الموضوع ـ ضمنا ـ له أهمية حتى تكتمل دراستنا لتهديدات الارهاب بجميع ألوانه • وسيتركز هذا البيان على منظمتين بصفة خاصة • أحدهما فى بريطانيا ، والأخرى فى الولايات المتحدة ، من باب التمثيل لا الحصر •

لقد عرف الانجليز ـ دوما ـ بأنهم شعب محب للحيوانات • فما ينفق على اطعام الحيوانات المدللة وحده ربما فاق ما ينفق على اطعام القوات المسلحة ، والباسها ، ورواتبها • ولعلك تفضل الذهاب الى ما هو أبعد منقول : ما يكفى لحل مشاكل العجز والقصور فى معدات علاج الفشل الكلوى • وعندما نسفت PIRA احدى السيارات الملغومة فى طريق الاحتفال الذى يسميه الانجليزى Household Cavalary أثناء توجهها الى ثكنة حرس الفرسان تساوت الصيحات التى انطلقت هى وصيحات الاحتجاج التى انطلقت بعد انفجار القنبلة فى محلات هارودز • ولم ينصب التعاطف على الآدميين من راكبى الخيول ، بقدر اتجاهه الى الخيول التى يركبونها •

وعلى هذا فاننا لن ندهش اذا رأينا ذيوع شهرة « حركات حقوق الحيوانات » بمثل هذا المقدار فى السنوات الأخيرة ، وهناك حركات مكافئة لها فى أوربا الغربية والولايات المتحدة ، أى البلدان التى يتماثل أهلها فى مقدار الافتتان بالحيوانات المدللة ، غير أن هذه الحركة فى بريطانيا قد اتخذت ـ بوجه خاص ـ طابع الحدة والاسفاف • وعليك أن تلحظ الألفاظ التى استعملناها عامدين • فالحركة تعمل على الحفاظ على حقوق الحيوانات ـ وليس رفاهيتها ـ ويبلغ عمر « حركة تحرير الحيوانات فى بريطانيا » عشر سنوات • وعلى الرغم من اتباعها للارهاب في أسلوبها ، الا أنها لا تقابل بالصدود أو توصف باللاشرعية • وعدوها الصريح هو كل من يستعمل الحيوانات اما كغذاء أو لأغراض البحوث • ولما كان ٩٨٪ من سكان انجلترا يأكلون اللحوم كجانب منتظم من وجباتهم لذا فليس من الصعب أن تعثر هذه الحركة على أهداف لها • وفى طليعة من يتعرضون لسخطها وهجومها الجزارون ومواقع بطاريات المدفعية ، والكيماويون الذين يبيعون « الشامبو » الذى تم اختباره على الحيوانات ، وأيضا محلات بيع الفراء ومعامل الأبحاث • وقام الحركيون فى هذه الحركة بمهاجمة مذابح لحم الخيول وجمعيات الأبحاث الصغيرة وكلية الجراحين الملكية •

وهوجمت هذه المنشآت لأن جبهة تحرير الحيوانات تعتقد أن للحيوانات حقوقا مساوية وموازية لحقوق الآدميين ، وعلى الأخص حق الحياة الذى يتمتع به الانسان • وليس هناك من ينكر حق الحيوانات فى

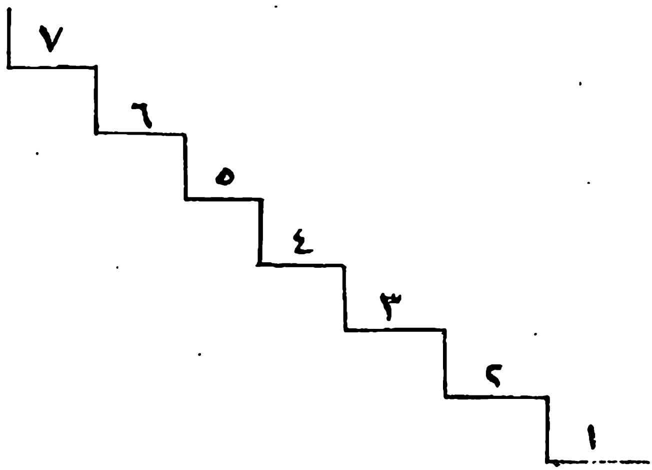
الحياة • غير أن نقطة الخلاف هى الى أى حد يجب أن تمتد حقوق الحيوانات ؟ والقول بأن الحيوانات تتماثل هى والانسان زعم يراه بعضنا جارحا من الناحية الأخلاقية ، ويستعمله الارهابيون كذريعة أخلاقية للارهاب • والادعاء بأن ذبح المواشى فى السوق يوضع فى نفس المستوى الأخلاقى لذبح أولئك الذين أعتقلوا فى معسكرات الاعتقال من قبل النازى، يعد فى أقل تقدير مسخا شنيعا للحقائق ، واهانة للبشرية • وقد لا يعتبر تناول شريحة لذيذة من « البفتيك » أفضل نوع من الطعام من الناحية الصحية ، وربما كان الاكثار من تناول اللحوم الحمراء من أسباب ارتفاع ضغط الدم ، غير أن الزعم بأن مثل هذا التكالب على اللحوم يبرر استحقاق من يتناولها للعذاب والقتل لا يختلف فى منطقه عن الزعم الذى يزعمه الحركيون بأنهم يتبعون أخلاقيات عليا تسمح لهم بالخروج عن القانون •

ولقد أخفقت جبهة تحرير الحيوان وأذنابها « كمليشيا حقوق الحيوانات » « وجمعية تخريب غابات الصيد » ـ باعترافها ـ فى كسب التأييد عن طريق اتباع القنوات الشرعية المتاحة فى الأنظمة الديموقراطية ، يعنى المعتمدة على اقناع الرأى العام والمجادلة بالتى هى أحسن • ومع هذا فقد اجتذبت الحركة التأييد الذى زودها بالتبرعات التى تحقق عائدا سنويا يبلغ أكثر من مليون جنيه ، وتستغل أموالها فى مناصرة نوع جديد من السياسة له حافة ارهابية حادة • وتشهد بذلك بعض الأقوال كالقول الآتى على سبيل المثال : « اذا اقتضت الضرورة تحطيم كل دكان من دكاكين الجزارين فى البلد ونسفه فان ALF (*) لن تتردد عن القيام بذلك (١) » •

ولقد قدرت ALF عدد الأعضاء المناضلين فى الحركتين التابعتين لها بمائة وواحد وثلاثين عضوا من الأشداء ، وتكمن قوة الحركة فى تنظيمها الذى يعتمد على خلايا صغيرة تتمتع بالاستقلال ، وموزعة فى جميع انحاء البلاد • ويساعد مثل هذا التنظيم اللامركزى على صعوبة النفاذ داخل الحركة • والظاهر أن معظم أعضاء الحركة من الاناث من اللائى لم يتجاوزن الثلاثين من عمرهن ، ويتم اختيارهن من سيدات الطبقة المتوسطة ممن يشغلن وظائف كتابية ومهن حرفية ، فهى تضم بين أعضائها أيضا كاتبات فى البنوك ومدرسات ومحاسبات ممن يعملون فى جميع الجوانب الأخرى من الدعامات المحترمة للبلاد •

(*) نشرة Animal Liberation Bulletin عدد ١١ (١٩٨٥) •

ولقد تصاعد عنف أفعال هذه الجماعات على أثر شعورها بالاحباط لاخفاقها فى كسب تأييد الرأى العام . انها نزعة يمكن التعرف عليها من حالة العنف والجنوح الى « العمل المباشر » التى تتبعها هذه الجماعات التى كرست نفسها لخدمة « القضايا الجديدة » ابتداء من قضية تحرير الحيوانات الى قضايا التخلص من الأسلحة النووية . وبالمقدور التعرف على الخطوات التى تتبعها حركة العمل المباشر اذا تأملنا الشكل التالى الذى يبين كيف تتصاعد فى الاتجاه الى العنف .



شكل ٢ ـ النمط التصاعدى للعنف

١ ـ المظاهرات ـ اجتذاب الانتباه

٢ ـ الاعاقة ـ المواجهة (الكمائن التى تنصب للقوافل التى تحمل الصواريخ النووية) .

٣ ـ التخريب (ابتداء من تحطيم النوافذ فى المحلات والقنابل واشعال الحرائق) .

٤ ـ تلويث المنتوجات .

٥ ـ التهديد .

٦ ـ التهديد الشخصى .

٧ ـ الارهاب .

ولقـــد رمينا بهذا النموذج الذى يمثل الارهاب الدعـوة الى تناسى ان أفعالهم قد بدت آنئذ ـ أى منذ سنوات قليلة ـ منفرة بقـدر كاف وفي ريف المناطق الشمالية ، قامت جماعة Hunt Retribution Squad بتدنيس بعض القبور كقبر جون بيل الصياد الانجليزى الذى ورد اسمه فى الفولكلور والأغانى ، والذى مات منذ مائة وخمسين سنة ، بعد أن عبثوا به ودنسوا مخلفاته ، وقد نظر الى هذه الفعلة على أنها من الأفعال الوحشية الشبيهة بأفعال الغيلان .

وفى مواضع أخرى ، أفسحت عمليـات توسيخ الصور والشعارات المجال أمام الاعتداء على العقارات والقاء الأحماض والحجارة على النوافذ ، وصاحبت هذه الاحتجاجات حركات عنيفة . والآن فى السنوات الخمس الأخيرة ، ظهر نموذج جديد من الشغب والعنف ، ويبدو السلوك الباكر معتدلا بالمقارنة به : « فى كل يوم يستمر فيه أصدقاؤنا واخواننا الحيوانات محتجزين خلف القضبان ، فان علينا أن نقابل ما يتعرضون له من عذاب بالاقتصاص حتى لو عنى ذلك فقـــدان بعض الحثالة لأرواحهم » (٢) . وأخفقت المظاهرات ، ولم تلق الاعتداءات على العقارات أى تأييد ، وبقى بعد ذلك الآدميون . وارسلت رســائل مفخخـة لزعمـاء الأحـــزاب السياسية ولرئيسة الوزراء والوزراء والى بيوت كبار العلماء . وفى سنة ١٩٨٠ ، غرست A.L.F. ست عشرة قنبلة كجانب من حملة فى طول البلاد وعرضها للتدمير ، والتهديد ، ارتكب فيها ألفان من الأحداث العنيفة ، وأتلفت أمتعة تقدر قيمتها بستة ملايين من الجنيهات .

ومن بين أكثر مشاهدهم اثارة ، الاعتداءات على مصنع شوكولاته مارس . فلقد لوثت قطعتان من شوكولاته مارس فى مخازن سوثهامتون باستخدام سم الفار . وحدث اتصال تليفونى لانذار الصحيفة القومية . وفيمــا أثبت أنه درس نافع فى تقنيـة مواجهـة الأزمات ، لم يكن أمـام الشركة التى بوغتت بهذا الحادث أى حل آخر ســوى اعطـاء الأمر برفع بقايا ثلاثة آلاف طن من الشيكولاته من فوق الرفوف . وقدرت الخسارة فى الدخل بطريقة متحفظة بأكثر من ثلاثة ملايين جنيه . فلماذا وجهت ALF ضرباتها الى شركة مارس ؟ ان السبب يرجع الى التجـاء الشركـة التى تبحث فى أسباب تعرض الأسنان للفساد الى الاستعانة بالقرود فى اختباراتها .

---

(٢) Animal Liberation Front نشرة رقم ١١ ١٩٨٥ .
استشهد بها Brass Track فى BBC, Tv يونيو ١٩٨٦ .

وقامت وحدة الانتقام Hunt بتوجيه ضرباتها . وتعرض للتدنيس قبر الدوق بوفور صاحب كلاب الصيد والذى كان حديث الوفاة . وهدد الغيلان (أعضاء الوحدة) بارسال رأسه الى الأميرة آن ابنة ملكة انجلترا وراعية الجماعة !

« اننى أمقتهم . وأكره وجوههم القرمزية وأصواتهم المنكرة . انهم يركبون خيالهم (متقنعرين) ويتوقعون أن يفسح الجميع الطريق لهم . كم أتمنى أن أراهم قتلى (٣) » . وكان المتحدث شابا من المسئولين عن الاعلان يملك بيتا لطيفا فى أحد الأحياء الراقية بلندن ، ويقوم بالتسكع يوميا لزيارة المكاتب الأنيقة فى ماى فير . انه واحد من أثرياء الطبقة المتوسطة ، وبعيدا عن الفقر ، أو البراعة ، ولا عمل له ، وممن يرزخون تحت وطأة الشعور بالضآلة . انه واحد ممن يسمون باليوبى ، وهو يعنى تماما ما يقول .

ان الأحياء قد أصبحوا الآن أهدافا : فقد اتجه أنصار حركة تحرير الحيوان الى الانقضاض على أبناء جلدتهم . وفى الحرب التى تحارب الآن بشدة لم تعهد من قبل ، هناك نغمة ملحة تتردد بلا انقطاع تعبيرا عن الكراهية . وليس بوسع المرء أن يتجنب الاستنتاج بأن الدافع ليس حب الحيوان بقدر كونه بغض بعض الآدميين الآخرين .

وثمة نزعات أخرى أكثر اقلاقا فى جبهة تحرير الحيوان . فمؤسسها هو Ronnie Lee ، وهو فوضوى ملتزم بمبادئه . ويبدو الأمر وكأن مظهرا من مظاهر الارهاب قد رجع الى الوراء قرنا من الزمان ؟ أى الى القرن التاسع عشر عندما كان الارهاب مستلهما من المذهب الفوضوى . وثمة مبررات كثيرة تدعو للاستنتاج بأن الحركة قد تعرضت لتسلل أفراد من المتطرفين ، انضموا لعضويتها من اليمين واليسار على السواء .

وتتحدى حقوق الحيوانات الشرائع والأعراف . وليس من الأمور غير المألوفة أن ترى الرايات السوداء للفوضويين جنبا الى جنب أعلام الجبهة القومية فى مظاهرات تحرير الحيوانات والمسيرات الاجتماعية حيث تؤثر العناصر الوحشية المواجهة العامة . والفوضويون ملتزمون باحداث العنف والشغب والبلبلة فى المجتمع فى جملته وشموله ، وهم يتبعون بذلك السياسة الثورية : « لا يتعين على حركة تحرير الحيوان أن تمثل صورة مكتملة الألوان للتغير الثورى ، لأن الديموقراطية البريطانية تعتمد على المزيد من الدماء والارهاب أكثر من أى بلد آخر » (٤) .

---

(٣) جريدة Independent فى ١٤ نوفمبر ١٩٨٦ .

(٤) نشرة Animal Liberation Front رقم ١١ (١٩٨٥) .

وحددت مليشيا حقوق الحيوانات أهدافا بالذات لمهاجمتها فى وضح النهار ، فشنت غارة قوامها بضع مئات من لابسى الطراطير على أحد المعامل ، واحتلت المداخل ، وارتكبت أكبر قدر من التخريب أمكنها القيام به ، ولقد قبض على بعض منهم ، وقلائل موجودون فى السجن الآن ، وان كان هذا لا يبدو رادعا كافيا ، وفى الحق ان المعامل وغيرها من الأهداف المحتملة قد أصبحت مجهزة بأفضل تجهيزات تكنولوجية ، بحيث يصح اعتبارها حصنا محصنا بأعظم التكنولوجيات ، قادرا على الصمود حتى فى وجه أبشع الاعتداءات المبيتة . وكان أكبر مثل مثير للغيظ ، القنبلة التى وضعت تحت سيارة أحد العلماء . واذا كانت هذه القنبلة لم تنفجر، فان مرد ذلك هو المصادفة أو العناية الالهية فحسب ، واختر ما تشاء من الاحتمالين ، تبعا لما يروقك . ولم تعط A.L.F أى تحذير . لقد كانوا يقصدون القتل ، وهناك احتمال بأن يزداد العنف ضد الباحثين الذين يجرون تجارب تستعمل فيها الحيوانات . وهذا منزع يمكن التعرف عليه فى شتى أنحاء العالم الغربى . ويجرى تخويف العلماء باستعمال وسائل متناغمة من أساليب البغضاء المصممة لارهابهم أثناء عملهم فى بيوتهم .

وفى ٢ سبتمبر ١٩٨٦ تركز التخويف والارهاب على هيئة جليلة الشأن عظيمة المكانة . انها الجمعية البريطانية لتقدم العلوم . ولقد نوقشت هذه المسألة طويلا أثناء مؤتمرها السنوى الذى عقد فى جامعة بريستول وسط اجراءات أمن مشددة لم يسبق لها مثيل . وعبر بعض عما يشغل بالهم ويقلقهم وقالوا أنهم على غير استعداد لنشر الكشوف أو تفاصيل من أبحاثهم خشية اجتذابها لانتباه الارهابيين . ومن الصعب أن يساعد العمل فى جو الخوف على انجاز البحث . واذا لم ينشر العلماء نتائجهم فان المعرفة المكتسبة لن يشارك فيها الآخرون فى التو ، وبذلك لن يتحقق الصالح المتبادل للجميع .

وقد ظهر أيضا أن الاعتداءات الشخصية لم تكن موجهة ضد من يجرون التجارب ، وانما كانت موجهة بالأحرى ضد أولئك العلماء الذين اعترضوا على المغالاة فى استغلال مبدأ الحرية . وتحدث علماء كثيرون عن اهتمامهم بخير الحيوانات ، وان كانوا قد خانهم التوفيق فى هذا الشأن . فقد غاب عن فطنتهم أن الـ A.L.F. ليست معنية برفاهية الحيوان ، ولكنها معنية بحقوق هذه الحيوانات التى تراها مساوية لحقوق الآدميين .

وثمة مثال مقلق مماثل فى تصاعده يمكن لمحه فى حركات السلام

وأنصار البيئة . وهذه الحركات أمثلة للاحتجاج الشعبى الحق المؤيد بأصوات مليون من أبناء أوربا الغربية الذين دفعوا الى التطرف والاستغلال من قبل آخرين . والحوار أمر مقبول . والخلاف فى الرأى من الملامح المستحبة فى الأنظمة الديموقراطية على شريطة أن يتحقق التعبير عنها فى نطاق قوانين البلاد ، وفى الوقت نفسه فان أى هجوم يوجه ضد تضامن حلف الناتو ويهدد تماسك روابط حلف الأطلسى تباركه موسكو . ولربما قام الكرملين بتمويل حركات السلام على أى نحو غير مباشر وربما كان من المصادفات أن يكون بعض من يشغلون مراكز القيادة فى هذه التنظيمات هم من الأعضاء المطيباتية للأحزاب الشيوعية القوية ، غير أن حركة السلام تعمل فى اتجاه واحد . فلم نسمع عن خروج تظاهرات لنساء كييف للاحتجاج ضد الأسلحة النووية تطوف مدنهن .

ولا يرجع الجانب المقلق الى مجرد حدوث تصاعد فى العنف ، أو الى ما يتكبده دافع الضرائب من زيادة لتغطية النفقات الاضافية التى يحتاج اليها لمواجهة « العمل المباشر » . وانما المقلق هو الأدلة الموثقة عن الاعتداءات التى تشن على الصناعات الدفاعية بالاشتراك والحركات الارهابية الأوربية . ولقد هوجمت المصانع والقواعد العسكرية . ولا يخفى أن جماعات الاحتجاج قد تعرضت للاستغلال من قبل جماعات « العمل المباشر » مثل R.A.F. و C.C.C. وغيرها من الجماعات الارهابية .

وليست الحكومات فوق كل لوم عندما يتعلق الأمر بأحداث الارهاب . اذ كان الهجوم الفرنسى على باخرة الخضر من دعاة السلام « رينبو » فى نيوزيلاندة من الأفعال الارهابية الصارخة التى أثبتت « تورط الدولة فى رعاية الارهاب كأى ارهاب ليبي غير مؤيد كتابة » .

وفى نوفمبر ١٩٨٦ ، قام حوتان فى ميناء ركيافيك باحداث ثقب فى احدى المراكب . ووصفت شرطة أيسلندة العمل بأنه تخريب معتمد ، وأعلنت جمعية متطرفة للحفاظ على حقوق الحيوانات مسئوليتها عن الحادث . ولقد انشقت هذه الجمعية عن جمعية الخضر منذ بضع سنوات . وفى الوقت نفسه تقريبا ، تعرض أحد الأشخاص أثناء استعمال دورة للمياة فى مدينة ريفية انجليزية لجرح شديد من أثر اصابته بأحد الشراك الخداعة . ولقد شاعت شهرة دورات المياة هذه لأنها كانت ملتقى المصابين بالشذوذ الجنسى . وتمتد قائمة هذه الأحداث والأحداث الغريبة الأخرى من يوم لآخر .

وفى الولايات المتحدة ، تتخذ هوامش الارهاب مظاهر أخرى ، اذ تندلع أحداث جمعية الكلوكلوكس كلان من آن لآخر فى الولايات

الجنوبيه ، وما عرف عنها من كراهية عنصرية مرضية ٠ ومفتاح مسلك « اللالان » ووحدتها منذ أعقاب الحرب الاهلية الأمريكية فى منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن هو ما يكنه بعض البيض من بغض للسود ، وتتلقى هذه الطوائف الدعم أما من باب الاعجاب بها ، أو اتقاء لشرها ٠

ولجأ أنصار حماية البيئة الى « العمل المباشر » ، الذى غالبا ما يتخذ شكل الاحتجاج الجماعى الذى ينتهى بالاصطدام والجهات المسئولة ٠ وفى بعض النواحى العاطفية ، مثل الاحتجاج على الأسلحة النووية ، يحدث نفس التصعيد المثير فى العنف ، ونفس الاتجاه للتطرف فى الأهداف والغايات ٠ وظهرت عمليات النهب للمنتوجات (بطلب فدية من الشركات والا تعرضت منتجاتها للتلويث) التى يضطلع بها المجرمون وأعضاء حركة الاحتجاج سواء بسواء فى صورة أحداث متفرقة ، وان كان قدر كبير من الأذى والضنك قد لحق بأولئك الذين فقدوا حياتهم بسببها ٠

وبمقدورنا أن نصادف أكثر النزعات وضوحا فى السياسات المتصلبة لليمين المتطرف ، فلقد تعرضت العيادات التى تسمح بالاجهاض للاعتداء والحرق من قبل أولئك الذين يدعون الولاء لحركة « حق الحياة » وحركات مماثلة ٠ وتتمسح منظمات أخرى بالدين لتبرير العنف والعنصرية ٠ وفى هذا المقام ، فان حركة « الهوية المسيحية » قد أثبتت ازدياد نزوعها الى الاقلاق والشغب فى السنوات الأخيرة ، ولقد خلطوا كراهيتهم للسود بكراهيتهم لليهود ، وقاموا بالدعوة بالقول والفعل لاستخدام العنف المسلح لتحقيق مآربهم ، التى تتالف من خليط متفجر من الدين والنزعة العنصرية ، التى تنشر عن طريق الراديو والتليفزيون لكى تستمع اليها مراكز المتشددين التى تضم خمسة آلاف نفس فى أغلب الظن ، وخمسة أمثال هذا العدد من المؤيدين ، انها حركة بدأت من وسط الغرب ، حيث مازالت تتمتع بالقوة ، وتتمركز هناك ٠ وتتعرض الحكومة الفيدرالية بواشنطن لنصيب خاص من الكراهية ويطلق عليها كنية ZOG « الحكومة الاحتلالية الصهيونية » ، ويوجه لها اللوم عن كل ما يصيب أمريكا من أوصاب ٠ وفى السنوات الأخيرة ، اجتذبت الحركة أنصارا جددا من الفلاحين المفلسين الذين يكرهون الحكومة الفيدرالية كره التحريم ٠ وقام المسلحون من أتباع الحركة بالقاء القنابل وسرقة البنوك والاغارة على مخازن أسلحة الحرس الوطنى ، وتفتقر هذه الجماعة الى التماسك والقيادة القوية ، ولكنها تتميز بمهارتها فى استعمال الأسلحة ، والمقذوفات ، وحركة « الهوية المسيحية » والجمعية الأخرى المحتمية بها « الأمة الآرية » متصلتان كذلك بجمعية أخرى تدعى Posse Comitatus

ومقرها فى الغرب الأوسط أيضـــا وتعمـــل على اثارة العنف وتشجيع المواطنين على التهرب من الضرائب ٠

ولا تتوافر لأية جماعة من هذه الجماعات القوة الكافية التى تساعدها على اثارة أية مشكلات حقة فى الوقت الحاضر ، ولكنها جميعا مسلحـــة على خير وجه ، وبارعة فى إستخدام الأسلحة ، وقـــد اجتذبت الكثير من المحاربين القدماء من حرب فيتنام ، الذين مازالوا يشعرون بالمرارة ، وساعد ذلك على مضاعفة أعدادهم ، وأيضا على زيادة مهارتهم ٠

وفى العالم الغربى ، جنحت حركات الاحتجاج الى التطرف والعنف ، وتأييد الأعمال الارهابية ، لأنه عندما يحدث اجماع دائم على القضايا التى يعتبرونها هامة كقضية قتل الحيوانات واجراء التجارب عليها ، لن يكون هنـــاك أى استعداد لتأييد التغيير وحل المشـــكلات باتباع الوســـائل السلمية ٠

★ ★ ★

١٢ ـ الأعلام والارهاب

« الصحافة اليومية هى بالضرورة شىء احتكارى ، واول واجباتها هو الاعراض عن اغراءات الاحتكار ، فجمع الأخبار على رأس مهامها ، وكى تتجنب الأخطار التى تهدد روحها ، يتعين عليها الاطمئنان الى عدم تلوث ما يردها من زاد ، فيجب أن لا يشوب وجه الحقيقة الناصعة أى خطأ ، فيما تذكره ، وفيما لا تذكره ، أو فى طريقة العرض ، والتعقيب حر ، ولكن الحقائق مقدسة » ، (جريدة المانشستر جارديان ٦ مايو ١٩٢٦) ٠

والعنف خبر من الأخبار ، وهذه مسألة لا اختلاف بشأنها ٠ ومن الأمور التى لا خلاف عليها أيضا ، دور الصحافة الحرة ، وما تتضمنه من انتقادات تساعد على مواصلة مسيرة المجتمع الديموقراطى الحر والعادل ، التى لا تختلف عن دور قوانين البلاد والحكومة المنتخبة انتخابا حرا : « التعقيب حر ولكن الحقائق مقدسة » ٠ ولقد نشرت الكلمات السابقة قبل ظهور التليفزيون ، وبعد ست سنوات فقط من ظهور أول اذاعة تجارية بالراديو ٠ غير أن المبدأ مازال صحيحا سنة ١٩٨٧ ، مثلما كان الحال سنة ١٩٢٦ ٠ فما هى الواقعة التى كانت بمثابة نذير نبه جريدة الجارديان الى القول بأن التعقيب قد يغيب فى ضباب الأيام ، وان كان لا يستبعد أن تكون حجج مماثلة قد ثارت آنئذ ، مثلما تثور اليوم عن دور أجهزة الاعلام ، والاختلاف الهام بين ١٩٢٦ و١٩٨٩ هو ما حدث

من تصاعد فى شدة النقاش وحدته فى الاعلام الحديث ، والقفزة الهائلة التى حدثت فى مقداره .

ومسئولية الاعلام واضحة ، انها عرض الوقائع . أما التحليل والرأى فيتبعان أبواب التحرير واللقاءات ، وان كانت اقامه هذا الحد بين الجانبين ليست بالمهمة اليسيرة القاطعة ، كما تبدو . ولقد وصفت كاميرا التليفزيون بأنها عين الحقيقة ، ولم يكذب هذا الوصف ، لأن التلفزيون يسجل ، - حقا - الأحداث كما حدثت . ويتعين الاعتراف بأن التليفزيون قد أصبح العين الفعلية للمشاهد . ولا يلزم أن يتوافر له المنظور الجامع ، رغم ما له من أهمية ، حتى تتصف الصورة باكتمالها . فمثلا لن ينسى جنود ايرلاندة الشمالية ما شاهدوه أثناء أحداث الشغب على نطاق واسع فى الشوارع من عودة هذه الأحداث للحياة على الشاشة ، ولقد قامت الكاميرا بتصويرهم فى لقطات أخذت من وراء المشاهدين . ونسيت طلقات القنابل النفطية والحجارة التى ألقيت على الكاميرا ، ولم يعد أحد يرى غير تهديد الجنود المدرعين وخوذاتهم ، وهم يتقدمون حاملين الشوم والبنادق التى يفرقون بها المشاغبين ، والموقف واحد فى الحالين (أى كما حدث ، وكما صورته الكاميرا) ولكن طريقة العرض والتفسير المحتمل مختلفة تماما . وقد يظن أن الاختلاف مجرد اختلاف فى وجهات النظر،ولكن من بمقدوره أن يلوم المشاهد اذا هو ارتكن الى الظن بأن الجيش البريطانى قد كان عدوانيا ومثيرا للخواطر الى أبعد الحدود ؟ ومنذا الذى يوجه اللوم الى المصور التليفزيونى ؟ لقد سجل الحقيقة ، ولم يسجل أى شيء غير الحقيقة .

والمخبرون الصحفيون والمصورون الصحفيون بشر ، وبحكم بشريتهم فانهم يعتنقون اتجاهات سياسية ويتبنون مشاعر شخصية ، ومن العسير قبول ما يقال عن تحررهم من التعصب . وبوجه عام فما لم تكن التقارير من نوع الأخبار « الساخنة » التى وردت للتو عن حادث ما ، فان التقارير تتعرض لعمليات مراجعة وتنظيم وتمحيص قبل اذاعتها على الهواء ، وقبل اختيار أفضل صورة تناسبها عند ظهورها ، على أن هذا الفحص ، حتى اذا تحقق بأعظم قدر من العناية ، فانه لن ينفى عن الاعلام - والتليفزيون بخاصة - الاتهام بأنه يميل الى مساعدة الارهابيين .

ويتطلب أى وصف لعملية الاغتيال فى الجرائد اليومية - بغض النظر عن مدى اقتدار الصحفى - تركيزا وخيالا من القارىء حتى يتمكن من استحضار حقيقة الموقف . ولا اختلاف من حيث التأثير الدرامى بين وصف الاعتداء على الطائرة واختطافها فى الراديو ، وبين التعليق على المباراة النهائية للكأس فى عالم كرة القدم ، واذا قمت بعرض أى حادث لالقاء القنابل فى التليفزيون وما ثار من شغب فى بلفاست وسجلت صورة

الارهابى وهو يقدم طلباته وهو قابع فى معقله الحصين فى السفارة ، وهذه واقعة حقيقية ، فانك ستتصور وأنت جالس فى حجرة معيشتك أمام المدفأة ، أنك قد عرفت كل شيء ، ولست بحاجة الى خيال لمعرفة المزيد ٠

وكاميرا التليفزيون قادرة على التهويل وتضخيم امكانات العنف بحيث تبدو مكبرة جملة مرات ، بأن تأتى بصورة الارهابى أمام الأعداد الغفيرة من المتفرجين ٠ وسيظهر الارهابى بمظهر درامى أبلغ تأثيرا مما يجول فى خاطره ٠ فالتليفزيون سلاح يخدم الارهابى فى بعض الأحيان ، ولكن رغم ذلك فان التليفزيون يوصف بأنه مازال يؤدى ما يطالب به عامة الناس « اى تقديم الحقيقة » ، ومن الانصاف أن نستخدم كلمة سلاح عندما نتحدث عن الاعلان ، ولعله سلاح رغم أنفه ، لأن الكثير من جوانب الحرب السيكلوجية تستند على طريقة توجيه الاعلام ٠ انه توجيه ربما لا تدرك أجهزة الاعلام مداه على الاطلاق ، وعليك أن تخطو خطوة الى الامام وتفترض أننا اذا كنا على الصواب والاعلام مخطئا ، فلماذا لا نستعمل هذا السلاح مثل استعمالنا لباقى الأسلحة ، بحيث يخدم استراتيجيتنا الدفاعية والهجومية على السواء ؟

فاذا كان من بين الاحتياجات الصفقة لأى جماعة ارهابية ، اذاعة أخبار عملياتها حتى تنتشر رسالتها وقضيتها فى العالم (أو يتعين أن نذكر أن أغلب الجماعات الارهابية تعتقد اعتقادا راسخا أنها على حق ، وأن الوقت والجهد كفيلان بانصافها ورفع الضيم عنها) ، فهل يساعد أى اجراء حكومى أو فرض حظر على نشر جميع الأحداث الارهابية « بالقضاء » على العنف ؟ أم هل سيكون له تأثير عكسى ، فيتصاعد العنف الى درجة مهولة ، بحيث يضطر الاعلام الى عدم تجاهل هذه الأحداث ؟

ولقد كشفت تغطية التليفزيون لحادث ميونخ عندما حدثت العملية الارهابية فى مطار Furstenfeldbrueck الكارثة بجميع دقائقها كاملة ، وجاءت صيحات الرأى العام فى ألمانيا الغربية وباقى أوربا مقلقة الى أقصى حد لحكومة بذلت قصارى جهدها فى الطريق الصحيح ، علما بأن الكاميرات لم تسجل ما هو أكثر من الأحداث على حقيقتها ٠ ولم يخف على صناع القرار من أرباب القدرة على النفاذ فى النفس البشرية مدى عدم الارتياح الذى شعرت به الشرطة أو ما تنوى اسرائيل القيام به ٠

ولقد وصف اعتداء SAS على السفارة الايرانية بأنه « فرصة ذهبية » للتليفزيون ، ولعله كان كذلك ، فلقد رأت الجماهير اقتحاما مثيرا على درجة عالية من الكفاءة يجرى هناك ، وسمعوا طلقات الرصاص

والمتفجرات . وبعد ذلك بعشر دقائق ، رأوا الرهائن وهم يهرعون للخروج من المبنى دون تعرض للأذى . وبعد ذلك بأيام ، بدأوا يقرءون فى الجرائد اليومية أن الجنود قد أطلقوا النيران على الارهابيين الذين كانوا قد رفعوا أيديهم مسلمين بالفعل ، ولربما كان هذا صحيحا ، ولعله كانت هناك أسباب وجيهة تبرر حدوث ذلك لصالح الاقتحام الشامل ، وتأمينا لأرواح الرهائن ، ولقد هز رجل الشارع رأسه بحكمة وقال : « هذا صحيح ! وكان من الواجب أن يحدث ذلك » . غير أن استقبال هذا الحادث كان سيبدو فى صورة أخرى لو أن كاميرات التليفزيون كانت موجودة داخل الحجرات ، ورأى عامة الناس كيفية حدوث الواقعة . فالمشاهدون المسترخون على مقاعد وثيرة يتفرجون دون مشاهدة التوتر الذى ينتاب المقتحم ، وبغير معرفة لدرجة تدريب الجنود ، وبغير دراية بالاصرار السياسى على عدم تعريض أية رهينة للخطر ، وبغير معرفة لتكتيكات « القنابل اليدوية المختبئة » التى يتبعها ارهابيو الشرق الأوسط ، وبغير تعرف على ما تلقته القوات ، ما كان من المستبعد أن يتعاطف هؤلاء المشاهدون على الارهابيين المقهورين وأن يسمع ترديد صيحاتهم : « اللعبة غير متكافئة » ، غير أننا نكرر القول بأن ما كان ينتظر أن يرونه كان تسجيلا دقيقا للأحداث .

وحصار شارع بالكومب فى لندن فى ديسمبر ١٩٧٥ مثل أولى لكيف يستطاع استغلال سلاح الاعلام لتحقيق أثر حسن عن طريق عرض أحداث الارهاب . ولقد استمر الحصار زهاء خمسة أيام ، وفر أربعة من حاملى البنادق الرشاشة الى شقة فى شارع بالكومب بعد أن أطلقوا النيران على مطعم فى حى ماى فير ، وقبضوا على اثنين من الطاعنين فى السن كانوا يملكون الشقة كرهينتين ، وفى اليوم السادس للعملية ، نصب رجال شرطة لندن شاشة عالية من القنب لسد الطريق ، وأخفوا الكاميرات بحيث لا يراها أحد ، ودسوا خبرا الى الصحافة بأن S.A.S. فى طريقها للتحرك نحو المسلحين ، وانتشر هذا الخبر فى شتى الأنحاء ، وبعد ذلك بوقت قصير استسلم المسلحون الأربعة ، ولم تسمع أية طلقات من جهة الشرطة طوال الحادث ، وكان هذا القرار قرارا كلاسيكيا ، وسجن رجال الجيش الجمهورى الايرلاندى مدى الحياة ، وحقق هذا الاجراء ردعا يفوق تأثير اطلاق الرصاص عليهم ، الذى قد ينتهى بمصرعهم وتحولهم الى شهداء !

ولعل من أكثر القضايا اثارة للجدل فى هذا القرن حول مسألة الاعلام والارهابيين قرار الاذاعة البريطانية باذاعة اللقاء الذى تم بينها وأحد أعضاء جيش التحرير الايرلاندى INLA فى يوليو ١٩٧٩ .

وربما لم يسمع غير قلة من الناس عن هذه ال INLA الى أن أعلنت هذه الجماعة مسئوليتها عن مصرع ايرى نيف عضو مجلس العموم وعضو حكومة الظل فى ٣٠ مارس ١٩٧٩ . ونجح دافيد لوماكس (بهيئة الاذاعة البريطانية) فى النفاذ الى داخل INLA ، واستطاع أن يجرى حديثا مسجلا معهم ، وبرز القاتل عملية القتل أثناء حديثه المشتت المهوش الملء باكليشيهات الشيوعيين متهما « نيف » بتعذيب المسجونين السياسيين ، ولم ينس توجيه انتقادات الى المجتمع الانجليزى . ولم تخطر الشرطة أو الحكومة بوجود هذا التسجيل الذى أذيع على الهواء فى ٥ يوليو ١٩٧٩ بعد تردد ونقاش طويل داخل أروقة الاذاعة البريطانية ، وجاء رد الفعل فى المدى القصير معتدلا الى حد أثار الدهشة . فلم تسمع أية اعتراضات باستثناء ما قامت به « الليدى نيف » أرملة ايرى التى تصادف أن شاهدت التليفزيون ، وشعرت بالضيق . وهذا أمر غير مستغرب ، ونشرت جريدة الدايلى تلغراف رسالة انتقادية شديدة اللهجة وردتها من الليدى نيف . وبعد ذلك بفترة قصيرة ، أصبح الموضوع محور أخذ ورد غاضبين فى أجهزة الاعلام والدوائر السياسية . وبررت الاذاعة البريطانية ما قامت به بالقول بأن للرأى العام الحق فى معرفة وجهة نظر الارهابيين ، وأن نشر مثل هذه الاحاديث سيشجع الارهابيين على التحدث بما هو أكثر عن العنف .

وفى هذه الواقعة ، تركزت المشكلة على أن جمعية لم يسمع بها أحد قد باغتت المتفرجين الذين يقدر عددهم بالملايين ، وأتيحت لها الفرصة للتعبير عن آرائها . وترى احدى مدارس الفكر أن هذا اللقاء ربما يكون هو الذى ألهم بالقاء القنبلة على سفينة الايرل مونتباتن فى ٢٧ سبتمبر ١٩٧٩ . وهو حادث راح ضحيته الايرل وثلاثة آخرون . ويفسر ذلك بأن PIRA قد شنت محاولة يائسة لكى تتكافىء هى ومقدار الشهرة التى حظيت بها الجماعة الأرهابية الأخرى INLA .

وهكذا فاذا نظر لأخبار أجهزة الأعلام على أنها سلاح فيتعين — فيما يحتمل — أن ينظر اليها على أنها أشبه ببندقية بلا سقاطة أمان ، أو أنها أشبه ببندقية ذات ماسورة منحنية يمقدورها أن تنطلق فى أى وقت دون أن تكشف عن أى أثر يستشف منه أين ستسقط الطلقات . وليس هذا كلاما من قبيل المغالاة فى التبسيط . فعندما نفحص القيمة الخبرية من هذا اللقاء الذى أجرته الاذاعة البريطانية فان علينا أن نفحص جميع الآثار المحتملة من جميع الزوايا التى يمكن تصورها حتى لا نتعرض لاصابة أية طلقة « سكترمة » غير متوقعة .

ويحتمل أن يكون أفضل نصير لفن تسخير الاعلام لأغراضه هو المخابرات السوفيتية .K.G.B ويعتقد بوجه عام أن عمليات تحريف المعلومات Disinformation من اختصاص الادارة التابعة لها والمسئولة مسئولية كاملة عن الدعاية والحرب النفسية ، وتعرف .K.G.B « عملية تحريف المعلومات » بأنها النشر على نطاق واسع (عن طريق الصحافة والراديو والتليفزيون) لمعلومات زائفة بقصد خداع الرأى العام ، وعندما أنشأ الجنرال يورى أندروبوف هذه الادارة ١٩٦٧ (وكان رئيسا عاما للمخابرات آنئذ) فانها قد تمادت فى المبالغة فى هذا السبيل ، ويقال انها كانت تنفذ بين ثمانمائة وألف عملية خداع سنويا

وأكبر مهزلة قامت بها هذه الادارة التى حققت تأثيرا جزئيا (وأن كانت هذه المسألة موضع خلاف) هى اثارتها الشعور بالذنب داخل العالم الحر ، وتنصب جهود هذه الادارة على الولايات المتحدة بوجه خاص ، ويكفى أن نتذكر عدد الجمعيات المتأثرة بالدعاية الشيوعية التى هاجمت الاستمرار فى الارتقاء بصناعة قنبلة النيترون • واعتمدت هذه الدعاية على نشر صور فظيعة لمدن سوفيتية بقيت فيها الأبنية قائمة ، بينما سقط المواطنون موتى بالملايين ، والقنبلة النيترونية سلاح منمنم صغير كان فى النية استعماله فى عمليات الدفاع خلف خطوط الحلفاء فى أوربا الغربية فى حالة حدوث « اجتياح » سوفيتى • ولقد هدف جهاز الدعاية السوفيتى أيضا لاشعارنا بالذنب لأننا ناجحون وأثرياء ومتخمون ونستمتع بمستوى عال من الحياة ، بينما الارهابى البائس الذى ولد فى الفاقة ، لا يسعى لأكثر من الحصول على ما يتمتع به القارىء بالفعل مما ورثه من الجهد الشاق الذى قام به واحد من جدوده • وتتم أكثر عمليات نسخ المعلومات فى عالم .K.G.B عن طريق صلات معروفة بوكالة الأنباء « نوفوستى » ووكالة الأنباء الرسمية تاس وراديو موسكو •

ومن بين مهام « مجلس السلام العالمى » ــ وهو من كبار المساهمين المزعومين فى هذا المضمار ــ التأثير فى الرأى العام فى البلدان الديموقراطية فى العالم الحر ، والوسائل المتبعة عتيقة عتاقة الجبال ، يعنى الاعتماد بقدر ما على الصحفيين الذين يميلون ميلا فعليا الى اليسار ، وما أكثر عددهم • وتقوم .K.G.B باقامة ولائم فاخرة حافلة للمراسلين يتناولون فيها الفودكا والبورشت والبالونى بمقادير متساوية • ويترتب على هذه الولائم قيام المخبرين الأكثر سذاجة بترويج المواد الاعلامية المطلوبة •

ولقد ظهر هجوم متوافق ومتناغم على برامج النهوض بالتسليح فى

الولايات المتحدة وأوربا من قبل جماعات من الصحفيين والمنظمات كمنظمة Mobilization for Survival و Coalition for Peace and Freedom ومنظمة International/League and Military for, Foreign Policy وقد هاجمت هذه الجماعات مشروعات القنبلة النترونية وحرب النجوم ونشر الأسلحة النووية والأمريكية فى أوربا ، وغير ذلك ، ولقد حققت قدرا من النجاح ـ كما يمكننا أن نتخيل ـ لأن بعض هذه البرامج قد أوقفت ، كما يبدو ٠

واذا كانت K.G.B. قد أنفقت قدرا كبيرا من المال على عمليات تحريف المعلومات اتباعا للاستراتيجيات المشار اليها آنفا باقتضاب ، لذا فلا يستبعد أن يكون بعض هذا المال قد حول الى تدعيم الارهاب فى أجهزة الاعلام ٠ اذ تقوم K.G.B. بتدريب أو تنظيم تدريب الكثير من الجمعيات المتنوعة للارهابيين ومحاربى العصابات ، بحيث لا يتخيل أن يقصر جهدها عن القيام بمثل هذا النوع الأسهل من المؤازرة والتى يحتمل أن ينسب اليها بمقدار أقل ٠

هناك بكل تأكيد بعض أمثلة بالذات للعمليات الارهابية التى يكون اشراك الصحافة فيها كطرف أو تكليفها بعمليات مسخ محسوبة للمعلومات (شريطة أن لا يتبع هذا الاجراء الا فى أضيق نطاق مستطاع) عملا مستصوبا ، كما حدث عند محاولة انقاذ أرواح الرهائن مثلا ، وليس مثل هذا التكتيك بعيدا عن الخطر ، بطبيعة الحال ٠٠ فلربما استطاع اضعاف ثقة الجماهير بدقة الصحافة (وهذه حالة قائمة بالفعل !) وربما أدى الى حدوث موقف يستمر فترة من الزمن ، لا يجدى فيه ما أتبع فى شارع بالكومب ٠

كثيرا ما ذكر العارفون ببواطن الاعلام ان جمهور المتفرجين يتعطشون للفزع ، ويبدو لى أن أعراض هذه الحالة المرضية تظهر عندما يكون فيها المتفرج جالسا بالقرب من المدفأة ، ويود أن يشعر كأنه واقف فى الخط الأمامى للقتال ، وينسى أن الحادث المعروض أمامه مجرد خبر ٠ وتحدث الواقعة شعورا بالاستثارة يتداعى معه شعور لسان حاله « آه لو كنت هناك ! ٠٠٠ » ولا يلزم أن يكون هذا الشعور نابعا من الحادث نفسه ، وعلى هذا فان على الاعلام أن يشبع هذه الحاجة عند الجماهير ٠ وبغض النظر عن تفسيرات الأفراد ، فان ما تفعله يحقق المراد منه ما دامت الحقيقة تبلغ بطريقة غير منحازة ٠

★ ★ ★

١٣ ـ التهديد الارهابى اليوم

قبل أن نفحص مختلف وسائل مواجهة الارهاب ، ربما كان من المستصوب أن نتوقف هنيهة للتحدث عن « التهديد » ، وأبعاده الآن · ولو قسنا مدى التهديد اعتمادا على مقدار اجتذابه لانتباه الاعلام سيبدو نذيره كئيبا · وترجع المشكلة الى أن تصوراتنا وانطباعاتنا عن الارهاب لم تتكون استنادا الى دراسة التاريخ أو تأثير التقاليد ، ولكنها جاءت الى حد كبير من تأثير الاعلام ، ان هذا يفسر أيضا لماذا يخصص الارهابيون فى حربهم ضد الغرب قدرا كبيرا من استراتيجيتهم وجهودهم لجذب انتباه أجهزة الاعلام ، وتسخيرها لغاياتهم ·

وعندما تستمع الى أجهزة الاعلام فانك ستعتقد أن الارهاب قد أصبح « سرطان » العالم المعاصر ، ورغم جميع المظاهر ، فلا يخفى أن هذا الايهام بعيد عن الحقيقة · على أن الاعلام اليوم ـ أو على أقل تقدير جانبا كبيرا منه ـ يعد برهانا حيا على نجاح الارهابيين نجاحا باهرا فى ترويج أخبارهم الى حد كبير مقابل أدنى قدر من الجهد المادى · والارهاب ينتعش فى المجتمعات الحرة والمتفتحة فى الديموقراطيات الغربية ، ويثير مشكلة حقيقية للغاية للعديد من المنظمات والأفراد · وفى الماضى القريب ، كانت بعض البلدان، وعلى الأخص تركيا وايطاليا ، مهددة بخطر الارهابيين ، ولكن على الرغم من ضعف مناعة المجتمعات ، فان الديموقراطية مازالت بخير ، وليس بمقدور الارهاب تهديدها ·

ومن الملامح الغربية فى العالم الحديث ، اتصاف الدول بالمرونة التى تساعدها على الاستمرار فى البقاء ، رغم ما يواجهها من ضغوط ونكسات ، وهذا يصح ـ بوجه خاص ـ عن الديموقراطيات · فقوة الدولة ، وما لديها

من موارد هائلة تحت امرتها أعظم دائما مما باستطاعة الارهاب حشده ففى حالة ألمانيا الغربية وايطاليا ، أمكن ــ آخر الأمر ــ السيطرة على التهديد الارهابى الذى اكتسح وبرز بروزا كبيرا من أثر وجود منظمات مثل بادر ــ ما ينهوف والألوية الحمراء ، وأمكن ترويضه بفضل السياسات القوية والجهود الجماعية التى اشتركت فيها مختلف الأجهزة ٠

وليس من المحتمل أن تقدر أعظم الجمعيات الارهابية على الحفاظ على سلامتها ، وشن اعتداءاتها كما تشتهى ، اذا واجهتها القوى الدفاعية المسئولة عن حماية الدولة ، بعد تعبئة النظام الديموقراطى لها عندما يستثار غضبه ٠ وبمقدور الحركات الارهابية المستلهمة من النزعة القومية كتلك القائمة فى أسبانيا وايرلاندة الشمالية ، أن تزداد مرونة اعتمادا على استهوائها لجانب من المواطنين ، ولكن يلاحظ أن هناك بعض جماعات ارهابية مثل الجيش الجمهورى الايرلاندى و « ايتا » فى أسبانيا لم يعد لها مظهرها القوى الذى كانت تتمتع به فيما مضى ٠

ومن الناحية النظرية ، فان نجاح الدولة فى قمع الارهاب لا بد أن يبدو مسألة مسلم بها ، أما فى الناحية العملية ، فكثيرا ما تسرف الدولة فى تقدير عملية محاربة الارهاب « وتعمل من الحبة قبة » ، كما يقال فى أمثلتنا العامية ، ويرجع ذلك الى جملة أسباب كتعدد الأجهزة المسئولة عن تنفيذ القانون ، والوحدات المضادة للارهاب ، والقوات الخاصة والتنظيمات الاستخبارية ٠ كما أدت المنافسات القائمة بين العاملين فى الشرطة والقوات المسلحة الى تصعيب عملية التعاون فى الجهود والتعامل بينهما ، وفى الوقت نفسه ، فكثيرا ما يكون بمقدور الحكومات خلق مشكلات ارهابية اضافية لمواجهتها ٠ وكما رأينا ، فان الارهاب قد أصبح يبدو بصورة متزايدة كأنه نتاج لليبرالية والأنظمة الديموقراطية أكثر من كونه من أثار القهر واتباع الأنظمة الشمولية ، فمن الحقائق الواضحة أنه منذ موت فرانكو ، تزايدت أحداث الجريمة والارهاب فى أسبانيا ٠ ولو تابعنا هذه النظرة فى المحاجاة الى ما هو أبعد فاننا سننتهى الى ملاحظة مريرة مؤداها أنه فى بلدان كفرنسا وألمانيا الغربية والبرتغال وتركيا ، ازدادت أحداث الارهاب فى ظل حكومات أقرب سياسيا الى اليسار ٠

نعم ان بمقدور الحكومات أن تقهر الارهاب ، ولديها طرق مفتوحة عديدة لتحقيق ذلك ٠ ولكن احدى هذه الطرق ــ يقينا ــ هى الرد عليه بكفاية وقسوة ٠ وبعد ١٩٨١ ، اكتشف آية الله الخمينى أن نظامه يلقى معارضة من مجاهدى خلق (اليساريين) الذين الفوا تحالفا مع

الأحزاب اليسارية المشابهة لهم فى معتقداتهم ، وسرعان ما تفجرت هذه المعارضة ، وتحولت الى حملة ارهابية ضارية ، استطاعت أن تحقق نجاحا لبعض الوقت على أقل تقدير . ففى بحر ثلاثة شهور حاولت اغتيال رئيس الوزراء وقرابة نصف المجلس الحاكم وقادة مختلفين للشرطة وأعضاء البرلمان ، كل بدوره ، وعلى هذا العهد ، جاء الدور على آية الله الخمينى لكى يتجه الى الضراوةوالرد عليهم بقسوة جامحة . وقامت الشرطة وقوات الأمن بالقتل بلا هوادة أو تمييز . وانتزعت المعلومات عن طريق تعذيب المشبوهين . ولم يمض أكثر من ثلاثة أشهر حتى أمكنهم كسر ظهر المقاومة . وحققت دول أخرى قدرا مماثلا من النجاح باستعمال قدر أقل من الوحشية وفى مدى زمنى أطول .

والمشكلة التى تواجه الحكومات على المستوى الدولى ، هى أنها تحاول تنسيق سياساتها واجراءاتها الخاصة بمواجهة التهديد ، بغير وجود اتفاق عام على تعريف ماهيته . ولقد نشرت قائمة (١) تضم ١٠٩ تعريفا مختلفا للارهاب فى نصف القرن الأخير ، وأثناء اشتغالنا بالبحث ، صادفنا تعريفا جديدا أو تعريفين أصدرتهما الولايات المتحدة ، بل وصادفنا ما هو أكثر من ذلك عند أوربا الغربية . وجميع هذه التعريفات مختلفة بعضها عن البعض .

وبقدر ما يهمنا فى هذا الشأن ، فاننا سنعرف الارهابيين بأنهم أناس يجنحون الى أعمال العنف ، بلا تمييز ، باسم ما يظنون أنه قضايا أخلاقية سامية ، وعندما يشن الارهاب فى الديموقراطيات فانه يعد جريمة قتل مع سبق الاصرار والترصد ، تلحق ضررا وتهديدا للأبرياء بقصد اثارة المخاوف ، لغايات سياسية . ولقد بدأ الارهاب ـ كما نعرفه الآن ـ كنزعة فى أواخر الستينات ، ووطد أقدامه كامتداد للسياسات المتطرفة أو للحركات القومية أو الانفصالية . ولقد غدا الآن ظاهرة دولية .

وعندما يتعلق الأمر بالكلام عن الارهاب الدولى ، فان هناك فجوة عميقة تفصل بين الأحاديث العنترية وبلاغة زعماء الدول ، والمتحدثين باسمهم ، وبين عمليات المهادنة أو ردود الفعل الواهنة التى تعقبها . ولما كان الارهابى يعمل على زعزعة استقرار المجتمعات الديموقراطية ، واثبات أن حكوماتها لا حول لها ولا قوة ، لذا يساعد رد الفعل الضعيف على تعزيز قضيتهم . وهناك بعض حكومات بمقدورها مواجهة

---

(١) Political Terrorism — Alex Schmid
(New Brun wick - Prentice Hall) A Revised Guide.

تهديد الارهابيين ، والرد عليه بشدة وبقصد . ويتميز الاتجاه البريطاني بالذات في هذا الشأن بصلابته وحزمه . فهو يرى أن على الحكومات أن ترفض التعامل والمنظمات الارهابية ، ومن يساندها من الحكومات ، حتى اذا كان ثمن ذلك حدوث خسائر في المدنيين . وهنـاك انجليزي يفترض أنه ضمن قائمة الرهائن بلبنان . وعلى الرغم ممـا تذكره البلاغـات الرسمية لحزب الجهاد الاسلامي عن وجود اسمـه في قائمة الرهائن ، الا أنه ليس هناك أي دليل آخر يثبت أنه على قيد الحياة .

ورغما عن شعور الرجل وعائلته بالضيق ، فان لنـدن قد طبقت سياستها . وعندمـا وجهت بالدليـل الذي قدم في احـدى محاكمـات الارهابيين ، وكان فيه الكفاية لاقناع المحلفين بتورط سوريا ، وخداعهـا ، لم تتوان وزارة الخارجية عن اتخاذ الرد المناسب . فلقد خرق السفـير السوري والعاملون بالسفارة بطريقة فجه البروتوكول الدبلوماسي والسلوك الدبلوماسي ، ومن ثم قطعت بريطانيا علاقتها الدبلوماسية هي وسوريا ، التي تعد قوة عربية de facto في الشرق الأوسط ـ وهذه مسألة تحتمل الجدل . وتطلعت بريطانيا الى قيام المجتمع الأوربي بعمل مماثل ، غير أن أقصى ما استطاعت بريطانيا توقعه من هذه الدول هو ربتها على كتفها بحنان من قبيل المواساة ! أما فرنسا فانها قد لعبت كعادتها دائما لعبة براجماتية بوصفها الدولة الأوربية الوحيدة الملتزمة التزامـا قويـا بشئون الشرق الأوسط بحكم التاريخ والحاجة لتـأمين حيـاة رجالهـا المحتجزين كرهائن .

وعندما كشف النقاب عن فضيحة ايران جيت ، كانت الولايـات المتحدة هي التي أحدثت أعظم صدمة ، بل وتسببت في احداث أشنـع احباط في رأى الكثيرين . ولقد وضعت في سياقها الصحيح الآن الوعود الكريمة التي عرضها الرئيس ريجـان ، والتحذيرات التي حـذر بهـا الارهابيين ، الذين هاجموا المواطنين الأمريكان ، بعد أن أوفد مبعوثا الى طهران يحمل عرضا أمريكيا بقيام الولايات المتحدة بدفع جزية لآية الله . ويعتقد بوجه عام أن ايران ، أي البلد التي احتجزت الرهائن الأمريكان لمدة ٤٤٤ يوما ، والتي لا تتوقف عن وصف الولايات المتحدة بالشيطـان الأكبر هي التي حرضت على ارتكاب أبشع العمليات الارهابية ضد المواطنين الأمريكان وممتلكاتهم خارج أمريكا ، وعندما باعت اليابان الأسلحة الى ايران عن طريق اسرائيل ، فانها أثارت ضيق الأوربيين ، وأغضبت العرب المعتدلين كالسعودية ودول الخليج ، الذين يعيشون في حالـة خوف من الايرانيين لتأييدهم العنف الذي يرتكبه الأصوليون من الشيعة . وفي مثل هذه الأمثلة ، استطاع الارهاب تحقيق غايته ، التي تبدأ باثارة الرعب

واستفزاز أهدافه واستحثاثهم على اصدار وعود تتنافى والعقل ، ويصح أن توصف باللاعقلانية الأفعال التى أقدم عليها مجلس الأمن القومى الأمريكى عندما حاول استرداد أولئك المواطنين المحتجزين كرهائن فى لبنان ، ومن سخريات القدر أن يكون المفاوض الأساسى لاطلاق سراحهم انجليزى (تيرى ويت) مبعوث رئيس اساقفه كانتربرى • وقد احتجز ويت أيضا من قبل أولئك الذين تفاوض معهم قبل ذلك • وعند تاليف هذا الكتاب (١٩٨٧) ، ما يعرف عن أحواله لا يتجاوز الشائعات والرجم بالغيب •

وخطت ايران وليبيا وسوريا وحكومات أخرى خطوة جديدة فى ميدان الارهاب الآن يحتمل أن تكون أشدها تدميرا • انه الارهاب المؤيد من الدولة • وهى مهمة تحقق قدرا أكبر من النفع ، وأخطارها هينة ، وأشبه بقيام الحكومات بانابة آخرين للقيام بالحرب بدلا منها ، وبعبارة أخرى فان الدولة تؤيد الذين يقودون العنف ، وتجنى ثمار الارهاب ، وهى بعيدة آمنة ، لا من الأفعال المادية نفسها ، وانما من ردود فعلنا حيالها •

والارهاب تحت رعاية الدولة من أساليب الطغاة الطموحين الأنانيين ، الذين يحصلون باتباع هذا السبيل على ما هو أكثر مما يمكن اشباعه عن طريق مكانتهم القومية وسلطانهم • ويتشابه رعاة الارهاب الدولى ، من جملة نواحى ، هم والأطفال الذين يحاولون الاهتداء عن طريق المحاولة والخطأ الى أى حد يستطيعون التمادى فى استفزاز البالغين الى أن يوقفوا عند حدهم أو يهدأون ويضطرون لتغيير مسلكهم • وتتخفى دول أخرى كسوريا وراء أفواج من الرجال الذين يوضعون فى « وش المدفع » ، والأعذار الباطلة ، وتكون هذه الدول على استعداد دائم لانكار ذنبها ، واثبات براءتها • وتزعم دول أخرى كليبيا أن لديها الحق فى مؤازرة أفعال العنف فى أراضى الدول الأخرى ، ولعل هذا يفسر ـ من جانب ـ لماذا يستحب اتخاذ أوربا كميدان لمعارك الارهابيين • فاسرائيل هى العدو الحقيقى لارهابيى الشرق الأوسط ، ولكن من الصعب النفاذ الى داخلها ، أما الولايات المتحدة الحليف الحميم لاسرائيل فتقع فى موقع قصى ، وربما بدت اعتداءات الارهابيين هناك مثيرة للاستفزاز الى أبعد حد ، وعلى أى حال فلا ننسى أن هناك عددا وفيرا من الأمريكان فى أوربا ، والى عهد قريب جدا ، كان أحب هدف أمريكى هو المنشآت الدفاعية • وبدأ هذا الاتجاه يتغير بعد أن تزايد تحصين هذه المنشآت ، ومن ثم وجه الارهابيون الدوليون والوطنيون انتباههم الى القطاع الاقتصادى •

فما هو تأثير كل ذلك على المسافر الدولى ، والدولة معنية بهـذه المسألة • وقد أصبحت الحاجة ، تدعو للرد على الارهابى بطريقة فعالة فى المستوى الدولى • ولكن فى الوقت نفسه ، فان ما تقوم به الحكومة لن يضمن حماية الفرد وممتلكاته ، ولا يستبعد أن لا تكون قادرة على ذلك ، ولقد تحسنت ردود الحكومة بدرجة ملحوظة • غير أن الأحداث الارهابية قد تزايدت بمعدل بين ١٢٪ و ١٣٪ سنويا فى غضون السنوات العشر الأخيرة ، ففى سنة ١٩٨٤ ، حدث اعتداء ارهابى على المصالح الأمريكيـة والمسئولين وراء البحار • وكان لمن أحتجزوا مبرر قوى يدفعهم للخوف فلقد قتل ثمانية وعشرون وجرح أربعة وسبعون • وقدرت تلفيات الملكيات بمبلغ اثنين وعشرين مليونا من الدولارات ، وفى سنة ١٩٨٠ ، شنت اعتداءات على المصالح الأمريكية وراء البحار ، ويعد السلاح المفضل فى اعتداءات أوربا هو القنبلة ، ويستخدم الارهابى القنابل لأنها سهلـة الصنع ، وسهلة الاخفاء ، وليست فى حاجة الى وجود الارهابى فى مكـان تفجيرها •

وكانت البنوك وشركات الكومبيوتر الأمريكية من الأهداف المفضلـة عند الارهابيين الذين كرسوا أنفسهم لمحاربة ما يعتقدون أنه « امبريالية اليانكى الاقتصادية » • وفى بلجيكا وألمانيا الغربيـة ، كانوا يختارون للهجوم الشركات التى يستعان بها فى ميدان الدفاع ، وبخاصة تلك المعنية ببرامج شديدة التعرض للمشاكسة مثل صواريخ كروز !

وفيما يتعلق بالمسافرين الى الشرق الأوسط ، فان المخاوف الداهمة الدائمة فى الوقت الحاضر هى اختطاف الطائرات ، وبخاصة عندما يكون الطيران على احدى الطائرات القومية المحلية ، والرد المباشر فى هذه الحالة هو اختيار خطوط طيران احدى البلدان التى ليس لها دور سياسى تلعبه فى صراعات المنطقة ، ولشركات سويس اير و K.L.M و S.A.S.، وبعض طائرات الركاب التابعة للشرق الأقصى شبكة ممتدة من الخطـوط التى تعمل فوق هذه المناطق •

وفى أمريكا اللاتينية ، التى تلى فى الترتيب أوربا والشرق الأوسط ، يرجع التهديد الرئيسى الى اختطاف الأشخاص ، فمنذ بواكير السبعينات ، وحتى يومنا هذا ، قامت تسع عشرة جماعة مختلفة بعمليـات احتجـاز الرهائن • وفى هذه الفترة ، طلبت الفدية من ست وخمسين بلد وست وأربعين مؤسسة تجارية • ويجىء ترتيب ضحايا هذه الأحداث تنازليـا على الوجه الآتى : مواطنو الولايات المتحدة ثم فرنسا وبريطانيا العظمى وألمانيا الغربية وايطاليا • ويخص هذه البلدان وحدها ما يقرب من نصف حالات الرهائن المعروفة على نطاق واسع •

وتتخذ ردود أفعال المؤسسات صورا مختلفة • فبعضها يقر دفع مبلغ من المال ، ويجرى احتسابها على الوجه الآتى : اذا تجاوزت الاجراءات التى قد تتخذ ضد الارهابين بمقدار ١٪ ما سيدفع في سبيل استرداد هؤلاء الرهائن ، فاننا نكون قد حققنا ما فيه الكفاية ، وعلينا أن نرحل من هذا البلد بالذات ، وحتى لو كان ذلك كذلك ، فان المسئولين يعيشون فى ظل قيود صارمة مجهدة ، كما يبين من حالة أحد رجال الأعمـــال المقيمين فى بوجوتا (كوليمبيا) : « ان الاخوة الذين على أن أصحبهم لحمايتى وحماية عائلتى « أزفت » من الارهابيين • فآخر من أرى أنا وزوجتى بالليل هم أولئك المقرفون ، وهم أول من أرى فى الصباح » (٢) •

وليس من المحتمل أن يتحسن الموقف • ونحن نرى أنه سيزداد سوءا • وليس الارهاب شيئا مستحدثا فى التاريخ ، بل ولقد شهد حتى قرننا أكثر من تصيبه العادل فى هذا الشأن • بيد أن ارهاب هـــذه الأيام يختلف فى مداه ودرجة عنفه • وترمى استراتيجية الارهابيين الى زيادة القدرة على الضرب بقسوة أشد في المستقبل ، بغض النظر عما قــد تتخذه الدولة من احتياط لحماية شعبها وممتلكاته ، وتعتمد اعتمادا تامــا المخاوف والروادع التى يلوح بها الارهاب فى وجوده الطفيلى على هـــذا التهديد •

ويحتاج المسافر خارج وطنه لمواجهة مثل هذه المخاوف الى التعرف على تهديدات الارهابى وتفهمها حتى يكون بمقدوره تخفيف وطأة المخاطـر التى يتعرض لها هو وعائلته ، ويكون باستطاعته في حالة تعرضه لأى حادث ، سواء بالمصادفة أو نتيجة لمخطط ، أن يعرف كيف يمكنه أن يحافظ على بقائه حيا يرزق •

---

(٢) جاءت فى مجلة Fortune عدد يناير ١٩٨٦ •

ثالثاً: رد الحكومة على الإرهاب.

١٤ ـ القانون الدولى والارهاب

بمقدور المواطن أن يرتكن الى قانون بلاده لحمايته ، وليست القوانين بقادرة وفق مشيئتها على محـو الجريمـة ، ولكنها تزود الفرد بالراحـة وتعيد اليه حقوقه المغتصبة · على أننا اذا تركنا الدولة وانتقلنا الى خـارج حدودها سنرى أن رجل الأعمال الدولى والمسافر الدائب لن يتوافر لـه الا القليل من الراحة وهدوء البال · ويرجع ذلك الى عدم تماثل القوانين الدولية هى والقوانين التى تسنها الدولة لنفسها ·

وتتمتع الدولة بالسيادة ، ولها نظريا ـ على أقل تقدير ـ السلطـة المطلقة لسن قوانينها ، وفرضها طبقا لنصوص دستورها · وتنظر الحكومة التى تهاجم الى جميع أنواع الارهاب على أنه اجرام ، يعاقب بكل ما يتمتع به القانون من قوة ، أو يسلم الأشرار لبلادهم قبل أن يتسببوا فى احداث متاعب أخرى ، ولا يلزم أن تتمكن القوانين الأهلية والمدنية ، وبخاصـة تلك الموجهة ضد الارهاب ، من منع حدوثه ، ولكن بمقدورها ـ على أى حال ـ منح المواطن شيئا من الحمـايـة والحق فى رفع الضيم عنه أو انصافه ·

والقانون الدولى مختلف · ويتخـذ دوما شـكل المعـاهدات أو الاتفاقيات التى توقعها الدول ، ولكنه لا يتمتع بالقوة التى يتمتع بهـا القانون الأهلى ، لأن الدول لا يمكن أن تقبل سلطانا أعظم من سلطانها · وهذا هو ما تعنيه كلمة السيادة ، وهذه ناحية تغار الدول عليها وتتمسك بها تمسكا صارما · وليست هناك وسائل يمكن الاعتماد عليها لفرض القانون دوليا ، والاعتراف به من قبل الجميـع ، باستثناء العقوبـات

الاقتصادية أو الحرب ، فليست هناك قوات شرطة دولية · أما محكمة العدل الدولية بلاهاى ، فانها كثيرا ما تتعرض للاستخفاف والاساءة اليها ، مثلما تحظى أيضا أحيانا بالاحترام والتبجيل ·

ويلقى القانون وضعا مؤسفا عندما يحاول التعامل والارهابيين والارهاب الدولى ، فحتى سجلات الدولة فانها غارقة فى سبات عميق ، فالارهابيون يقتلون وبعضهم يؤسرون ، وقلائل من هؤلاء الأسرى يقدمون للمحاكمة ، وبدلا من ذلك ، يسمح لهم بترك البلاد لتأمين حياتهم . ولقد حوكم جورج ابراهيم عبد الله زعيم احدى العصابات اللبنانية الشريرة ، وأصدرت المحكمة الفرنسية العليا حكما بحبسه أربع سنوات · وفى هذا المثل نصادف نموذجا أوليا لعدم التناسب بين العقوبة والجريمة · كما أننا نرى مثلا لخضوع العدالة للمصالح العامة العليا ، ولقد اتضح أن نية الحكومة الفرنسية كانت متجهة أصلا لتخليص نفسها بأسرع وقت ممكن · ولكن الاجراءات القانونية الصحيحة تدخلت ، وجاءت النتيجة فى صورة حملة فظيعة بالقنابل شنها الارهابيون خلال فصل الخريف ، وتركت المدينة تترنح من أثر الصدمة ، ولكنها صممت فى الوقت نفسه على عدم الخضوع لمثل هذه الضغوط ، ثم حوكم عبد الله بعد ذلك ، وصدر الحكم بحبسه مدى الحياة على جرائمه · وهناك حالات أخرى تم فيها استبدال الارهابيين الذين يمضون أحكام السجن برهائن فى أحداث ارهابية لاحقة · وقلائل من الارهابيين - باستثناء الموجودين فى بلدان شديدة المراس كبريطانيا واسرائيل والولايات المتحدة - يحتمل تنفيذهم فترات العقوبة كاملة ·

ان هذا لا يعنى أن المجتمع الدولى لم يبذل أية محاولة للتنسيق بين أفعاله ، فلقد عرف الارهاب منذ أمد بعيد للغاية ، وتعالت الصيحات من حين لآخر فى أوساط الدبلوماسيين مطالبة بالسيطرة على العنف والتحكم فيه · وعقد عدد من الاتفاقيات دارت مشاحنات حولها فى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بل ووقع الأعضاء على هذه الاتفاقيات ، ولكن لم يصدق على أية اتفاقية منها ، ومن ثم فلم يحدث التزام بتنفيذها ، ولا حتى الالتزام الأدبى من قبل من قاموا بتوقيعها ، ويبين من جميع هذه الأشياء مدى تأثير المنظمات الارهابية ، والدول المناصرة لها ، على المحافل الدولية كالأمم المتحدة التى يتوجب عدم المغالاة فى انتظار الكثير منها ·

وساقت المذابح التى حدثت فى ميونخ ومطار اللد عام ١٩٧٢ الأمم المتحدة الى التحرك · وفى ذلك الخريف ، استغل كورت فالدهايم سكرتير الأمم المتحدة آنئذ نفوذه لبدء حوار فى الجمعية العامة عن الاجراءات الخاصة

بمنع الارهاب وأشكال العنف الأخرى ، التى تهدد أرواحا بريئة أو تهدد الحريات الأساسية • ولا بد من الاعتراف بأن ما أحرز من تقدم منذ ذلك الحين كان هينا ، ولم يساعد على تحريك الأمور أن تكون اسرائيل هى هدف حادثى الارهاب اللذين آثارا اهتماما عالميا ، واحتدم حولهما النزاع • غير أن الانهيار كان أعمق ، ففى نظرة الأمم المتحدة الى الارهاب ، انقسمت الآراء الى قسمين أساسيين ، تمشيا مع قسمة العالم التقليدية الى شمال وجنوب ، فأيدت معظم الدول النامية شرعية الكفاح المسلح « ضد الأنظمة الاستعمارية ، وغير ذلك من أشكال السيطرة الأجنبية » •

وأيد الاتحاد السوفيتى والدول التى تسبح فى فلكه هذا الرأى أيضا وانما لأسباب مغايرة •• وتطلعت الدول النامية الى ايمانها بحق تقرير المصير بلا منازع ، ولكن هكذا فعل أيضا أغلب مفكرى اليمين فى الدول الغربية ، وان كنا نميل الى اقامة حد فاصل عندما يتعلق الأمر بالارهاب • ولم يكتف آخرون بقبول الارهاب ، ولكنهم نظروا اليه كمكمل مشروع فى السعى نحو التحرر ، وكان هذا الصوت الأجش الذى صدر عن جماعات الضغط فى الأمم المتحدة هو الذى هدف الى اعفاء أعمال العنف التى ترتكب فى سبيل التحرر الوطنى ، وهو ما يعنى مقدرة أية جماعة ارهابية على املاء كلمتها عند تحديد أى معايير فى الجمعية العامة ، وأن بمقدورها أن تحصل على الحصانة ضد أى تشريع •

ومن ناحية من اعتاد السفر ، فليس أى اتجاه من الاتجاهين محمود العاقبة ، فالاتجاه الأول له تأثير سلبى نظرا لما تلقاه الاجراءات المضادة للارهابيين من عدم ترحيب ، وربما كان الاتجاه الآخر أشد اهلاكا ، لأن القانون الدولى بمقدوره فى بعض الأحيان أن يغرق تفرقة موجبة ، لصالح الارهابى ! ويتركز جانب كبير من المشكلة والصعوبات حول السؤال الشائك الخاص بتسليم المتهم الفار ، وهى قضية قد رأينا ـ بالفعل ـ كيف أحدثت شقاقا بين الدول التى لولا ذلك لاحتفظت بصداقتها •

وتحتوى معاهدات تسليم المتهمين التابعين لدول أخرى ، لأسباب تقليدية ، على فقرات يستبعد منها الاعتداءات التى توصف بأنها تتبع « مسلكا سياسيا » • وايرلاندة الشمالية من البقاع التى شهدت اضطرابات زهاء عشرين سنة فى الأزمة الجارية • وخلال هذه الحقبة ، حظى المشاغبون بالاطمئنان والتأييد ، ونال رجالها من الفارين ملاذا فى الولايات المتحدة ، وعندما طالبت المملكة المتحدة بتسليم الفارين ، استطاع المحامون الأمريكان المحاجاة بأن حالة الانتفاضة فى ايرلاندة الشمالية تبيح وصف جميع الجرائم التى اقترفت باسم التمرد والعصيان « بالجرائم السياسية »

وهكذا يكون الهاربون معافين من التسليم ٠ ولا أحد يتشكك فى الحاجة الى نظام ديموقراطى يوفر ملاذا لضحايا الاضطهاد ، وينظر كثيرون الى ما قامت به نقابة المحامين فى أمريكا على أنه قد خدم الاتجاهات السامية لمهنتهم ٠

وبالنسبة لنا نحن المقيمين على الجانب الآخر من المحيط الأطلسى ، يتراءى لنا أن حلفاءنا قد تناسوا ان ايرلاندة الشمالية ـ تقليديا ـ جزء من نظام ديموقراطى لن يتعذر فيه اجراء التغييرات باتباع الوسائل السلمية ، وربما لاحظ أصحاب الألسنة الأطول ان القضاة الأمريكان وجميعهم من المعينين بصفة سياسية فى حاجة الى تذكر ما يكتسب أو يفقد من أصوات الجماعات الكلتية(*) الهامشية الصاخبة ، وفى سنة١٩٨٦، انزلقت قدم الرئيس ريجان ، واشترك فى المعمعة ، ووقع على معاهدة تكميلية لتسليم المجرمين ، سمحت للولايات المتحدة بتضييق نطاق الفقرات الخاصة بالاعفاء السياسى ، مما أدى الى استبعاد أغلب أفعال جرائم العنف ، ثم استغل ريجان جاذبيته وبراعته فى الاقناع للتأكيد بأن مجلس الشيوخ لن يقوض مبادرته ٠

فى بعض أحيان ، يكون تسليم المتهمين الفارين من بين الارهابيين المشهورين من بين المسائل الشائكة التى يصعب على بعض الدول المساس بها ٠ فلقد سمح الايطاليون لأبو عباس ـ الذى يحتل مكانة مرموقة بين الارهابيين الدوليين ، الذين تطالب واشنطن بتسليمهم ـ بالمغادرة فى أيام « الهوجة » ، التى أعقبت اعتراض الطائرة المصرية بالرغم من محاولة الأمريكان تسليمه اليها ٠

وأثار حادث الباخرة اكيلى لاورو تساؤلات هامة حول هل يعد الارهابيون قراصنة ؟ وللقوانين المناهضة للقرصنة تقليد طويل ومحترم يبين مدى التعاون بين الدول عبر القرون ٠ ولا يميل كثير من القانونيين الدوليين البارزين الى اعتبار الاستيلاء على آكيلى لاورو جريمة قرصنة تقع تحت طائلة القوانين الأهلية ، والباخرة آكيلى لاورو مسجلة فى ايطاليا ، وطاقمها من الايطاليين ، ومعنى ذلك أن الارهابيين مجرمون بموجب القانون الايطالى ، ولقد قتل المواطن الأمريكى مستر كلينجهوفر بوحشية ، وتعرض ركاب أمريكيون للسرقة ، مما يضع المجرمين الأشرار تحت طائلة قوانين الولايات المتحدة ، وعقدت محاكمة الارهابيين المقبوض

(*) يقصد الكاتب أن هناك أقلية تعيش على هامش الحياة ، الانجليزية والأمريكية وتعتقد أن لها حقوقا سياسية خاصة باعتبارها من أصل كلتى (من العشائر العتيقة للتى كانت تحيا فى انجلترا فى زمان غابر) ٠

عليهم فى جنوا ، وفى يوليو ١٩٨٦ ، أصدرت المحكمة قرارها ، وثبت أن الجميع مذنبون . غير أن أحد عشر منهم قد حكم عليهم بأقل من الحد الأقصى للحكم المسموح به ، وعومل هؤلاء الارهابيون برفق نظرا « لصغر سنهم » ولأنهم شبوا وترعرعوا فى ظل الأحوال المأسوية التى يعانى منها الشعب الفلسطينى . وطبقا لمصطلحات القانون الايطالى الدقيقة ، فان القاضيين والمحلفين الستة قد اعتقدوا أن الاستيلاء على أكيلى لاورو كان حقا فعلا ارهابيا . غير أن مقتحمى الباخرة لم يصنفوا على أنهم « جماعة مسلحة » .. وهذا يعنى أن المختطفين قد حوكموا ، وصدر الحكم عليهم باعتبارهم من محاربى حرب العصابات ، أو من المحاربين فى سبيل الحرية بدلا من محاكمتهم على أنهم مجرمون .

وفيما يتعلق بالامم المتحدة ، فليست القضية موضع ارتياب . فلقد عرفت القرصنة فى اتفاقية جنيف ١٩٦٨ الخاصة بعرض البحار وفى اتفاقية الأمم المتحدة ١٩٨٢ الخاصة بقوانين البحار . وفى الاتفاقيتين ، عرفت القرصنة بأنها « الأفعال غير المشروعة من العنف ، وعمليات الاستيلاء على احدى السفن ، من أجل غايات خاصة . وتتضمن عملية اختطاف السفينة أو الطائرة احتجاز رهائن . وهذا عمل من أعمال العنف ، دار حوله نقاش طويل طنان فى الجمعية العامة للأمم المتحدة . وفى الاتفاقية المناهضة لاحتجاز الرهائن ، والتى أعيد توكيدها من قبل أغلبية وفيرة العدد فى وقت قريب يرجع الى ١٩٨٥ ، جاءت صياغة الاتفاقية بعيدة عن التعقيد ، وخالية من الغموض ، من حسن الحظ ، فلقد وصف احتجاز الرهائن بالفعل الاجرامى الذى يتطلب من الدول تسليم المشبوهين ، أما اذا شعرت هذه الدول بأنهم قد لا يعاملون معاملة عادلة ، فان عليها أن تقيم الدعوى ضدهم ، ولم تعرض الا حالات عدد قليل من المشبوهين تنفيذا للاتفاقية ، بالرغم من ازدياد عدد أحداث احتجاز الرهائن . والسر فى ذلك هو ان قليلا من الدول قد صدق على الاتفاقية ، ولا تعد هذه الدول مسئولة عن اتباع ما نصت عليه الاتفاقية مادامت لم تصدق عليها .

وفى المناقشات التى ثارت حول الاتفاقية ، حاول المتشددون من الرافضين عبثا الافراج عن الرهائن المحتجزين بمعرفة « الحركات الوطنية التحررية » ، واقتنعوا باسقاط مطالبهم مقابل حل وسط يبدو حتى وفقا لمعايير الجمعية العامة مشوبا بجميع أمارات التملص والتشوش . وصودق على الاتفاقية فى مقابل اعتراف الأمم المتحدة بمقاتلى الحركات التحررية الوطنية كجنود يخضع سلوكهم لاتفاقيات جنيف .

ومن النتائج المترتبة على ذلك ، أن يصبح بالمقدور تقديم محتجزى الرهائن للمحاكمة الآن ، واذا كانوا من مقاتلى الجمعيات التحررية الوطنية فانهم لن يحاكموا كمجرمين ، وانما كجنود مشاكسين مناوئين ، بل لقد حاول المراوغون من أنصار الارهابيين قلب أوضاع جمعية الصليب الأحمر الدولى ، وتسخيرها لغاياتهم ، اذ أصبحت قوانين الحرب لا تطبق على الصراعات الدولية فحسب ، وانما أيضا على « الصراعات المسلحة التى تحارب فيها الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية والاحتلال الأجنبى ، وضد الأنظمة العنصرية ، عملا بمبدأ حق تقرير المصير ، ويرجع تاريخ هذه الاتفاقية الى ١٩٤٩ ، عندما كان الصليب الأحمر الدولى مخلصا لدوافع انسانية يعمل على حماية المدنيين من الدمار والسلب والنهب فى جميع أنواع الصراع ، وأقرت هذه الاتفاقية معظم الدول التسع والتسعين · غير ان الاتفاقية قد نصت أيضا على امكان مطالبة الارهابيين المقبوض عليهم بنفس المعاملة التى يعامل بها أسرى الحرب على أفعال اجرامية مختلفة · وكان هذا هو الثمن الذى أكره البعض على قبوله لضمان تأييد الأغلبية » ·

ويتعذر أن يشعر هؤلاء المراوغون بالدهشة اذا عرفوا أن هناك معاهدة واحدة عرضت على الجمعية العامة ، وصدق عليها أكثر من نصف أعضائها ، وأثبتت نجاحها النسبى · ففى عام ١٩٧٧ ، تبنت الأمم المتحدة اتفاقية لمنع الجرائم التى ترتكب ضد الشخصيات التى تتمتع بالحماية الدولية ، ومن بينهم الدبلوماسيون ، ومعاقبة مرتكبى هذه الجرائم · وكان من اقترح هذه المعاهدة ، وتولى أمرها ووضع مسودتها وتفاوض من أجلها ورعاها هم الدبلوماسيون ، الذين سينتفعون بها بطبيعة الحال ، وتعد هذه الاتفاقية من آيات البلاغة فى صياغتها اللغوية · فلقد عرف من يتعين النظر اليهم « كشخصيات تتمتع بالحماية الدولية » ، ولم يعترف بأى مساس بهذا الحق باسم « الدوافع السياسية » · وطالبت الاتفاقية الأعضاء الموقعين بأعتبار أفعال العنف ضد الدبلوماسيين ، ومن يعتمدون عليهم وملكياتهم فعلا اجراميا ، أما من يقبض عليهم فاما أن يتم تسليمهم لدولة الدبلوماسى أو ترفع عليهم الدعوى فى المحاكم المحلية حيث وقعت الحادثة · وتعد هذه الاتفاقية باعتبارها من صياغة الدبلوماسيين نموذجا جديرا بالاقتداء من الجميع · وباعتبارها رادعا للارهابيين ، فانها نجحت نجاحا باهرا ، كما يشهد بذلك انحسار موجة الاعتداء الصاعدة ضد الدبلوماسيين ، الذين يمثلون الآن أعظم الجماعات المتفردة التى يتخذها الارهاب هدفا له ·

وليس من الصعب توجيه أكبر نقد للجمعية العامة للأمم المتحدة لأن اخفاقاتها ملء الأسماع والأبصار ، وبخاصة لأننا نميل الى تجاهل النجاحات التي تحرزها دبلوماسيتها الصبورة يوما بعد آخر ، والتي تسعى - على نحو ما - لجعل الطابق مستورا على عشرات المواضع الملتهبة والمتوهجة في شتى أنحاء العالم · ان هذه الجمعية - بلا شك - هي مركز الدبلوماسية الدولية في العالم · ولها تأثير يتناسب مع ما يتاح لأعضائها تحقيقه ، ومن ثم فعند الحكم عليها علينا أن نذكر القول الآتي : « لا تطلق النار على عازف البيانو · فهو ليس مؤلف ما يعزف » ·

لقد منعت الدول الأعضاء في هيئة الأمم المنظمة من سن قوانين دولية غرضها ضد الارهاب · غير أنه ليس هناك مبرر للاعتقاد بأن المعركة لا يمكن أن تشن بطريقة فعالة على المستوى الاقليمي · فلقد نشط الأوربيون للرد على ما حدث لمنطقتهم التي أصبحت الميدان المفضل لاحتضان الارهاب دون رغبتهم · ففي السنوات العشر الأخيرة ، قتل الارهابيون الوطنيون في أوربا الغربية نحو خمسمائة ، بينما من بين مائتي جماعة ارهابية يعرف أنها موجودة الآن ، هناك على أقل تقدير أربعون جماعة لها قواعد لعملياتها في عواصم الجماعة الأوربية ·

وفي ١٩٧٧ وردا على اعتداء ارهابي قام به جيش أبكر ، ناقش الأعضاء التسعة عشر للمجلس الأوربي اتفاقا يرمي الى قمع الارهاب · وكانت الغاية والمبادرة التي تولاها الأعضاء المتزعمون ، ومن بينهم بريطانيا وألمانيا هي اعتبار جميع الأفعال الارهابية جرائم مدنية ، وتعاقب وفقا لذلك ، ورئي عدم وجود حاجة للاتفاق على تسليم المتهمين · وبدلا من ذلك ، يقدم كل عضو في الجماعة الأوربية المتهم للمحاكمة أمام محكمة ، ولم توقع دولتان من الأعضاء على الاتفاق ، وكان من المستطاع التكهن باعتراض جمهورية ايرلانده عليه ، اذا سلمنا بما حدث في تاريخها من اضطراب وعنف ، والخواطر الخاصة بانشاء دولة ايرلاندية جامعة · والدولة الثانية هي مالطة ، التي أعتبرت لسبب غامض من الدول الأوربية، وليست دولة شرق أوسطية · وفي هذه المناسبة كشفت مالطة عن لونها الحقيقي كذيل لليبيا ، ان لم تكن أسيرة لها ، وللتاريخ نذكر ان أقل من نصف الأعضاء التسعة عشر قد اتجهوا الى التصديق على الاتفاق · وكان من بين الغائبين فرنسا التي كانت عاصمتها محاصرة ·

وفي الوقت نفسه تقريبا ، شكلت الجامعة الأوربية جماعة تريفي Trevi ، والتي سميت بهذا الاسم تيمنا باسم نافورة روما الشهيرة ، وتضم وزراء داخلية الدول الأعضاء ، وتعد هذه الجماعة تجمعا غير رسمي

تبعا لمعايير الجامعة الأوربية ، على أقل تقدير ، ونشجع على زيادة التعاون والتنسيق فى أعمال الاستخبارات الخاصة بالارهابيين ومنظماتهم . وكشفت جماعة تريفي عن وجود نقط ضعف كبيرة فى المعركة المضادة للعنف السياسى . فلقد أصبح الارهابيون دوليين حقا ، ولم يعد أحد منهم يبالى بالحدود بين الدول ، غير أن الحكومات تهتم بهذه الحدود . ومازال أمام التعاون الدولى الكثير من العقبات التى يجب أن تذلل . ويشكل الارهابيون تحالفات متماسكة منيعة وعظيمة الفاعلية تفوق فى تنظيمها المواجهة التى تقوم بها الحكومة .

وبطبيعة الحال ، ولدرجة ملحوظة ، فان التصديق على الاتفاقيات ليس مسألة ذات بال . وترجع أهميته الحقة الى أنه ترمومتر للمناخ السياسى للتعاون وحسن الادارة ، الذى تخلقه بين الدول أصحاب التوقيع . ان هذا بدوره يمهد الطريق أمام حدوث تعاون وتنسيق للأنشطة بين قوات الشرطة والأجهزة المضادة للارهاب فى الحرب ضد الارهاب .

وفى المحصلة الأخيرة للتحليل ، نرى أن الدول قادرة على رد العدوان أيضا . فمن بين البنود التى تضمنها ميثاق الأمم المتحدة ، البند الخاص بحق الدفاع عن الذات ، وفى ابريل ١٩٨٦ ، شنت الولايات المتحدة غارات تأديبية ضد أهداف محددة عبارة عن قواعد عسكرية ومنشآت مختلفة فى ليبيا . وينظم القانون الدولى طريقة استعمال الدول لقوتها العسكرية فى أرض الدول الأخرى ، فليس من حق أية دولة أن تدخل أرض دولة أخرى بغير موافقتها ، الا اذا قامت بذلك من باب الدفاع عن النفس وحتى حينئذ ، يتعين أن يكون مقدار القوة المستخدمة متناسبا مع التهديد الذى تواجهه .

« عندما زودت ليبيا الجماعات الارهابية التى هاجمت مواطنى الولايات المتحدة بالعون ، فانها بذلك تكون قد اشتركت فى عدوان مسلح ضد الولايات المتحدة تحت المبادىء الوطيدة للقانون الدولى ، وكأنه (أى معمر القذافى) قد استخدم قواته المسلحة الخاصة » ، وكان هذا البيان تحذيرا واضحا أعلنه الرئيس ريجان فى ديسمبر ١٩٨٥ ، فى أعقاب الاعتداء الارهابى ضد مطار روما ومطار فينا ، وكانت جماعة أبو نضال هى المسئولة ، وتأكد تورط ليبيا فى هذه الاعتداءات عندما ظهر أن المواطنين الأمريكان كانوا بين الضحايا ، ومهما كان نصيب الهجمات الجوية اللاحقة من الحكمة ، سياسيا وعسكريا ، الا أنه ما من شك فى سلامة الاطار القانونى وراء سعى الولايات المتحدة للرد على الارهاب .

١٥ ـ مناهضة الارهاب

« لو اعتقدنا فى سوء شىء ما ، وكان لنا حق الحيلولة دون وقوعه ، فان واجبنا يدعونا الى محاولة منعه ، واللعنة للعواقب » ..

لورد الفرد ملنر (٢٦ نوفمبر ١٩٠٩)

ومناهضة الارهاب هى الرد الايجابى على تهديد الارهابيين . ورسالتها الأساسية هى التعرف عليه ، ومنعه ، والحماية ضده ، وازالة الاساءات المثيرة للارهابيين . ولكن قبل كل شىء ان مناهضة الارهاب معنية أساسا بحماية القانون والنظام ، وتعتمد مناهضة الارهاب على الحصول ـ بمهارة ـ على المعلومات ، واتخاذ وسائل احتياط معقولة ، والتخطيط المنطقى للطوارىء والمحاجاة بالعقل . وتساند جميع هذه الأشياء سلطات مناهضة للارهاب تتمتع بكفاية عالية . ولا تقتصر مناهضة الارهاب على الدور الذى تضطلع به الحكومة . انه ميدان تشترك فيه المؤسسات وقطاعات الأعمال ، وأيضا الأفراد . وقبل القيام بأى رد ، وقبل تحريك الجهاز المناهض للارهاب ، يجب أن يحدث اتفاق حول مبادىء معينة ، ويتعين الحرص على التمسك بها ، فأولا يجوز ، أن يكون هناك تصميم ، ويجب أن يتوافر الايمان الكامل بما سيجرى . ولقد قلنا أنه فى نطاق الديموقراطية ، من المرفوض تماما بل ومن الخطأ ، فرض فدية فى مسائل تتبع حقوق الانسان ومبادىء الحرية

من قبل جماعة متعصبة تحاول فرض ارادتها التى لا تخص أكثر من أفراد قلائل ، عن طريق عملية ارهابية ٠

ويتعين التمسك بقوانين البلاد لتجنيب الوقوع فى الفوضى ٠ ويجب عدم الخضوع للضغوط بغض النظر عن الثمن الذى يدفع ، ولبنان مثل بارز لانهيار الدولة الذى جاء نتيجة لتنافس النحل أو الطوائف المتنافسة التى أوقعت البلاد فى حالة حرب أهلية ، ويترتب على مناصرة قوانين البلاد بالطبع خضوع الرد على الارهاب لنفس هذه القوانين ٠ ولابد أن يدرك الكافة ــ بوضوح ــ أن الأهداف المضادة للأفعال الارهابية وتكتيكاتها موجهة للمنظمات الارهابية وحدها ، ولا داعى للتنبيه الى أن الحكومات تستخدم مثل هذه الاجراءات بحكم سلطانها فى حالة الطوارىء فحسب ، فيجب أن لا توجه القوانين لأى أغراض أخرى غير الأغراض التى أعلنت لأجلها ٠

وهكذا فيجب أن تخضع جميع المهام للمبادىء المشار اليها ٠ ومن الحقائق المسلم بها وجوب تشبث أية أعداد صغيرة من الارهابيين اذا أرادت اثبات كفاءتها فى العمليات ببعض مبادىء عسكرية مفيدة ، تنحدر من أصول غابرة لها نفس عراقة وجود القوات السرية ٠ فالسرية لها القدح المعلى فى تحقيق نجاحها ٠ انها السرية فى التعرف على الأشياء ، والسرية فى التخطيط ٠ والمبدأ التوأم لمبدأ السرية هو مبدأ المفاجأة ٠ واذا قبل تعريف العسكريين « المفاجأة » بأنها مباغتة للعدو وهو فى حالة عدم استعداد وليس احداث صدمة له ، سيبين أن الارهابى يتمتع بميزة لا شك فيها ، لأن الكثير من الاجراءات المضادة لأفعاله مكشوفة ولا تجرى فى طى الكتمان ، مما جعل المبادرة فى التخطيط من نصيبه ٠٠ ولا تتكشف الاجراءات المضادة على الفور ، ولا يلزم أن تحدث تأثيرها الرادع بطريقة مباشرة ٠ وهناك عوامل أخرى بمقدورنا أن نعتبرها ميزات للارهابى ٠ فدرجة الدراية واليقظة لدى المشتغلين بالأمن تصاب بالوهن بمرور السنين وتزداد اهمالا عندما تتحول الى روتين ، ويزداد الشعور بالاطمئنان تغلغلا ، وبخاصة عندما تطول فترات الاسترخاء التى تتخلل الأحداث والعمليات ٠ ان الأزياء العسكرية الأنيقة ليست كل شىء ٠ وما أسهل تراخى أجهزة الأمن ، وابتعادها عن الكفاية ، وبخاصة عندما يتقاعس رؤساء هذه الأجهزة عن اجراء برامج تدريبية ٠

وعادة تميل الحكومات الى الردود السريعة ، لأنه بمجرد نجاح أى تكتيك يتبعه الارهابيون فانه يغدو مستحبا لهم ، فمثلا لقد اتخذت اجراءات لاحكام الأمن بالمطارات ٠ وقد دربت القوات المتخصصة للقيام برد فعل ايجابى ضد أحداث اختطاف الطائرات القابعة على الأرض ، ولقد أجريت

حسابات دقيقة للغاية لمواجهة جميع الاحتمالات التى يتوقع فيها احتجاز رهائن في أماكن حصينة كالسفارات · وفى بلدان قليله للغاية ، تتنبه الحكومات للتفكير فى اعداد العدة لكيفية مواجهة العمليات الارهابية التى فى طريقها للانجاز ، وهذه نقطة ضعف سرعان ما يستغلها الارهابيون بالعناية بانتقاء أهدافهم ، لمعرفتهم أن الدول تكتفى بمسايرة الخطوات التى يقوم بها الارهابيون خطوة خطوة ، بدلا من تحقيق السبق عليهم · وتجميع المعلومات له أهمية كبرى للاجراءات الحكومية المضادة ·· وحاليا هناك تعاون دولى كبير لم يسبق له مثيل ، فهناك منظمات كالانتربول ومركز المعلومات الدولى للقنابل ، وغير ذلك من الهيئات الرسمية السرية · وتشترك معها الآن هيئات غير رسمية كالجمعية الدولية لتكنولوجية القنابل ومراكز الأبحاث ، وغير ذلك من التنظيمات المحترفة ، التى تنقل معلومات تقنية لكل من يطلبها من الأعضاء المتحالفين المشتركين ·

وينصب جهد وكالات المعلومات وتجميعها على التعرف على الموعد الذى تنوى التنظيمات الارهابية اختياره للمعركة ، وتساعد هذه المعرفة بدورها على التعرف على الشخصيات المشتركة ووظائفهم المختلفة وماهية مخططات المستقبل والبيانات الخاصة بالأحداث السابقة التى اشتركوا فيها فى الماضى ·

وباختصار ، أيه معلومات تصلح للاسترشاد بها فى ال Modus operndum · وبذلك يتيسر الربط بين وضوح رؤية الموقف وما سيتخذ من اجراءات مضادة · وكما يحدث فى جميع عمليات الاستخبارات ، فان الجهود المضادة للارهاب تسير وفقا لخطوط سبقت تجربتها بنجاح ، وتتضمن تحديد الاحتياجات بكل دقة ، وتخطيط العملية بحيث تتوافر لها أهداف وغايات محددة تحديدا واضحا ، وتحرص عملية تجميع المعلومات على التأكد من أن المعلومات الوثيقة الصلة بالمهمة قد انتقلت الى المرحلة التالية ، يعنى مرحلة « المضاهاة » · وفى هذه العملية تفحص جميع المعلومات بمضاهاتها بما هو متوافر من معلومات محددة ، وتحلل ، وتضاف اليها للحصول على صورة كاملة لهدف الارهاب · ولعل المرحلة الأخيرة هى المرحلة التى يستفاد بها أكبر استفادة من التعاون الدولى · انها مرحلة « النشر » · ففيها يحدد من هم أكثر المشتركين انتفاعا من المعلومات ·· وما يحددها عادة هو الحاجة الى أساس للمعرفة · وكان الانتشار الدولى للارهاب هو الذى ساعد على تجميع المعلومات من مختلف الدول ، وبذلك اصبحت المعلومات تتصف بدوليتها مثلما تتصف الجماعات الارهابية بدوليتها ·

وليس هذا النهج في تجميع المعلومات سهلا يسيرا على الاطلاق ، فسرعان ما أدرك الارهابيون قيمة احتفاظهم بقلة العدد ومزايا التكوينات في شكل خلايا حسنة الانضباط للحفاظ على السرية وعدم نشر المعلومات الا في أضيق نطاق مستطاع · ولقد تدرب كثيرون في مدارس السوفيت ، وتعلموا على خير وجه دروس الوسائل العملية الغربية وقيمة عدم الوثوق في المقربين · والى جانب الجهود الحكومية ، فمما يدعو الى الدهشة أن يكون هناك تعاون وثيق بين الخطوط الجوية الرئيسية بجميع مراتبها · انها رابطة قد استطاعت أن تشق طريقها وسط جو التكتم التقليدي بين المشتغلين في نواح تجارية ، والذي أصبح من الملامح المتميزة لهذه الهيئات المتنافسة · وتتناقش في هذه الرابطة مسائل تخص المستحدثات التكنولوجية ووسائل تطبيقها في مسائل الأمن بتحرر مماثل للنقاش في التكتيكات الأخرى المرتبطة بأمن الأشخاص ، على أنه ما زالت هناك ثغرات في العلاقة الحكومية بالشركات التجارية بالمقدور سدها باتباع اجراءات أكثر ايجابية ، دون تعريض الهيئات الحكومية لأي نوع من الخطر · ولا ريب أن اليوم سيجيء الذي ستثبت فيه المبادىء العامة لمناهضة الارهاب السالف الذكر قدرتها على الالتئام والصمود ·

ولا تخلو المشاركة الدولية في « المعلومات » و « الاستخبارات » من المشكلات · ولو قبل الرأى القائل بأن الهدف الأول لمثل هذا النظام هو تزويد الدول والأشخاص والمؤسسات بانذار مبكر بما يحتمل حدوثه من أفعال ارهابية ، والشكل الذي ستتخذه ، في هذه الحالة ، سيكون التحديد الدقيق للاختلاف بين « المعلومات » information و « الاستخبارات » intelligence أمرا هاما · ففي حالة « الاستخبارات » التي مرت بمرحلة المضاهاة والتقييم ، فانها قد تكشف عن أسلوب في التفكير السياسي والافتراض السياسي ربما بدا مسيئا أو ضارا للمتلقي · وفي بعض حالات، فانه قد يوحي بالمصدر الذي خرجت منه · فقد يثير الارهابي المحتمل والذي يراقب الكترونيا ويتصنت على أحاديثه في بعض البلدان تساؤلات حول حقوق الانسان ، وقد يوصف ذلك في بلد آخر بأنه اعتداء على خصوصياته · وقد يتسبب في خلق مواقف دولية حرجة على نحو لا مبرر له على الاطلاق ·

وبالاستطاعة لصالح الأمن القومي ، أن يقتصر أمر مثل هذا التعاون الدولي على تبادل المعلومات في الموضوعات التي تساعد على التعرف على هوية الأشخاص وعلى الاستفسار عن تفاصيل ربما أفادت في النواحي القانونية ، في حالة اقامة دعوى ، وما ذكر هنا عن القانون يثير احدى

النقاط التى كثيرا ما دار الخلاف حولها فى أجهزة الاعلام الحديثة ، عند وقوع حادث ما ، انها مشكلة تسليم المجرمين الفارين ٠

واذا حكمنا من المظاهر ، ربما بدا من المنطقى عقد اتفاق يبيح التسليم الفورى لجميع الارهابيين للبلد التى اقترفت فيه الجريمة ٠ على أنه لو نظر لهذه الناحية بعناية سيبين أن قوانين تسليم المجرمين فى ذاتها بمقدورها أن تستغل كأداة مساومة فعالة لتعطيل التكتيكات أثناء عملية المفارضات الخاصة بالارهابيين والرهائن ٠ والأفضل هو عقد اتفاقات خاصة بالمعلومات، دون اذاعة أى شىء على الاطلاق ٠ والاتجاه الى التكتم على هذه النواحى قد أثبت قيمته فى البلدان الغربية ، ولعل أقرب شبيه لها هو الشيكات التى كان يحررها الأصدقاء الحميمون بعضهم لبعض بدافع الصداقات التى توطدت أثناء الحرب العالمية الثانية ٠ وما زالت هذه الوسيلة مثمرة ٠ وبالرغم مما تحدثه عند صغار الرسميين والبيروقراطيين من الكثير من الشعور بالاحباط ، فانها ستستمر — فيما يحتمل — فعالة ، ولن توقفها عند حدها اعتراضات الدوائر الاستخبارية والعسكرية والسياسية والبوليسية ٠

وسنتحدث عن الاجراءات الوقائية فى الفصول العشرين والحادى والعشرين والثانى والعشرين ، باستثناء مسألة « بوليس الفضاء » التى سنناقشها الآن ، والمبدأ الكامن وراء استخدام أمثال هؤلاء الأفراد بسيط ٠ فلقد رئى أنه فى ظروف معينة ، بمقدور أى شخص مدرب على خير وجه أن يوفق توفيقا كاملا فى القبض على مختطفى الطائرة ، وهى محلقة فى الجو ٠ وهذه فكرة معقولة ، وقد أثبتت فاعليتها فى بعض مناسبات مثل حالات تحليق طائرات الخطوط الجوية الأمريكية فوق الولايات المتحدة وتحليق طائرات « الايروفلوت » فوق روسيا ٠ والحالات التى باستطاعة « بوليس الفضاء » مواجهتها محدودة حقا ٠ فقد يؤدى استخدام الأسلحة النارية فى ارتفاع شاهق ضد طائرة تحمل موادا قابلة للاشتعال ، بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى ، قد يؤدى الى احتمال حدوث مواقف مهلكة ٠ وشعرت المعامل التكنولوجية بفرحة لم تستمر — من أسف — طويلا ، فلقد ظهر فى السوق الكثير من الأسلحة غير الفتاكة ، والذخائر المخففة العبوة والغازات غير الفتاكة ، وغير ذلك من المنتجات التى ابتكرتها القريحة الانسانية ٠ واتضح أن مستقبل « بوليس الفضاء » محدود ٠ واذا تركنا جانبا القيمة المشكوك فيها لقدرته على العمل بكفاية أثناء الطيران ، فانه لن يمضى وقت طويل حتى يكون بوسع المنظمات الارهابية أن تستخلص عدم وجود مواقف كثيرة يستطيع أن يستثمرها هذا « البوليس الفضائى » لكى يعمل بطريقة فعالة داخل الطائرة ، وغدا من الاجراءات المقننة والمتصلة

بالعمليات أن يخضع من يشغلون مقاعد خاصة فى الطائرة للتفتيش والتحريك من مكان لآخر . على أننا لا ننكر أن « بوليس الفضاء » قد ساعد لفترة قصيرة من الزمان على الاقلال من عدد حالات اختطاف الطائرات ، فى السنوات التى كانت قد بلغت ذروتها (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠) . ولم تظهر أثار ذلك بجلاء فى أى مكان آخر مثلما ظهرت فى الولايات المتحدة .

والتخطيط لمواجهة الطوارىء وثيق الارتباط بالجهود الاستخبارية . وفى هذا المقام فان هذه الجهود تتركز حول البحث عما يتوقع أن تقوم به التنظيمات الارهابية فى خطوتها التالية ، أكثر من تركزه على ما فعلته فى الماضى . ويجب أن ينظر الى أى تكتيك أو اجراء مضاد أستخدم فى أية عملية سابقة على أنه قد « حرق » أو « استنفد أغراضه » ، وبخاصة اذا كانت الصحافة قد تنبهت اليه أو كان هناك ارهابى هارب . والمبدأ الذى يجب أن يسترشد به ويوضع نصب أعيننا هو أن هذا التكتيك أو الاجراء المضاد لن يثبت فاعليته مرة اخرى ، ولما كان لا يوجد أكثر من عدد محدود من التباديل الرياضية لأى مشكلة تكتيكية ، لذا يجب أن تكون هذه المسألة أيضا موضع نظر ، ويجب أن لا تتعرض التكتيكات الجديدة « للحرق » اللهم الا اذا كان هذا الاجراء ضروريا ضرورة مطلقة ، للنجاح فى اللحظة الراهنة .

وهناك نطاق واحد تتزايد سرعة تحوله الى ما يشبه « الفن » . انه ميدان التفاوض على الرهائن . ويجب عدم الخلط بينه وبين مهمة التفاوض فى حالة اختطاف الأفراد فى غير الطائرات . فالقواعد الأساسية مختلفة فى حالتى اختطاف الأفراد على الأرض واختطافهم وهم فى الطائرات . ان هذا النطاق هو بالتأكيد أكثر النطاقات استفادة من مقدار التعاون الدولى المتزايد تزايدا له أهميته . وجدير بالذكر أن هذه الأهمية قد جاءت من كون هذا النطاق أكثر النطاقات افادة من الأبحاث التكنولوجية ومن استخدام المعدات الالكترونية فى الاتصال بالمواقع التى يتحصن فيها الارهابى . ان هذا الموضوع يقع فى مجال عملية مناهضة الارهاب ، ولا أدنى شك فى ذلك ، واذا تحقق الافراج عن الرهائن بوساطة جماعة مسلحة دون احداث أى خسائر بين الأبرياء ، فان العمل سيكون قد تم على خير وجه . ولكن اذا تم الافراج بفضل التفاوض فانه سيعد انتصارا ، لأن القانون سيكون قد خرج سليما من المعمعة دون تعرض للتلوث حتى فى نظر أكثر الصحفيين تبعية لليساريين ، وأمكن عدم تعريض أرواح الأبرياء للخطر ، وأثبت الارهابيون امكان خضوعهم لحجج المفاوض المنطقية الممثلة للديموقراطية والحرية .

ان هذا لا يعنى القول بان الفريق المفاوض ليس بحاجه الى العون من « الاستخبارات » و « المعلومات » السابق ذكرها · انه محتاج بالتأكيد· وهناك مدرسة فكرية ــ وهى منطقية تماما ــ تعتقد أن حصار السفارة الايرانية فى لندن (مايو ١٩٨٠) كان بالاستطاعة انتهاؤه دون فقدان لأى أرواح ، لو كان الفريق المفــاوض مسلحا بجميع الحقائق عن حالة الاحباط التى انتابت الارهابيين · فاعتمادا على مثل هذه المعلومات ، كان بوسع الفريق أن يكون أقدر على تقدير أسلوب تحركات هؤلاء الارهابيين وتحركاتهم المضادة ، وتقييمها · على أن هذا لا ينتقص من العمل الرائع الذى أقدمت عليه الشرطة ولواء القوات الجوية الخاصة ، ولكن لعل هذه العملية تعد من العمليات التى تثبت أن بمقدور الوسائل السياسية الخاصة بمناهضة الارهاب أن توفر اللجوء الى الحل الأخير ، أى « الرد المسلح » · وكان من المتوقع أن يترتب على ذلك أثر مزدوج كعدم اتاحة الفرصة لصياح بعض المنظمات والأفراد ولوسمهم العمل العسكرى بالوحشية ، كمــا أنه كان سيحافظ على ادخار بعض التكتيكات الفائقة التقدم لكى تستعمل فى مناسبات أخرى ، عندما يكون الرد المسلح هو الملاذ الأخير حقا ·

واذا تركنا هذه الناحية جانبا ، سنرى أن مسألة ايران قد علمت علماء النفس والمفاوضين معا دروسا هامة · اذ كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على أسلوب فكرى يكاد يكون متأثرا «بأعراض استكهلم» على أن هذا الأسلوب لم يحقق غايته فى حالة السفارة الايرانية · ومن اليسير تحديد الأسباب · اذ كان من بين جماعة الرهائن بعض المؤيدين المتعصبين لآية الله الخومينى ، الذين تماثلوا هم والارهابيين فى تحمسهم ، وكانوا على استعداد للشهادة · والحق أن هذه الرغبة كانت رغبة واضحة سافرة فى مختلف مراحل تطور الحادث ، فماذا بعد ؟ ان هذا سبب آخر يفسر لماذا يحتاج الفريق المفاوض الى الكثير من آخر ما اهتدى اليه من معلومات عن الارهابيين « كممارسين عمليين » · وأما القول بأن مسلك هؤلاء الرهائن معروف فمسألة فوق كل شك ، ولعلها قادرة على تزويد المفاوضين ببعض الخبرة السيكلوجية ·

وفى المملكة المتحدة وألمانيا الغربية والولايات المتحدة ، هناك قوات خاصة لها نفس مسئولية القوات المسلحة والشرطة ونرقاء التفاوض ، وهم يتدربون ويتمرنون ســويا على أساس منتظم · وبالنسبة لظروف هــذه البلدان ، فان هذا الوضع مناسب بما فيه الكفاية · على أنه من الممكن أن نتصور حادثا دوليا حقا يتشعب فى أنحاء شتى ويتعرض فيه عــدد من دبلوماسيى مختلف البلدان لنفس موقف الرهائن ، فهل هناك قدر كاف من تبادل المعلومات والتقنيات والتكتيكات ؟ والأهم من ذلك هل يوجد أى تبادل لخبرات التدريب بحيث يستطاع معالجة مثل هذا الحادث بكفاية

وسلاسة ؟ أليس من الواجب التفكير فى عقد مؤتمر دولى عن الاجراءات المضادة لبحث هذه المشكلة بحثا جادا ووضع مخطط للطوارىء للتأمين ضد الأخطار الواضحة ٠

ومن المحتمل أن تكون أكثر الأحداث الارهابية اثباتا لنجاح المشاركة بين دول عديدة هى التى وقعت فى ٦ سبتمبر ١٩٧٠ ، ففى عملية أحسن تخطيطها ، استولى الخاطفون الفلسطينيون على طائرتين فى الفضاء الأوربى وحولوا مسارهما الى مطار دوسون فيلد فى الاردن ٠ وفى الوقت نفسه . أختطفت طائرة ثالثة ، وحولت الى القاهرة حيث نسفت على الأرض ، وحدثت محاولة للاستيلاء على طائرة رابعة تابعة لشركة العال الاسرائيلية أثناء تحليقها بين لندن وأمستردام ، وأخفقت هذه المحاولة الرابعة نظرا لتدخل « بوليس الفضاء » الاسرائيلى ، الذى أطلق النار على أحد المختطفين أثناء تحليق الطائرة فى الجو ، وترتب على هذه العملية القاء القبض على ليلى خالد (المختطفة الثانية) وتنتمى أيضا الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التى احتجزت فى لندن ٠ وفى ٩ سبتمبر ، أختطفت طائرة خامسة تتبع الشركة البريطانية B.O.A.C. وتحمل ثلاثين راكبا ٠ وكان بين ركابها حوالى عشرين من أطفال احدى المدارس الانجليزية ، بلا مرافق ٠ وطالب المختطفون بتسليمهم ليلى خالد كفدية فى مقابل الافراج عن أطفال المدرسة ٠ وفى نظر الرأى العام وادوارد هيث (الذى كان يشغل آنئذ منصب رئيس وزراء انجلترا) كان لا مندوحة من القبول ٠ وتمسك بشرط عدم اطلاق سراحها، الا بعد اطلاق سراح جميع ركاب الطائرة ، ورغم كل هذا فان هذه الجرعة كانت شديدة المرارة بحيث يصعب ابتلاعها ٠ ولعل هذه العملية قد حققت نجاحا جزئيا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولكنها ساعدت أيضا على تقوية عزيمة الملك حسين ملك الأردن ، اذ قام بطرد الفلسطينيين بعد وقوع الحادث بوقت قصير من البلاد ٠

ومن حسن الحظ أن اختطـاف جيمس كروس المبعوث التجـــارى الانجليزى فى كندا (٥ أكتوبر ١٩٧٠) واختطاف جوفرى جاكسون فى مونتفديو (٨ يناير ١٩٧١) قد جاءا فى أعقـاب حادث (دوسون فيلد) فى الأردن ، مما أتاح الفرصة للحكومة البريطانية للصمود فى وجه مطالب الافراج المماثلة الأخرى ، وبذلك توطدت سمعة بريطانيا كدولة متشددة فى وجه الارهاب ، وأثبتت عدم خضوع البلاد لمثل هذه الأحداث الابتزازية، الى أن وقع حادث حصار السفارة الايرانية فى ٣٠ ابريل ١٩٨٠ ٠

وعلى الرغم من أن إجراءات التدخل المسلح تعد الى حد كبير مسئولية الحكومة ، الا أن هنـاك أيضا عبئا يقع على عاتق قطـاع « التجـارة »

و « الصناعة » • فعليهما القيام بدورهما فى العملية الوقائية أولا كمسئولية وطنية ، وثانيا كاثبات للعناية بالركاب الذين يتكبدون نفقات باهظة فى سبيل تنقلهم حول العالم •

ولقد ذكر فى مستهل هذا الفصل بوجوب مؤازرة عمليات الرد المسلح على الارهاب باتبــاع اجراءات ذات كفاية لمناهضــة الارهابيين • وسرعان ما أصبحت هذه المسألة محور اهتمــام وتعـــاون دولى عظيمين فى نواحى التكتيكات والتدريب والمعدات المتخصصة •

نعم ستظل الديموقراطيات الليبرالية دوما هدفا للارهاب • وليس هناك سوى القليل الذى يمكن أن يجرى للقضاء قضاء مبرما على المشكلة • ومن ثم فان أفضل وسيلة للدفاع هى تطبيق اجراءات مناهضة للارهاب باقتدار ، والتدريب الواقعى للجماهير ، واعداد وسيلة مسلحة ذات كفاية ، شريطة أن تستخدم دائمــا كحل أخير ، كمــا يجب أن يراعى أن يكون الاستخدام متمشيا والقانون •

١٦ ـ الرد المسلح على الارهاب

« هلم لنشن الحرب
فلقد انتهت المقاومة ،
ولكن ممن سمعت .
ان المقاومة قد انتهت »

Skaka's War Song Long Long Ago

تاليف R.C. Samuelson

عندما تفشل الاجراءات المناهضة للارهاب ، فان الأنظار تتجه الى وسائل الرد المسلح . وهذه الوسائل أداة عدوانية قوية فى يد الحكومة ، وتدور أساسا حول الاستعانة بالوحدات المسلحة والشرطة أو القوات العسكرية . ويعد اللجوء لخيار الرد المسلح بالذات اعلانا عن الاستعداد لخوض معركة قتالية . وقضية أحداث الارهاب ورد الحكومة عليها من أكثر القضايا اثارة للمشاعر ، وربما ساقت هذه الحالة الى موقف تلقى فيه قواعد الحرب فى سلة المهملات ، ويؤمر فيه الرأى العام بمراجعة ضميره بعد الاستماع الى ما يعرضه من حجج طرفا النزاع ، لتقرير الرأى والحكم « فهل هو اجراء صائب أم خاطىء » ؟

وفى مذبحة ميونخ فى ٩ سبتمبر ١٩٧٢ ، هاجم سبعة من الارهابيين يتبعون جماعة أيلول الأسود بمعاونة أوربيين من جماعات مختلفة أحد

الأجنحة المخصصة لاقامة الرياضيين فى القرية الأوليمبية فقتلوا اثنين ، واحتجزوا كرهائن تسعة آخرين من الأبطال الرياضيين . ونقلت بعض المفاوضات الهزلية والأحداث إلى مطار Fursten feldrueck حيث شنت الشرطة الألمانية هجوما على الارهابيين اشترك فيه القناصة . وفى العملية التالية ، قتل خمسة من الارهابيين وأحد رجال الشرطة ، وفقد جميع الرهائن أرواحهم ، ووقعت هذه الأحداث فى أوليمبياد ١٩٧٢ ، وأذاع التليفزيون وقائعها فى شتى أنحاء العالم .

ومنذ ذلك الحين ، تزايدت المناسبات التى استعانت فيها الحكومة بالشرطة المسلحة أو القوات المسلحة للرد على الارهابيين . ولم يمض أكثر من سنتين (١٩٨٢ - ١٩٨٣) بعد الفترة الزمنية التى انقضت بعد حادث المطار آنف الذكر حتى أعلن مرة أخرى عن تدخل جديد للشرطة المسلحة ، وحتى فى هاتين السنتين ، فان من الأمور المقبولة أن يجرى ذلك دون أن تتبعه حملة دعائية . وصادفت بعض العمليات التى ترتبت على ذلك نجاحا باهرا ، كما حدث فى عنتيبى بأوغندة ومقديشيو فى الصومال والسفارة الايرانية فى لندن . ولكن لابد من الاعتراف بأنه رغم مصرع الارهابيين ، الا أن بعض هذه المحاولات قد فشلت فشلا ذريعا نظرا لما ترتب عليها من فقدان الرهائن لأرواحهم (ميونخ ولارناكا بقبرص وبوجوتا فى كوليمبيا) . واذا سلمنا بأن أية حادثة من هذه الأحداث ما كان مستبعدا أن تنتهى بالاخفاق ، مثلما تنتهى بالتوفيق ، اللهم الا اذا كانت الأرجحية بما لا يدع مجالا للشك فى صف القوة المهاجمة ، فاننا سنواجه التساؤل الآتى : « فى مثل هذه الحالات ، هل يعد من الصواب أن يواجه العنف بالعنف ، عندما نضع الرهائن وأرواحهم على كف الرحمن ، بعد أن وضعوا وسط النيران المتشابكة ؟ وهل يتوقع أن يرحب المسئول الذى يحتجزه الخاطفون ، أو الراكب فى طائرة مخطوفة بقوات التدخل من المتخصصين فى الردود المسلحة ، أم أنه سيخشى من عواقب هذا التدخل » ؟

ولن تلقى قط مسألة « الحق » أو مسألة الخطر أية اجابة ترضى الجميع ارضاء كاملا ، انها حقيقة واقعة ، وان كانت الدول التى تحتفظ بقوة خاصة عرف عنها الاقتدار فى مسائل الرد على الارهاب - خصوصا اذا كانت قد اختبرت وأبلت بلاء حسنا كألمانيا الغربية والمملكة المتحدة واسرائيل وفرنسا - قد استطاعت التحرر من « صداع » أحداث الرهائن لفترة من الزمن الآن . نعم ان أحداث الاغتيال والقاء القنابل لم تخف وطأتها ، وربما جاز القول بأنها زادت فى بعض البلدان ، والحكم يعتمد فى هذا الشأن على طريقة قراءة الاحصاءات وتفسيرها ، فهل تدفعنا هذه الحالة الى التسليم جدلا بامكان ارسال هذه القوات الى الجحور والمخابىء

لكي تساعد مساعدة فعالة في محاولة الاستخبارات الضرورية للغاية لمحاربة من يلقون القنابل ؟

على نحو ما ، ان هذا يحدث بالفعل ، كما يستدل مما حدث في المحاولات المشتركة بين .S.A.S وايرلاندة الشمالية ، أو عنهما تعاونت « الموساد » و Sayaret Matkal . على أن تفاصيل مثل هذه العمليات تتسم بالسرية بطبيعة الحال بالضرورة ، ومن ثم فمن الصعب قياس ما تحدثه من تأثير . وتلطف من مثل هذه التوجهات الفلسفة الشخصية للفرد والاجابة التي يقبلها عن التساؤل حول ماهية الارهاب ، وهل يمكن القضاء عليه ، أو تخفيفه ؟ ولتوضيح ذلك ، فما هي أفضل وسيلة : الاعتماد على الاستدلال العقلي الصحيح ، والمفاوضة البارعة بالتبعية ، أم بضرورة القضاء المبرم عليه ، وهو ما يستوجب الاستعانة بالقوات العسكرية الخاصة ؟ ربما بدا من المنطقي أن تكون الحجج المكتسبة عن طريق المفاوضة قادرة على احداث تأثير يدوم مدة أطول شريطة عدم قيام المفاوض في صف القانون والنظام بتقديم أية تنازلات، قد تضعف هيبة هذا القانون . فالقهر عن طريق العقل سيكشف عن هنات في حجج الارهابي يعجز عن تمويهها . واذا قتل الارهابي فلا يستبعد أن ينظر اليه من أثر ذلك كشهيد للقضية التي يدافع عنها ، ويترتب على ذلك ظهور مائة آخرين على استعداد للحلول محله . وقد يحاجي ايضا بالقول بأن هذه الوسيلة قد تخفي هنة في حجج الحكومة المتفاوضة . وفي المملكة المتحدة ، ينظر بالتأكيد الى الاستعانة بالقوات الخاصة على أنها ملاذ أخير ، وأنها وسيلة قد يضطر الى اتباعها نتيجة لضعف حجج الارهابي . وفي مثل هذه الحالة ، فان اللجوء الى القوات الخاصة لا يحدث قط الا اذا كان من المقول منه أن الرهينة قد مات ، أو أن هذا الموت وشيك الوقوع .

انه خلاف لن يحسم أبدا ، ما دامت الديموقراطية تتمتع بحرية الفكر وحرية التعبير . والاحصاءات غير موثوق منها ، نظرا للسرية التي تكتنف بعض عمليات القوات الخاصة ، ومن ثم فلعل الأفضل هو القناعة بنظرة مقتضبة الى بعض المنظمات القائمة ، والى ما هي قادرة على انجازه في عالم الرد المسلح على الارهاب ، وباستثناء وحدة **Sayaret Matkal** (اسرائيل) التي لا يعرف أي شيء عن كيفية ظهورها للوجود لأنه محاط بالسرية ، فاننا اذا تحدثنا عن لواء الخدمات الجوية البريطانية (*) .S.A.S فاننا سنرى أنه كان سباقا في ميدان الرد المسلح على الارهاب ، وترجع أهميته الى ما هو أكثر من ذلك ، لأنه منذ عهود قريبة من تاريخه ، كان مسئولا عن تدريب الكثير من القوات الخاصة لبلدان مختلفة ، ولا ينافسه في ذيوع صيته غير وحدة Sayaret Martkal . وقد ترتب على ذلك

(*) Special Air Service Regiment.

ـ بطبيعة الحال ـ توحد التدريبات والتكتيكات والقدرات بالتبعية فى عدد كبير من البلدان . وعلى الرغم من هذه الجوانب المشتركة فى القدرات ، فان هناك اختلافا هاما بين المملكة المتحدة وتلك البلدان الأخرى خارج أوربا ، يعنى فى النظام والقواعدالتى تتبع عند الالتجاء الى الرد المسلح ، وهو ما يحدث بقدر أكبر فى البلدان غير الأوربية . وسنسهب فى الكلام عن هذه الناحية فيما بعد . وفى جانب الرد المسلح على الارهاب ، فان اهتمام S.A.S. قد بدأ منذ أمد بعيد يرجع الى ١٩٦٩ ، فمنذ مولدها بعد الحرب فى الملايو ١٩٥٠ ، لم تنعم الا بالقليل من فترات السلام فى الحياة العسكرية (١٩٦٠ ـ ١٩٦٢) . وشهدت ١٩٦٧ نهاية حملة عدن ، ولاحت فى الأفق حمامات السلام مرة أخرى . وكان أحد الضباط من القادة الأجرياء فى S.A.S. هو الذى أثار اهتمام وزارة الدفاع بما يؤمل أن تعود به تعاليم S.A.S. من أثر للحفاظ على رؤساء الدول فيما وراء البحار ، والذين تحرص انجلترا على الحفاظ على حياتهم ، ومن ثم قامت بتعيين حرس شخصى مناسب لهم ، ونفذت هذه الفكرة بحماسة . وعقدت دورات تدريبية حافلة لهذا الغرض فى قاعدة S.A.S. ، واختيرت موضوعات الاغتيال والاختطاف والارهاب للدراسة المركزة ، وطارت الوحدات التدريبية الى شتى أنحاء العالم لتعليم فنون الأمن الوقائى .

وساعد الاشتراك فى العمليات المشار اليها آنفا على تعزيز مكانة S.A.S. ، بما مكنها من النهوض بفن التدخل المسلح الى أعلى الدرجات، وأدت الدروس المستفادة من اعتداء ميونخ الى صدور تعليمات بانشاء « الجناح المضاد للحرب الثورية »(*) . ومنذ ١٩٧٢ ، وبعد ذلك ، خصصت S.A.S. جانبا كبيرا من جهودها التدريبية لدراسة المهارات الضرورية « لاختراق الحصار » والارتقاء به . وارتقت عملية التدريب على وضع مخططات للعمليات المرتقبة بالاعتماد على التحليل الدقيق لدوافع الارهابيين، وتكتيكاتهم ، وتنظيماتهم ، والأحداث السابقة . ونمت القدرة على مكافحة الارهاب وارتقت رغم كثرة تعطلها من أثر الاحتياجات التى تقتضيها العمليات فى بقاع أخرى من العالم . وخلال الحقبة بين مولد الفكرة و١٩٨٠ . وهى السنة التى حدث فيها حصار السفارة الايرانية ، كانت S.A.S. على أهبة الاستعداد فى جملة مناسبات . وكثيرا ما قدمت العون للحكومات الأوربية (فى مجدشيو وآسن) . وكشف الحادثان الأخيران للعالم الاتفاق السرى السابق توقيعه للتعاون المتبادل بين الدول لمواجهة الأعمال الارهابية .

(*) Counter Revolutionary Warfare Wing.

وفى سنة ١٩٧٧ ، وفى الولايات المتحدة ، شكلت وحدة S.F.O.D. - Delta تحت قيادة الكولونيل شارلى بكويز Beckwith الذى زاد اعجابه بالكفاية القتالية للواء S.A.S. عندما عمل ضابطا بديلا فى اللواء فى بواكير الستينات ، وساعدت هذه الواقعة على حدوث تخصيب حميم لجوانب التكتيك والمعدات ووسائل التدريب (التى كانت مصحوبة بطبيعة الحال بروح تنافسية حميدة) ، وقامت وحدة « دلتا » بتعليم منظمات خارج الولايات المتحدة ، وبذلك تحققت وحدة الهدف والقدرات الى أقصى الحدود . والحق أن هذا يؤيد الاعتقاد بأن وحدة Spetzanz السوفيتية قد تأثرت بوحدة « دلتا » فى طريقتها لتدريب الروس . ولقد نقلت هذه التعاليم للآخرين رغم الاختلاف المحتمل فى الدوافع .

واذا تحدثنا بوجه عام ، سنقول ان وحدات الرد المسلح على الارهاب التى تحدثنا عنها قد انحدرت من وحدات القوات الخاصة ، التى ما زالت قائمة ، غير أن هناك استثناءات تستحق التنويه نصادفها فى وحدات مثل G.S.G. 9 الألمانية و G.I.G.N. الفرنسية . وهى وحدات كانت فى الأصل تتبع شرطة هذين البلدين . وفى الولايات المتحدة ، لدى أغلب الولايات وحدات S.W.A.T. ضمن قوات شرطتها . غير أن الدستور الأمريكى يمنع قيام القوات النظامية من تقديم العون فى مثل هذه العمليات عندما تحدث داخل القارة الأمريكية .

أيهما الأفضل : اختيار وحدات الرد المسلح على الارهاب من قوات الشرطة أم من بين القوات المسلحة ؟ يتساوى مؤيدو الرأى الأول هم ومؤيدو الرأى الآخر . وتتركز حجج الفريق الأول على أن الشرطة هى الهيئة المعترف بها كمسئولة عن حماية القانون والنظام ، ومن ثم فيتعين تكليفها للاضطلاع بهذه المسئولية . وتعمل بلدان كثيرة بهذا الرأى . ففى المملكة المتحدة هناك قوة شرطة واحدة . وهى عادة غير مسلحة ، وتعتمد فى أداء واجباتها بكفاءة اعتمادا كبيرا على ثقة الجماهير بها . ويكلف كل ضابط شرطة تكليفا مباشرا ، أو بصفته الفردية من قبل التاج البريطانى . ومن حقه المشاركة أو عدم المشاركة فى أية عملية ، اذا شعر بعدم صحتها ، أو بأنها فى غير صالح الجماهير ، تبعا لما يمليه عليه واجبه وضميره . وترى الشرطة وجوب عدم تجاوز مهمتها ، وحصرها فى الحفاظ على الأمن فى الأحوال العادية والوقوف فى وجه المجرمين المسلحين .

وتتنزع وحدات الرد المسلح على الارهاب فى التماثل فى تنظيمها . ففوق كل شىء ، وأيا كان شكل المعقل الذى يحتمى به الارهابى ، ويحتجز فيه رهائنه ، فانه لا يزيد عن « صندوق » . فالقطار أو السفينة أو الطائرة

أو المبنى عبارة عن « صندوق » ، قد يكون مصنوعا من مواد مختلفة ، وقد يكون معلقا فى الهواء (الطائرة) أو طافيا على الماء (السفينة) • وأيا كانت حالته ، فانه يفرض نفس المشكلات لقوة الاقتحام ، فيجب أن تتمكن هذه القوة من التحكم فى الموقف ، ومن ثم فيتعين اقامتها لكوردون يحيط بهذا « الصندوق » للحيلولة دون هروب أى ارهابى ، وعدم قدوم أحد الى الداخل لمساعدته ، وأول مطلب ضرورى لتحقيق ذلك هو الاستعانة « بالقناصة » ، ومن هنا تأتى أهمية وجودها •

ويتعين الولوج داخل الصندوق (على افتراض تعذر تفريغه مما فيه)• وهناك عدد قليل من المواد ـ ان وجدت ـ تعجز الوحدات الحديثة للرد على الارهاب عن دخولها باستخدام أنواع مختلفة من الوسائل ، ومن ثم فان الأمر يتطلب وجود « جماعة دخول » وقد تتسلح « جماعة الدخول » بأسلحة ثقيلة لتنفيذ مهمتها ، وبذلك يكون من الطبيعى تدريب قوة خاصة للنفاذ من خلال الفتحات التى شقت • وتتخذ هذه الجماعة شكل « جماعة الاقتحام » • وتقدم العون لهذه الجماعات مختلف جماعات « تجميع الاستخبارات » لتسهيل أدائها لمهمتها • وتتركز الاستخبارات الضرورية (أو المبتغاة على أقل تقدير) لوحدة الرد المسلح على الارهاب حول ماهية أسلحة الارهابيين ، وموضع كل من الارهابيين والرهائن ، الى جانب أكبر قدر مستطاع من التفاصيل عن كليهما ، بخصوص امكان التعرف عليهما أثناء الزوبعة التى ستنجم عن الاقتحام ، وهذه الاستخبارات ضرورية بصفة مطلقة ، فقديؤدى أى نقص فى المعلومات الى ترك أحد العوامل تحت رحمة المصادفة • وهذه ناحية قد تجعل مدام فورتونا (الحظ) سيدة الموقف !

و « التوقيت الموفق » و « المفاجأة » هما العاملان اللذان يعتمد عليهما كل نجاح ، كما هو الحال فى أى هجوم عسكرى • ويتحمل المفاوض فى هذه الناحية مسئولية جسيمة • وفى معظم البلدان تحرص وحدة الرد المسلح على الارهاب ، على التعرف على مقدار ما يتمتع به المفاوضون المحترفون من مهارة ، ولا يحاولون قط تجاوز دوره أو تخطيه ، وان كانت هناك بالضرورة عمليات اتصال مفصلة يجب أن تتم بين هذه الوحدة وهؤلاء المفاوضين ••

. . . .

وتقيم معظم البلدان فارقا بين الأحداث التى تجرى على الأرض وتلك التى تحدث فى البحر ، وفى المملكة المتحدة ، تعد أية حادثة ارهابية تقع فى عرض البحر وفى نطاق المياة البريطانية الاقليمية من مسئولية الوحدة الخاصة بخدمات السفن S.B.S. ، التى يتبعها فريق بحرى مختص بالرد على الارهاب ، وفى الولايات المتحدة ، تقع هذه المسئولية على عاتق وحدات Seal التابعة لأسطول الولايات المتحدة • وتحرص على هذا

الفارق الفنى ذاته بلدان كالمـــانيا الغربية وايطاليا وماليزيا واسرائيل وغيرها • غير أن هناك بلدان أخرى ، كهولاندة ، تعهد للبحرية بمهام للرد على الارهاب فى البر والبحر على السواء •

ولربما كان من الخطأ المقـــارنة بطريقة الأطبــاء عند تشخيصهم للأمراض ، بين ما بين مختلف الوحدات من اختلاف من حيث الكفاءة النسبية، لأن هناك عوامل مختلفة ، بعضها ملموس والآخر غير ملموس تتدخل فى هذه الناحية ، من بينها نظرة البلد الأم ، الى مصدر تهديدها ، ومدى تأثير ذلك على أهداف التدريب ووسائله ؟ بالاضافة الى مدى نضج الوحدة ذاتها• (فليست هذه المهمة من المهام التى تعلم بين عشية وضحاها) والأولوية فى اعتمادات الميزانية المخصصة للأغراض العسكرية • وبالرغم من وجود رجال أشداء مدربين تدريبا ممتازا ، ومن أصحاب الحماسة فى دوافعهم ، الا أن هناك أيضا دورا هاما للتكنولوجيا ، عندما يراد دخول « الهدف » بطريقة فعالة ، وعلينا أن لا ننسى عاملا يعلو على جميع العوامل الأخرى ، انه الخبرة ، التى من غير المقدور تعلمها •

فما هى الضغوط التى يتعرض لها الرجال الذين تتألف منهم وحدات الرد المسلح على الارهاب • وفى أغلب الظن فان الجندى الذى يعمل فى وحدة القوات الخاصة من بين أكثر الجنود ادراكا لدوافع ما يقوم به فى جيش الأمة ، وأن عليه أن يبذل قصارى جهده جسديا وذهنيا ، وأن يتوقع التعرض لوضع يشع تحتاج معالجته لعملية تفكر وتدبير ، ومن ثم يتعين أن يكون لائقا لمواجهة مثل هذه الأوضاع فى جميع الأحوال ، فقد يطلب منه مواجهة موقف ، مصيره الردى • وعليه أن يكون على استعداد لقتـل أى شخص قد لا تدور بينهما أية محاجاة شخصية ، فى سبيل الدفاع عن الرهائن ، الذين قد لا يكونون من أبناء ملته أو من حلفائه • والأسوء من ذلك هو ادراكه أن أى اخفـــاق سيجر عليه غضـــب ملايين من النـاس وازدرائهم ! •• خلاصة القول ، انه حتى وبالرغم من أنه قد قام بهذه العملية تنفيذا لأوامر صدرت اليه ، فانه لن يستطيع التخلص أو الهروب من سيف القانون ، الذى قد يسلط عليه فيما بعد • ومن يدرى فقد يتعرض للاتهام باقتراف جريمة من الكبائر •

ويتعين أن يتوافر ايمان شامل بصحة كل شىء • ويتطلب النظـام المتبع فى المملكة المتحدة من الشرطة بذل أقصى جهد لحل مشكلات المواقف الارهابية التى تحتجز فيها رهائن بسلام عن طريق التفاوض • وهم يقبلون على تنفيذ هذه الغاية بحمية تضاهى حماسة الارهابيين ! وفى حالة اقدام الارهابيين على قتل الرهائن ، أو اذا بدا أن هذا سيحدث حتما ، أو وشيك

الوقوع . فان عمل الرئيس الأعلى للشرطة أن يحرص على تأمل هل تكفى الامكانات المتوافرة له للتغلب على هذا الموقف . واذا اعتقد أن الطريق الأوحد هو الالتجاء الى العسكريين ، كان من واجبه أن يوصي بذلك . وكان هذا ما حدث فى حالة حصار السفارة الايرانية ، اذ كانت رئيسة الوزراء بالذات هى التى عملت بنصيحة الشرطة واستدعت S.A.S. للتصرف .

والتهيئة للمواجهة العملية للأحداث تستغرق جهدا كبيرا حتى يشعر الجندى براحة الضمير . فلابد أن يشعر أن جميع الوسائل السلمية قد استنفدت ، وأن المطالب التى يطالب بها الارهابيون بلغت حدا ليس بمقدور أية حكومة ديموقراطية أن ترضى بها ، وبذلك يبدأ عمله ، بغير أن تخامره الشكوك فى أن ما يفعله هو الحل الوحيد المتبقى ، وبعد ذلك يترك الأمر للغريزة ولسنوات التدريب لكى تؤدى دورها . ويجب أن تستغل كل فرصة تسنح لانقاذ حياة الرهائن ، لأن سلامتهم ستبدو عظيمة الأهمية فى نظره حتى اذا جاء ذلك على حساب سلامة أقرانه .

وهناك فارق واضح بين اجراءات مناهضة الارهاب واجراءات الرد المسلح على الارهاب . ويصح ادراج عملية « الرد » تحت عنوان الأعمال الوقائية والعلاجية ، اذا طبقت تبعا لمبدأ العين بالعين والسن بالسن . (أو واحدة بواحدة) . ولا تتبع بعض البلدان هذه التفرقة . اذ تلتزم قوات الرد المسلح بالقيام بعمل ايجابى بمجرد بلوغها أية اشارة من الاستخبارات ، وتقوم بمداهمة الارهابيين قبل أن يشنوا أية عملية مخططة، أو شن عمليات ثأرية بعد أن يكون قد انقضى أمد طويل على الحادثة ، ولكن هل يعد مثل هذا العمل أمرا جديرا بالثناء ؟

لقد قامت اسرائيل وجمهورية جنوب أفريقيا بهذا الاجراء الأخير بصفة منتظمة عبر السنين ، ودافعوا عما قاموا به بكل ما فى جعبتهم . وقامت الولايات المتحدة حديثا بمثل هذه العمليات ، وهددت بفطنة بأنها ستكررها ، فهل حقق ذلك أية غاية نافعة ؟ ولعل ما قامت به هذه الدول قد تسبب فى تلطيخ سمعة الحكومات المشار اليها بنفس الفرشاة التى لطخت الارهابى ؟ لا جدال أن هذه الناحية قد أثارت خلافا في الرأى العام على نطاق واسع ، ولا يبدو أنها قد ساعدت على الاقلال من الأحداث الارهابية ، لا على المستوى المحلى ، ولا ضد أولئك الذين يتبعون تلك البلدان التى هى موضع الشبهات . وفى الدوائر المعنية ، فان هذه المسألة ستشغل — فيما يحتمل — قائمة موضوعات الأخذ والرد لسنوات عديدة .

يبدو أنه من المنطقي أن نذكر أنه بغض النظر عن كيفية استعمال الوحدات الفعالة للرد المسلح على الارهاب ، فان جميع الدول ليس بمقدورها الاستغناء عن مثل هذه الوحـدات ، واذا أحسن التحكم فيها ، ولم يلجأ المسئولون الى نشرها الا كحل أخير فقط ، على أن تراعى الدقة والحرص آنئذ ، وأن تخضع لرقابة الهيئات القادرة على فرض القانون ، فان هذه القوة ستحقق الصالح العام ، بفاعلية لا تنكر ٠

***

رابعاً: الرد فى نطاق المؤسسة

١٧ - توعية المؤسسات والتخطيط للطوارئ

منذ سنة ١٩٧٠، تكاثرت أحداث الارهاب الموجهة ضد رجال الأعمال على طريقة عش الغراب (*)، ويتعذر تقدير مدى الخسائر وفداحتها، التى لحقت بالهيئات والمؤسسات، لأن الكثير منها يحجم عن كشف الحقيقة، لأسباب لا تخفى، على أنه يحتمل أن تكون الاستجابة لتهديدات الارهابيين أفدح ثمنا من الأحداث الفعلية لالقاء القنابل على سبيل المثال، فقد يتسبب أحداث أضرار أكبر فى اللغط المتكرر فى المصالح ودوائر الانتاج، التى تتوقف عن العمل أثناء العمليات الارهابية نتيجة لحملة مدبرة بحرص من المكالمات التليفونية.

ولقد ازداد الارهابيون فى شتى الأنحاء ابتعادا عن البساطة فى ادراكهم لكيفية شن الحرب الاقتصادية، فهم دائمو البحث عن قطاعات جديدة فى دوائر المصالح والأنشطة الحساسة، والمجتمعات التى تقوم فيها الاتصالات بأنواعها المختلفة بدور خطير، ومن هنا برزت مراكز الكمبيوتر كهدف مستحب، واستمرت جماعات الارهاب الوطنية فى البلدان النامية بوجه خاص فى ضرب الأجهزة المعاونة للصناعات الجديدة، وما أيسر تدمير المرافق العامة كخطوط الكهرباء ومحطات توليد الكهرباء، وبخاصة عندما يكون من العسير حمايتها والدفاع عنها، وتتكبد نفقات باهظة عمليات الدفاع ضد التهديدات السافرة للمنشآت الحديثة والانشاءات وعمليات التنجيم، وبخاصة فى المناطق النائية حيث تضعف فاعلية القوات الحكومية، وتضطر حتى أكبر الشركات التى تشترك فى ملكيتها وادارتها جنسيات متعددة الى دفع أتاوات لحمايتها، لبعض الجمعيات التى لم يسمع باسمها أحد، فأكثرها لا يزيد عن زمرة من الأفاقين، الذين لا تعرف هويتهم ولا من أين جاءوا.

(*) البزوغ غير المتوقع والعشوائى، أو «شيطانى» فى لغتنا العامية.

وحتى فى المناطق الأكثر استقرارا ، فان انشاء أجهزة أمن اضافية للمواقع والأفراد كثيرا ما تكون بضاعة كلامية ، لا ينفذ منها عمليا أى شيء . وتضطر المؤسسات الى الاعتماد على كفاية المهارات المحلية التى يمقدورها الاحجام عن استعمال المعدات المتقدمة (بدافع الغيرة أو الظن بأنه تهدد وجودها) ، والاعتماد أيضا على شركات الأمن الخاصة ، بمعاييرها القائمة على عدم الاكتراث ، والاقتصاد أكثر مما يجب فى التصريح بما لديها من معلومات ، ومن وسائل مواجهة هذه المشكلة تفويض « شركات التأمين » بالنيابة عن المؤسسات فى تحمل هذه الأخطار ، وبخاصة اذا كانت الشخصيات التى يتوقع تعرضها للتهديد من العاملين الوافدين من بلدان أجنبية · ولهذا الاجراء أهمية كبرى · وعلى أى حال ، فمن الواجب ألا ينظر اليه باستخفاف · فاذا تحقق بطريقة صحيحة وبحكمة فان عمليات التأمين ستحقق المعجزات من ناحية الكفاية ورفع الروح المعنوية للأفراد ، وأفضل الأمثلة الخاصة بالتأمينات التى استطاعت حماية العاملين هى أحداث الاختطاف ، التى تكون مصحوبة — عادة — بالتدرب على التوعية الأمنية ، ويكون قسط التأمين متضمنا خدمات المفاوض المتمرس ·

ويتعرض « التأمين » مثل أى نظام آخر — بطبيعة الحال — الى اساءة الاستعمال والفساد · فلقد تحولت فديات المختطفين ومبالغ التأمين الى صفقات تجارية فى بلدان مثل ايطاليا وأمريكا اللاتينية · وتعتقد بعض الدول أن كل ما عاد من وراء الفديات التى تتخذ شكل صك التأمين هو تشجيع عمليات الاختطاف · ولا جدال أن صكوك تأمين المؤسسات تزود بالمال أناسا لا يتمتعون بالثراء كأفراد ، ومن ثم فانها ستساعد على زيادة عدد الأهداف المحتملة للارهاب والاختطاف عما سبق ، وفى حالات أخرى ، يبدو أن سهولة المعاملات قد حولت المفاوضات الى عمليات مساومة على الثمن ، والى شكليات تمول الارهاب فحسب ، ولهذه الأسباب فان بعض الحكومات تبحث فى حظر تحريم هذا الشكل من التأمين · وعلى الرغم من سلامة طوية هذه الاجراءات ، فاننا نرى أن مثل هذه القوانين غير عملية وغير مثمرة · فالأولوية التى تعلو على كل شيء آخر فى حالات الرهائن هى تحقيق الافراج عن الضحية ، حيا وفى حالة طيبة ، وهى غاية اضطرارية بما فيه الكفاية تدفع للبحث عن وسائل للتحايل على المحظورات القانونية · والقوانين المقترحة غير مثمرة ، لأنها ستساعد بكل بساطة على زيادة عمليات الاختطاف ، واجراء عمليات دفع الفدية فى الخفاء بعيدا عن الأنظار ، وفى الوقت الحالى تقوم الشركات الأفضل عندما تتعرض لمأزق ، الى اشراك الشرطة المحلية والتعاون معها ، لو كان هذا مجديا · وليس التعاون والشرطة بالمهمة السهلة على الاطلاق · ولن يؤدى تحريم التأمين

الى استبعاد الشرطة من القيام بهذا الدور وحسب ، ولكنه سيؤدى الى حرمان أسرة الضحية أو المؤسسة من الاستفادة بذكاء المفاوض المحترف ذى الخبرة وحنكته • وسيترتب على ذلك دفع الفدية بلا أدنى تأخير ، مع اثارة أقل قدر من اللغط ، وستذيع أخبار هذه العمليات المربحة ، وتزداد عمليات الاختطاف ، ويهرب الأشرار ويفلتون من العقاب •

والاستراتيجيات البديلة ، وبخاصة عندما يتعلق الكلام بكبار الشخصيات المسئولة ، لها جميعا عيوبها الخاصة ، وربما ساعد على منع مثل هذه الأحداث تزويد المسئولين بسيارات ليموزين مصفحة ، فى الوقت الذى بلغ فيه ثمن اطار العجلة التى لا ينفذ الرصاص فيها مبلغ ثلاثة آلاف جنيه استرلينى أو أكثر (حوالى ثمانية عشر ألف جنيه مصرى فقط لا غير) • وقد يعد اقناع كبار المسئولين عند وجودهم بالخارج بالاقتصاد فى حب الظهور فى حياتهم الخاصة ، احتياطا معقولا ، وله دور ايجابى فى انقاص احتمالات التعرض للخطر ، غير أن كثيرين ينظرون الى مثل هذه الخطوات على أنها مطالب فظة للغاية ، وأنها تقضى على مزايا الخدمة فى الخارج ، بل وتقضى أيضا على أساليب الحياة المسرفة التى كثيرا ما تصحب مثل هذه الخدمة ، ويحاول بعض المسئولين — حلا لمشكلة الأمن — تحديد ساعات عمل غير منتظمة ، وبذلك يحدث اضطراب فى المخططات التى توضع على أساس نمطى لاتمام عملية الاختطاف • غير أن مثل هذه الوسيلة قد تحدث خرابا فى دنيا الأعمال والمواعيد والارتباطات التى يجب أن تلتزم فى أغلب الأحيان بمواعيد محددة •

وعلى الرغم من مثل هذه الافتراضات ، فلا مناص من اصرار الشركات على اعداد برامج "Self Help" أو الاعتماد على الجهود الذاتية ، ولو اقتضى الأمر فان عليها أن تعوض موظفيها فى نواحى أخرى • والاقتصاد فى المظهريات أمر معقول • واذا اقتضى ذلك ، وجوب تحمل المسئول الحرمان من استخدام السيارة بورش أو سيارة مرسيدس بسائقها ، فان عليك أن تدرك هذه الحقيقة ، وأن تعوضه بزيادة المرتب أو العلاوات ، وغير ذلك من المميزات ، التى تلطف من هذا الحرمان • أما الزوجات والأتباع الذين كثيرا ما يتجاهلون — فقد يكون لهم القليل من الآراء النافعة •

ويعتمد الارهابيون اعتمادا شديدا على المعلومات المستقاة من داخل المؤسسة أو الشركة لتنفيذ عملياتهم • فاذا أختير أحد المصانع أو المرافق التى تيسر له القيام بمسئوليته كهدف للارهابيين ، فانه من الفروض المنصفة أن يكون للموظفين الذين لم يتأثروا بهذه العملية ضلع فيها ، وأحيانا لا يكون هناك أى اجراء يمكن اتخاذه من قبيل الأعمال الوقائية أو التصحيحية أكثر من التعريف بما حدث • وقد تكون حالات الشعور بالاستياء من أوضاع سياسية مصحوبة أحيانا بمعارضة للحكومة أو

بالشعور بالعداء تجاه الأسس التى تقوم عليها المؤسسة ، والتى قد لا يكون فى مقدور المسئول القيام بأى شيء بشأنها • أما الارهابى فانه من ناحيته سيتبع التكتيكات المجربة على خير وجه ، والتى سميت تسمية بارعة بتكتيكات السبلامى (*) ، أى سيقوم بالتخريب أو الشغب وتهديد الموظفين بوجوب التعاون معه •

ورغم كل هذا ، فان بوسع الشركة اجراء الكثير لاعادة النظام الى عقر دارها ، وللحد من تأثير مثل هذه النواحى التخريبية • وكثيرا ما تكون المصانع هدفا للارهاب من أثر عدم شعبية ادارتها ، فالخبراء الأجانب لا يتعاطفون مع احتياجات العمال ، ويتصفون بالخشونة و « الجلنيطة » فى سلوكهم ، مما يرجع فى الأغلب الى جهلهم بالعادات والمعايير المحلية ، أو عجزهم عن مسايرتها ، والغرب بالذات فى موقف سيىء فى هذه الناحية ، فالبريطانى يتصرف وكان الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس ما زالت حية ترزق ، ويصر الأمريكى على تصور المكان الذى يعمل به كانه أمريكا مصغرة متناسيا ما يحدثه هذا التصور من آثار مهلكة • وبمقدور الانجليزى والأمريكى أن يتساهلا فى مسألة اختلاف العنصر واللون • غير أن الاثنين يعجزان عن التحكم تحكما كافيا فى الادارة التى غالبا ما تتصف بالوحشية والفساد والعنجهية فى تعاملاتها والقوة العاملة • لعل هذه الآراء مجرد تعميمات ، ولكن فى ميدان الأمن ، فان الوعى بأمور المؤسسة يرأدف الادارة الحسنة والعلاقات الشخصية الحسنة • ويوصف الارهابى بالرعونة اذا أقدم على مخاطرة تقضى على شعبيته ، وتفقده التعاطف عندما يتخذ كهدف له أحد المصانع التى يشعر فيها العاملون بالارتياح والرضا فى ظل ادارة محبوبة ، وبالاستطاعة أن تكون الادارة الملتزمة مثلا فعالا للهدف الذى يتعذر النيل منه ، ومثلا لآخر المستحدثات فى عالم الأمن المادى •

وبالرغم من كل هذا ، فان الحاجة للعمل فى المناطق الشديدة الخطورة ستكون مقبولة لدى المؤسسات كجانب من الثمن الذى عليهم أن يدفعوه مقابل احتفاظهم بمناصبهم ، وفى هذه المناطق شديدة الخطورة تكون ميزة القدرة على اصدار القرار عند من يشغلون وظائف مسؤولة هى الفيصل فى الحكم على نجاح المؤسسة • ان الشركات معرضة لمواجهة تهديدات الارهابيين • وما يهم هو أن تكون هذه المنظمة قد فكرت تفكيرا مسبقا فى التهديد ، وأن تكون قد أعدت العدة لمواجهة الأزمات ، وأن تكون قد وضعت المخططات والاستراتيجيات مسبقا ، وليس بعد أن تقع الواقعة •

(*) نوع من المشهيات التى تعتمد على اللحم والنبيذ ، وتطلق مجازا على كل ما يتصف باضطرابه واختلاط مكوناته لدرجة تصعب معرفة كنهه •

وبالمقدور اعداد مثل هذه المخططات لمواجهة الكوارث بحيث تناسب جميع ألوان التهديد ، التى قد تعرض المؤسسة للخطر فى أى مكان من العالم • وتتطلب الكوارث الطبيعيــة والعواصف والفيضانات والأعاصير جميعا سبق التخطيط لاخلاء العاملين ، وقد يعنى الاخفاق فى الاجراءات أو تعطل آلات المصنع والعجز عن التزويد باحدى الخامات الآساسية توقف العمل بالمصنع ، وما يترتب على هذه النواحى من خسائر فادحة ، والاستغناء عن العاملين ، ويقع على رأس الاعتبارات بجميع صنوفها الحاجة لمواجهة عدم الاستقرار الحكومى واضطراب النظام الحاكم • فجميع هذه الأحداث بمقدورها أن تحدث تأثيرا كريها على المؤسسة داخليا وخارجيا ، وتمشيا مع مخطط هذا الكتاب ، فاننا سنركز على التهديدات الناجمة عن الارهاب ، والتى قد تتخذ شكل التدمير أو القاء القنابل •

والجهة المسئولة عن وضع مخطط للطوارىء فى أية مؤسسة كبيرة تدعى « لجنة مواجهة الأزمات » أو C.M.C. (*) ، وتتصل بفروع ثانوية وراء البحار بوســاطة صناع قرارات الأزمات ، وبوسعنا تسميتهم بفرقاء التفاوض المحلى L.N.T. (**) • ولكى تتحقق الفاعلية لهذه الجماعات، فانها تحتاج الى أن تكون من المكونات الدائمة فى تشكيل أية مؤسسة ، وييسر لها ذلك اقامة علاقة صحية وموجبة لمعالجة الأزمات التى قد تنشب، ويساعد التخطيط للطوارىء الذى تقوم به هذه اللجنة على النظر عن كثب الى مــدى التهديدات التى تؤثر على صحة أعضــاء المؤسسة ورفاهيتهم ومسلكهم فى المستقبل • ويجب أن تتمتع C.M.C. الموجودة فى رئاسة المؤسسة بالثقة التامة من قبل مجلس الادارة ، وأن تحصل على ترخيص باصدار القرارات ومواجهة المواقف العديدة غير المنظورة سلفا • ويساعد ذلك على توفير الوقت ، وعلى الاقتصاد فى الجهد ، ويحــول دون انحراف جهود الادارة عندما تواجه أية أزمة فعلية •

وأول خطوة فى التخطيط لمواجهة الطوارىء هى تقدير مدى تهديد الارهابيين فى هذه اللحظة •• ويكتسب هذا التقدير واقعيته من كونه مستندا الى مصادر متنوعة ميسورة من العاملين بالمؤسسة ، وممن يستطاع استشارتهم • ويتخذ التهديد صورا متعددة دائمة التغير والتأثر بالأحوال المتقلبة والمعلومات المستحدثة المتاحة ، ومن يستجد من شخصيات • ويعتمد تقدير مدى التهديد على تصور الارهابى للمؤسسة باعتباره قد وضع نصب عينه معرفة أكبر قدر من المعلومات باستطاعته الحصول عليها عن المؤسسة •

(*) Crisis Management Committee.

(**) Local Negotiating Teams.

وعليك أن تحرص على أن يكون ما لديك من معلومات مساويا لما هو متوافر لديه على أقل تقدير • وعندما تخطط جماعة ارهابية للتحريض على الاضراب، فانها تجرى استكشافا لمنشآت الموقع ومرافقه ، والعاملين فيه • فعليك أن تنظر الى هذه الأمور بمنظور من لديه وعى بالأمن ، وأن تتأكد من انتظام العمل بالمؤسسة فيما يتعلق باحتياطات الأمن ، وتعنى عملية « تصعيب الهدف » ، فى واقع الأمر أن تصبح المؤسسة أصعب فى الاعتداء عليها من باقى المؤسسات على أمل أن يضطر الارهابى الى البحث عن موقع آخر يكون فريسة ألين عريكة ، وبطبيعة الحل ، ان جميع الأهداف المحتملة تعى ذلك • ومن هذا يتضح مدى سهولة تعذر السيطرة على عملية تصعيب الهدف target hardening ، اذا راعينا ما يجرى من تنافس بين العاملين ، وتذبذب الأسعار فى شكل حلزونى الى مستويات مضحكة • وأفضل وسيلة لدراسة هذه الناحية هى الدراسة القائمة على الأسئلة الآتية ، والتى لا تعد بأى حال جامعة مانعة ، شريطة أن يجاب عليها باخلاص •

- ما هو الانطباع الذى يحتمل أن يحدث عند الارهابى عن اجراءاتك الأمنية ؟
- ما هو مقدار صعوبتك كهدف ؟
- ما هو مقدار احتمال تعرض الجوانب الحساسة فى مصنعك للخطر ؟
- هل هى حسنة الوقاية ؟
- ما هى وسائل العلاج التى بالمقدور اتخاذها على الفور لزيادة الأمان ؟
- كم ستتكلف ؟
- ما هى صورة الانهيار الذى ستحدثه الاجراءات الجديدة على سير العمل والكفاية ؟

وتدون مؤسسات كثيرة الخدمات التى ينهض بها المستشار المتخصص ، الذى بوسعه القيام بعملية مسح موضوعية لأمن أى مصنع من المصانع ، وتقديم توصيات حرة بعيدة عن التحيز ، وغير متأثرة بسياسة المؤسسة •

وبعد فحص الجوانب المادية من الأمن ، فان الحاجة تدعو الى توسيع آفاق مخطط الطوارىء حتى يتحول الى استراتيجية شاملة تراعى فيها النقاط الآتية :

- ما هى التقديرات التى تصل الى علم الارهابى عما يقال عن ثروة المؤسسة وقوتها المالية ؟
- ما هى ردود الفعل المحلية تجاه مؤسستك ؟
- ما الذى يقال عنك فى التليفزيون والصحافة ؟
- ما هى نظرة أبناء هذا البلد الى بلادك ؟
- ما هى طبيعة العلاقة بين بلديكما على المستوى القومى ؟

ولم يعد من الحقيقى القول بأن كل ما ينشر بغرض الدعاية أشياء حميدة . والمهم هو أن تعى ما يقوله الآخرون عنك . بطبيعة الحال ، اذا كانت المؤسسة مصرفا أو شركة نفطية ، فان هذه الحالة قد تخلق مشكلة حقة ، اذ سيحتاج الارهابيون الى بذل جهد كبير لاقناعهم انك لا تملك مال قارون وكنوزه . ويتعين أن يكون بمقدور الردود على هذه المجموعة الثانية من الأسئلة المساعدة على تحديد مدى تهديد المؤسسة ، بعد مراعاة هل هناك رضاء عن هجوم الجماعة الارهابية عليها .

والمجموعة التالية من الأسئلة تخص التنظيمات الارهابية :

- ما نوع التنظيمات الارهابية التى تتعامل معها ؟
- هل هى على اتصال بالعالم السفلى للاجرام ؟
- على أى نحو يعتمد التحالف بينهما ؟
- ما هى أهدافها وأساليبها ؟
- هل هى ترمى الى التشهير السياسى ؟
- أم تسعى للحصول على المال فحسب ؟
- ما هى نوعية الأهداف التى تساعدها على تنفيذ مبتغاها ؟
- هل قامت مؤسستك بالتهويل من شأن حجم الجماعات ؟
- ما هو مدى شعبية الارهابيين ؟
- ما هو مقدار العون الذى تتلقاه « الانتلجنتسيا » ، كالطلبة والمدرسين والصحفيين والجامعات وأساتذتها ؟
- ومن الاعلام ؟
- ومن نقابات العمال ؟

وربما كانت هناك أكثر من جماعة ارهابية واحدة ، وفي هذه الحالة ، فان عليك أن تجيب على الأسئلة التكميلية الآتية :

- هل ينم مظهر المنتمين لهذه الجماعات عن الابتعاد عن البساطة والاقتدار ؟
- هل هناك تعاون بين الجماعات الارهابية ؟
- هل هناك تنافس بينهما ؟

قد تتدخل الاختبارات التكنيكية في أساليب الارهابيين ، وتساعد الاستعانة بالسجلات التاريخية وفحصها على الاجابة على أفضل وجه على الأسئلة الآتية :

- ما هي أساليب الهجوم التى استعملت غالبا ، ومن ثم نجحت فى استعمالها ؟
- هل حدث هجوم بالقنابل ؟ واذا جاءت الاجابة بالايجاب ، فانه سيكون من المفيد أن تعرف ما هو أكثر عن بعض الاعتبارات التكتيكية المتصلة بذلك كطريقة تفجير القنابل وحجمها ونوعها ، وأن تحاول أن ترى هل يمكن استخلاص نمط واحد أتبع فى أحداث الهجوم ؟
- وماذا عن قنابل الازعاج ؟
- وهل حدثت محاولات لتلويث المنتوجات ؟ وهل هذا التهديد فى تزايد ، وبخاصة ــ كما سبق أن رأينا ــ من قبل ــ عند كلامنا عن الجيل الجديد من أتباع اتجاه « الارهاب الرقيق » ؟
- الهجوم على العاملين ؟ والحاجة ماسة هنا الى المزيد من المعلومات .
- الاغتيال ؟
- مدى تعرض العمال المحليين للتهديد ؟
- الاختطاف وطلب فدية من المسئولين ، ويتعين أن يمتد هذا السؤال بحيث يشتمل على الآتى :
- ماذا تعرف عن مقدار الفدية التى دفعت ؟
- ما هى المدة التى قضاها الضحية كرهينة ؟
- مصير الضحايا ، يعنى كم عدد من قتلوا ؟
- كم عدد من أطلق سراحهم ؟

ويتعين على مخطط الطوارىء أن ينظر بعد ذلك في مقدار العون والوقايه التي تتوقع المؤسسة ـ باخلاص وواقعية ـ أن تنالهـا من الشرطة المحلية وقوات الأمن • اذ يرغب المهددون المطالبون بالفدية معرفة هل ستكتفى المؤسسة بالاعتماد على جهودها الخاصة ، وينبغى ألا نخدع بالأزياء العسكرية أو تنبهر بها، بعد أن أصبحت أمرا شائعا، بعد أن ارتدتها القوات العامة والخاصة التي تناهض الارهابيين ، وربما لاتزيد الاستعراضات المصحوبة بالموسيقى ودعايات الحكومة عن بعض تشكيلاتها المختارة كجماعة Green Beter، أو Para أو S.A.S. ، والتى قد لا تختلف أية واحدة منها عن الأخرى ، عن دعايات جوفاء • فهى لا تزيد عن جماعات ضحلة لا تصلح لغير الحفلات التنكرية • ومن المؤسف أن الكثير من هذه القوات « الخاصة » في « البلدان النامية » قد اكتسبت صفة « الخاصة » بحكم ما تتقاضاه من « باكوات الأرانب » (كما يقال في وكالة البلح عندنا) وبفضل بريق أحذيتها ، وان كانت في الحق لا تستحق منا أيه التفاتة ثانية ، وربما كان الاعتماد عليها في أى طارىء بعيدا عن الحكمة •

وفى بعض الحالات قد يكون المستشار الأمنى ملما الماما حسنا بدوره بفضل سبق اشتغاله في القوات الخاصة •• وفى هذه الحالة ينبغى أن يكون قادرا على الاجابة عن الأسئلة الآتية :

- ما هو نصيب القوات الخاصة من صفة « الخاصة » ؟
- ما هو مدى كفاية الفروع الأخرى وسلاح الخدمة ؟
- هل تتمتع الشرطة بالكفاية ؟ وهل هى حسنة التدريب ؟
- العلاقة بين الشرطة والقوات المسلحة علاقة تعاون أم تنـافس أم احتكاك ؟
- وهل تخضع القوات الخاصة للدوافع السياسية ؟
- وهل تتمتع بالشعبية ؟
- هل تتصف بالفساد ؟
- ماذا تعرف عن الحكومة ونظامها القضائى ؟
- ما هو تأثير النظام القضائى والقانون الجنائى ودقتيهما ؟
- هل القضاة والمحامون أحرار أم هم يبحثون عن لقمة العيش ؟
- هل هم فاسدون ؟

جميع هذه الأسئلة لو أحسن بحثها والاجابة عليها ستتيح لمخطط الطوارىء التعرف على ماهية التهديد ، وأين يكمن مصدر القوة فى هذا البلد • فاذا تعرضت المؤسسة للهجوم ستتوافر لديها البيانات عن مدى العون الذى يحتمـــل أن تتلقاه ، ومن أين • وبالمقدور تكليف L.N.T. ومستشار الأمن لتجميع المعلومات ، وامداد C.M.C. برئاسة المؤسسة بالاجابات •

وسنتحدث عن « فريق صانعى قرارات الأزمة » وتكوينه حديثا وافيا فى الفصل التالى • ولكن قبل أن ننتقل الى هذا الفصل ، وقبل أن نبحث كيف يستطاع حل أية أزمة ، لابد من أن يراعى أن هؤلاء الأشخاص يعملون فى جو من التوتر الانفعالى الكبير • لأنهم عند نشوب أية أزمـة حقـة ، سيصبحون مسئولين عن أرواح الآخرين • وفى مثل هذه الأحوال ، لا يكفى الوثوق فى الادارة ومساعديها ، لتحقيق النجاح • اذ ستكون G.M.C. والتنظيمات الثانوية التابعة لها محتاجة الى التسهيلات ذاتها لانجاز عملها، كمـا ستحتاج الى مركز تحكم مجهز على خيـر وجه لتزويدهـا بالحد الأقصى من الكفاية فى صنع القرارات ، وأيضا الى مستويات معقولة من العون والمساندة الادارية ووسائل تأمين الاتصالات • وبعبارة أخرى ، ان ما نقصده هو « مركز تحكم فى الأزمات » يتمتع بالأمان ، بعيدا عن ضغوط المؤسسة وتدخلها •

وأخيرا فان الأفرقة تحتاج الى التدرب على الدور الذى ستقوم به ، وينبغى اختبار مخطط الطوارىء ومجموعة صنع القرار للتأكد من كفاية مقدرتهم على الاضطلاع بأدوارهم وواجبـاتهم ، ونحن ننصح بالاستعانة بألعاب أو مباريات التمويه والخداع ، التى وان كانت تمرينات نظرية ، الا أنها تعد وسائل نافعة تساعد المشاركين فيها على اكتساب الخبرة • واذا لزم الأمر يستطاع تقييم قدرتهم على صنع القرار اذا تعرضوا لهذا النوع من الضغوط •

وفى رأينا أن هناك ثلاثة سيناريوهات لتمارين التمويه والخداع لها اتصال مباشر باحتياجات التوعية بالمؤسسة وتخطيط الطوارىء • ولقد بنيت « مباراة الأزمة » Crisis Game على أحـــداث وثيقـــة الارتبـاط بما يدور فى العالم ، وصمم التمرين حول أزمة مخترعة ، ولكنها مبنية على أحداث واقعية ، وتجرى أحداثها فى المستقبل القريب كتزايد القلاقل فى بلد من البلدان تكون فيه المؤسسة هدفا للارهاب ، أو خطة اخلاء موظفين غرباء وعائلاتهم •

ويدور سيناريو « مباراة الاختطاف » حول مفاوضات الفدية المطلوب دفعها بعد اختطاف أحد مسئولى المؤسسة ، حيث يقوم المشاركون بدور

الأشخاص الوثيقى الصلة بالمشكلة التى سيجرى بشأنهـــا اختيار خطة الطوارىء وتقييمها • ومن المستحسن أن تقوم المؤسسة بتدريب أبنائها على المهام ذات الأهمية الملحة والمقومات الخاصة بمفاوض الرهـائن ، وقـد تساعد مباراة الاختطاف على التعرف على أولئك الذين يتمتعون بالسمات الضرورية التى يجب أن تتوافر فى أولئـك الذين يختـارون كمبعوثين للحصول على المزيد من التدريب والتجهيز •

ومباراة « سلب المنتوجات » موجهة لهذا الشكل الجديد نسبيا من الارهاب ، الذى ظهر حديثا ، اذ تتعرض المؤسسات المختصة بالأغـذية ومستحضرات التجميل والأدوية الطبية للتهديد ، خاصة هذه الأيام ، فالى جانب الصناعات الكيميائية ومؤسسات الوقود النووى والوقود المستخرج من مخلفات حيوانية ونباتية، فانهم تحولوا جميعا الى أهداف للمتطرفين الذين ينتمرن الى القاعدة العريضة للمحتجين باسم الحفاظ على البيئة والحركيين اليمينيين من المدافعين عن حقوق الحيوانات • وربما جاء التهديد بالسلب من عصابة اجرامية ترغب فى ابتزاز احدى شركات الأغذية أو بعض محلات السوبر ماركت • وربما تبع اختيار السيناريو طريقة مواجهة التهديد ، كما تكشف لخطة الطوارىء التى أدت الى مضاعفة الاجراءات الأمنية والردود على التهديد •

والمباريات المنشطة للفكر من هذا القبيل لها قيمة كبيرة للمؤسسات • وليس من بينها ما يحتـاج الى مهارات متخصصة من المشتركين ، ويرى المؤلفان من واقع خبرتهما أن هذه المباريات تثير مجادلات تساعد على تنشيط القدرات التمويهية عند المشاركين ، وايضا على التعريف بصنع القرار ، ومن الحق أيضا ، أن بعض المشاركين يرون الضغوط من هذا النوع من صنع القرار مجهدة ، ويعتقدون أنهم عاجزون عن مواجهة التوتر والجهد المترتبين عليه • ان هذا ليس تصورا لقيمتها للمؤسسة • نعم ان بمقدور بعض المسئولين مواجهة ضغوط العمل ومسايرة خطواته ، ولكن عندما تكون الحياة فى خطر فان المسئولية ستبدو لهم أنها فوق طاقة البشر •

★★★

١٨ - حل الأزمات

وليم بلونديل هو نائب الرئيس المسئول فى احدى المؤسسات المتعددة الجنسيات بالولايات المتحدة ، ومقرها أطلانتا ، ولها قاعدة فى جورجيا · ولقد حصل على شهادة في الجيولوجيا ، وعمره ثماني وثلاثين سنة ، ومن النجوم الساطعة فى المؤسسة · وعرف عنه أنه قد استطاع التحليق عاليا منذ نعومة أظافره ، عندما شق طريقه الى الوظائف الادارية العليا ، بعد أن حظي بالرعاية التي أهلته لأرفع مناصب الادارة · ولقد أمضى الشهور الثلاثة الأخيرة فى شيلي بناء على منحة مقدمة من أحد المناجم التي اكتشفت النحاس حديثا ، ومن المنتظر أن يعود للولايات المتحدة بعد أسبوعين · وقد لحقت به زوجته فى سانتياجو ، وتركا أطفالهما فى رعاية والديها في مدينة « الباسو » ، وصباح أمس اختطف وليم بلونديل ، بعد أن أرغمت السيارة الليموزين (شفروليه) التي تقله ويقودها سائق خاص ، على الانحراف عن الطريق ، ودفع بلونديل الى ترك السيارة والانتقال الى سيارة أخرى ، وذكر السائق فى شهادته للشرطة أن ثلاث سيارات وحوالى ثمانية رجال (منهم ثلاثة يرتدون أقنعة) قد اشتركوا فى الحادث ·

وفى أزمات كحادث الاختطاف وطلب فدية من المؤسسة ، كثيرا ما تلحق الخسارة بأكثر من واحد من الأشخاص ، فالضغوط والتوترات التي تحدث للادارة العليا تفوق قدرة حتى أكثر المسئولين خبرة ، وتتسبب فى حدوث انهيارات عقلية وجسمانية · وتبدأ المشكلات على الفور ، وبخاصة للمؤسسات التي تفتقر الى الخبرة · فحتى أولئك الذين يتمتعون ببعد النظر الذى يدفعهم الى تعيين لجنة مدربة لمواجهة الأزمات سيكتشفون

أن ردود فعلهم الأولية بطيئة ومترددة الى أبعد الحدود ، لأن ما لا يخطر على البال قد حدث ، ومن ثم تجيء ردود أفعالهم مصحوبة بحالة ذهول من هول الصدمة • بيد أن هذه المرحلة المبدئية هي التي لها أهمية حيوية في حالة الرهائن ، لأن أي رد متمهل قد يكون له أثر عكسي على فرص بقاء الضحية على قيد الحياة ، ان لم يمتد هذا الأثر بحيث يساعد على اطالة ديمومة محنته ، ورفع الثمن المحدد للفدية •

ولدى المؤسسات شركات أمن « Top Flight » من أعلى المستويات « يلجأون اليها للاستشارة • وهناك عدد وفير ممتاز من مثل هذه الشركات بمقدورها تحمل أشد الأعباء ،وبخاصة عندما تخص هذه الأعباء مؤسسة كالمؤسسة التي يعمل بها بيل بلونديل ، والتي تواجه مثل هذه الأزمة لأول مرة ، ورغم هذا ، فان كل ما بوسع المتخصصين في الأمن أن يفعلوه هو اسداء النصح ، فليس بمقدورهم اتخاذ القرارات النهائية ، التي ستظل مسئولية الادارة العليا • وهكذا شهدنا موقفا خطيرا من بدايته : مؤسسة مترددة متقلبة متورطة في مواجهة أزمة ضد منظمة ارهابية تتميز بمهارتها ودهائها ، وفوق كل شيء فانها متمرسة في « لعبة » الرهائن • ولقد « انتقى » بلونديل بناء على عملية استكشاف ومعاينة قامت بها احدى الخلايا • وانتشلته احدى جماعات الاختطاف وأودع في مخبأ سري تحت حراسة فريق من الحراس ، وفي الوقت نفسه ، قامت خلية التفاوض ، والتي تضم الزعيم — كما يظن — بمراجعة ما يجب أن تفعله وتقوله • بينما يقف في الانتظار في الأجنحة بعض رجال يوصفون بأنهم « خلية جمع الفدية » • ولقد اشترك في عملية الاختطاف ستة من الارهابيين المهرة ، من أولئك الذين وهبوا أنفسهم لهذا العمل • وبعد أن انتهى المجلس من تعيين الـ C.M.C. ، قام أعضاؤه بتذكر ما تعلموه ،وبدأوا يعملون بكفاية • وفي هـذه اللحظة ، كان وليم بلونديل يمضي أول أمسـية من أمسيات الرعب •

والمهمة الأولى لـ C.M.C. في أطلانتا هي تعزيز قوة المؤسسة خلال هذه الأزمة ، ولكي يتحقق لها أعظم قدر من الفاعلية رئي أن يظل فريق C.M.C. صغيرا بالقدر الضروري الذي يسمح له بانجاز مهمته • فليست هناك حاجة الى قدر كبير من الخيال لتقدير أن التبـاين في القدرات بين المؤسسة والارهابيين سيعرضها لمجازفة شـديدة الوطأة ، وترى بعض مدارس الفكر عندما تتأمل التوترات التي لابد أن تحدث ضرورة أن يتألف فريق C.M.C. من شبـاب صغير السن ، يستبعد تعرضهم للانهيار من شدة الاجهاد •

ولنبدأ بالتحدث عن تكوين فريق C.M.C. ، ولابد أن يكون رئيسه هو المسئول الرئيسى عن المؤسسة ، وأن يلازمه مساعده كظله . ولما كان الاثنان ، كما بينت الأحداث ، هدفين رئيسيين ، لذا يتعين أن يدركا بوضوح كيفية أداء فريق C.M.C. لمهمته ، وأن يكونا من المتمرسين المقتدرين فى دورهما والتزاماتهما ، ويعد اختطاف « بلونديل » مسألة مؤسفة ومأساوية . غير أن الأزمة لا يجب أن يسمح لها باحداث شلل فى المؤسسة أو ادارتها العليا . ولكى تتحقق هذه الغاية ، فان الرئيس ومساعده لا يحضران اجتماعات C.M.C. بصفة دائمة . ولا يطلب منهما الحضور الا فى اللحظات الحرجة عندما تتطلب الأمور اصدار قرارات . ومع هذا فلابد من بقائهما على اتصال بمركز الأزمات ، ولربما دعت الحاجة الى قيامهما بتنسيق جدول أعمالهما ومقابلاتهما واعادة ترتيبه .

وسنطلق على العضو الرئيسى أو العمود الفقارى للفريق اسم « منسق الأزمة » وقد يرى بعض أن الأنسب هو قيام مدير الأمن بدور المنسق . ولكن هناك أسبابا اضطرارية مماثلة تثبت لماذا يتعين الابتعاد عن هذا الرأى ، فللمدير التزامات أخرى تشغل وقته ، خاصة بالأزمة ، وغير ذلك من الشئون . وبالاضافة الى ذلك ، فان عمله يتطلب مغادرته للرئاسة . ولعل اختيار أحد المسئولين القانونيين الرئيسيين هو أفضل اختيار ، وسيكون المنسق بمثابة سكرتير مسئول للأزمة ، حتى يتمكن من اجراء الاتصالات مع فريق التفاوض المحلى فى سانتياجو ، وتحضير جدول أعمال C.M.C. واخطار الرئيس بما يجرى ، وتسجيل القرارات التى يتوجب اتخاذها ، ويحتاج فريق C.M.C. الى خبير قانونى ، اذ قد تكشف المسئولية عن المؤسسة أنها ميدان ملغم ، عندما تتعرض صحة العاملين وأموالهم للخطر ، وهناك مضاعفات قانونية تحتاج معالجتها الى قدر من الأناة والحكمة .

والمستشار المالى ضرورى لاجراء ترتيبات دفع الفدية . فمن المتوقع أن يبالغ المختطفون ، فيما يطالبون من مال ، وستستغرق عملية المساومة وقتا طويلا وأخذا وردا . ويتعين مراعاة الحرص والكتمان عند دفع هذا المبلغ ، حرصا على سمعة المؤسسة ، وهذه ناحية فائقة الأهمية . ومن الأعضاء الدائمين فى فريق C.M.C. ، متخصص فى مسائل الأفراد والشئون الانسانية ، لكى يكون مسئولا عن المسائل الأسرية ، وما يتبعها من مشكلات خاصة بالعاملين . والمسز « كاترين بلونديل » سيدة قوية الشكيمة شديدة المراس . وهى الآن مشردة فى بلد أجنبى . فالأطفال يقيمون فى مدينة « الباسو » تحت رعاية والديها . ووالدها حديث التقاعد ، وكان من جنرالات القوات الجوية ، وله العديد من الأصدقاء بواشنطن .

وحتى الآن ، لم تصل أنباء الاختطاف الى الصحف وأجهزة الاعلام ، وعندما تصل هذه الأخبار ، يجب أن توكل نواحى العلاقات العامة لشخصية مقتدرة ، وكما رأينا ، فان الصحف مغرمة بأحداث الاختطاف ، وتتطلب هذه الناحية سيطرة لبقة من البداية ، حتى لو كان الدافع لذلك الحرص على مساندة الصحافة للمؤسسة ، ويطالب مدير الأمن فى فريق C.M.C. بتنسيق احتياجات الأمن فى المؤسسة فى شتى الأنحاء • ولا يعترف الارهاب بأى حدود بين الدول • وبمجرد شيوع خبر الاختطاف ، هناك احتمال خطير بحدوث عمليات اختطاف أخرى ، اما من قبيل التقليد ، أو لتضخيم قدرة الجماعة الارهابية الأولى على المساومة • وأخيرا ، وان كان هذا العامل ليس أقل العومل أهمية ، فان خبير التفاوض يجب أن يشترك بصفة جوهرية فى فريق C.M.C. وتتركز مهمته على اسداء النصح للشرطة والفنيين • وفى الوقت نفسه ، سيوفد مفاوض آخر الى سانتياجو للعمل الى جانب L.N.T. •

وعندما يمارس الفريق الأساسى ل C.M.C. عمله ، فانه سيحتاج الى مساندة ادارية ولوجستيقية يجب أن تشتمل على وسائل تأمينية مستقلة للاطمئنان على امكان الاتصال بسانتياجو • وبحكم اقامة فريق C.M.C. فى بناء يتمتع بالكفاية الذاتية بحكم عمله كمقر لرئاسة المؤسسة، فانه سيتمكن من العمل وتناول وجباته والاستراحة بغير تدخل فى شئون المؤسسة ، وبغير تدخل من المؤسسة فى شئونه ، وهذا هو الأهم ، ويحتاج الفريق الى مجموعة صغيرة منتقاة من الاداريين أصحاب الحصافة للعمل كسكرتيرين وملاحظين للاطمئنان الى تكامل عملهم • ولا داعى لزيادة التأكيد بأن الانتباه لمثل هذه الدقائق ضمن مخطط الطوارىء سيساعد على زيادة كفاية « صنع القرار » ، بعد التحرر من الأعباء غير الضرورية والمعوقات التى تعوق الفريق عن أداء مهمته •

وقد يحتاج فريق C.M.C. الى مشورة تفصيلية وفنية لتعريفه بالأحوال فى سانتياجو ، والموقف الأمنى الشامل للارهاب فى شيلى • وكان من الواجب أن تكون هذه الحاجة قد أدركت من بواكير عملية التخطيط للطوارىء ، وأن تكون أسماء المتخصصين المطلوبين قد عرفت • وبالمقدور أن يكونوا من كبار المسئولين المتقاعدين حديثا ، الذين خدموا فى شيلى ، أو من أصحاب الالمام بشئون التخطيط للطوارىء ، أو الذين قاموا بجولة كاملة فى المنطقة ، أو أحد المتخصصين الجامعيين • وليس مثل هؤلاء الخبراء فى الأحوال العادية من الأعضاء الكاملين فى قوة الفريق ، وان وجب أن يكونوا على مقربة منه ، حتى يستطاع استدعاؤهم والاسترشاد بآرائهم ..

وربما تكون .I.N.T قد تأهبت للتحرك على هذا الوقت ، وتعكس I.N.T. بمقياس مصغر عدداً من المهام التى تضطلع بها رئاسة المؤسسة · وهكذا سيرأس I.N.T. رئيس معاونات ما وراء البحار ، الى جانب مساعده ، وسيكون هناك منسق وأحد المحامين ، وسيجرى المتخصص الأمنى اتصالات بالجهات القانونية ، ويوجه انتباهها الى حماية العاملين الأجانب فى الموقع ، والشركة المعاونة فى سانتياجو من المشروعات المشتركة التى يراعى فى رأسمالها وادارتها أن تحصل شيلى على النصيب الأكبر ، وللجهات الشيلية المسئولة دور مشارك ، وان كانت هناك أسباب وجيهة تدعو الى عدم السماح لمبادئها باقحام نفسها · ولو صح ذلك ، فانه يتعين أن يشترك فى .I.N.T عضو اضافى يعمل كضابط اتصال، يساعد على حل الأزمات التى يثيرها الجعجاعون الفارغون ، مع الحرص على الاستعانة ـ عن كثب ـ بالمحليين ·

ويتولى المفاوض فى .I.N.T الجوانب التى تتطلب التبصر واللباقة فلقد احتجز بلونديل فى مكان مجهول ، وانتقلت المبادرة كلية الى المختطفين· فهم الذين سيبدأون الاتصال ، اما عن طريق مكالمة تليفونية قصيرة ، أو ربما بنشر اعلان فى الجرائد · ولا ينتظر أن تطول هذه المكالمة ، وان كان المفاوض مضطرا الى البقاء بجوار التليفون طيلة الساعات الأربع والعشرين، وفى مثل هذه المواقف ، وفى الحالات التى ينتمى فيها هذا المفاوض الى هيئة متخصصة فى الاستشارات ، فان هذه الهيئة ستجرى خدمة نوبتجية للمفاوضين ، فيكلف كل مفاوض بالعمل فى دورة تستمر ثلاثين يوما ، يحل مكانه آخر بعد انتهاء دورته ·

فما هى غايات المؤسسة ؟ واذا أتبعت السابقة التى وضعتها حكومة الولايات المتحدة ، سيكون من الواجب اتباع السياسة التى أعلنتها على الملأ بعدم التنازل أمام مطالب الفدية · ولقد اتخذ المسئولون هذا القرار دون مبالاة بما يدور فى الواقع · فهل يؤثر حادث اختطاف « وليم بلونديل » ، ويحث على تغيير هذه السياسة · بعد أن تعرضت حياته للخطر ؟ لعله من دلائل بعد النظر ، ومن الأسلم أن ترفض المؤسسة دفع أى مال يطلب منها ، ما دامت لا تخشى من أى حملة تشهير ، وأن تبدى استعدادها لو اقتضى الأمر الى التضحية « ببلونديل » · فبمجرد ارتضاء المؤسسة الدفع ، فانها ستتعرض لخطر تحول مسئوليها الى أهداف لاعتداءات أخرى ، فأين هو الحد الذى يمكن التوقف عنده اذن ؟

وليس دور الكتاب اصدار الأحكام الأخلاقية ، كما أنه ليس من المعقول اقامة قواعد صلبة قاطعة قد تدعو الظروف ـ بلا تردد ـ الى خرقها ، وتقديم تنازلات · وبعد هذا الاستطراد نقول ان المسئول الرئيسى قد أبلغ .C.M.C

بالتفاوض على دفع فدية أقل آملا أن يساعد كسب الوقت على اتاحة الفرصة للعثور على بلونديل ، وبذلك تتحقق عملية الانقاذ ، أو يقبض على المختطفين عندما يحضرون لاستلام الفدية ٠

ولدى بعض المؤسسات صكوك تأمين لمواجهة مثل هذه الأحداث الطارئة ، كالاختطاف والفدية ، وفي مثل هذه الحالات تخرج العملية برمتها من أن الرئيس المسئول قد أمر باجراء دراسة فورية لمعرفة امكان اتباع

من أن الرئيس المسئول قد أمر باجراء دراسة فورية لمعرفة امكان اتباع

هذه الوسيلة !) ٠ ومن هنا ستحتاج .C.M.C الى تحديد أقصى مبلغ ، يمكنها أن تنصح بدفعه ، والحد الأقصى المعروف هو ستون مليون دولار في أمريكا اللاتينية أيضا ٠

وفي الوقت نفسه ثمة عدد من الأسئلة الأخرى ، التي تقتضي الضرورة قيام .C.M.C بتوجيهها ، وأيضا التوصيات التي سترفع الى الرئيس لاصدار قرار بشأنا ، وتدور هذه الأسئلة والتوصيات غالبا حول مقدار الخطر الذي ستتعرض له المؤسسة من جراء هذه الأزمة ٠ وما هي الآثار المترتبة على اختطاف « بلونديل » على المظهر العام للمؤسسة وسمعتها ورأس مالها ؟ وما هو أثر الحادث على معنويات العاملين ، وبخاصة الأعضاء الأجانب ؟ ولو مات « بلونديل » ، فان الموهوبين سيغادرون البلاد، وستصاب المؤسسة بخسائر ؟ ٠ وما هو نصيب .I.N.T من المقدرة والمهارة ؟ وما مدى الوثوق في قدرات العاملين في .I.N.T وما هو مقدار العون الذي يمكن تقديمه باطمئنان لمتابعة عملية اطلاق سراح بلونديل ٠ ولعله من الأفضل اجراء اتصال تليفوني فورا بالمفاوض في سانتياجو لتحويل الاعتماد من الاحتياطي المالي للمؤسسة على أن يخصم المبلغ من البند المخصص للاعانات ٠

وما الذي يتبع حيال كاترين بلونديل ؟ وليست هناك قواعد قاطعة تراعى في مثل هذه الحالات ، وان كان الأفضل — فيما يحتمل — اعادتها جوا الى بيتها على أول طائرة ميسورة ، والزوجة (والأسرة) معرضة لخطر مباشر ، اذا حدثت عملية اختطاف تكميلية تقوم بها الجماعة الارهابية لتضخيم قدرتها على المساومة ، أو يقوم بها آخرون من باب « التقليد » واذا استطاعت الطائرة النفاثة للمؤسسة نقل المفاوض الى سانتياجو ، فانه سيحتاج الى فسحة من الوقت لمقابلتها ، ويكون بمقدورها بعد ذلك الرجوع على نفس الطائرة ، وهناك خط لاحق هو احتمال سهولة تدخل الأسرة ، والتي ترمي في المقام الأول الى اطلاق سراح « تنوس عينها » ، أو قد تسعى للقيام بعملية ضغط عن طريق أجهزة الاعلام أو المؤسسة ٠

وبذلك ستواجه C.M.C. « ما هو أكثر مما يكفيها » ، ولن تكون بحاجة الى زوجة عاطفية أو مهووسة تضيف متاعب جديدة الى متاعبها • وهناك العديد من الأحداث التى أدت فيها مثل هذه التفجرات ، التى لا تحدث فى وقتها المناسب ـ الى زيادة الأوجاع ، وربما كان لها دور فى مصرع الضحية • فلا أحد ممن يتبادرون الى خاطرنا سيساعد على حل المشكلة •

وستنتقل كاترين بلونديل الى بيتها جوا ، وتعود الى أطفالها الذين سيؤمن ملاذهم ، وستستشار بلونديل فى كيفية استقبالها لزوجها عند عودته ، وستسأل بوجه خاص عن كيف تساعده فى البرء من البلايا التى لحقت به فى محنته • وهذا مدخل ايجابى وحساس يتيح للأسرة التفكير فى وضع مخطط للمستقبل • ويتعين أن يكون لدى المؤسسة مستشارون متخصصون كعلماء النفس مثلا ، بمقدورهم تقديم العون بأن يكونوا قريبين من الأسرة الى أن يتم حل الأزمة دون القيام باتصالات بدافع الفضول •

ويتوجب ارفاق مثل هذه القرارات بمخطط الطوارىء ، وأن تكون من بين التعليمات المقتضبة التى يتسلمها العاملون قبل قيامهم برحلة عمل خارج البلاد • وسيكون وليم بلونديل أقدر على مواجهة محنته اذا عرف أن زوجته قد طارت جوا الى بيتها على الفور ، وأن هناك نفرا من المؤسسة قد كلفوا بالعمل لانقاذ أسرته •

هل يجوز اخطار الاعلام والصحافة قبل استماعهم هم أنفسهم الى أخبار الحادث ؟ ومرة أخرى ، ان الكثير يتوقف على الظروف • ففى أوربا الغربية والولايات المتحدة ، حدثت جملة حالات وثقت فيها السلطات الرسمية بالصحافة وناشدتها التعاون معها وتحقق ذلك • وعندما تكون حياة شخص ما فى خطر فليس هناك ما يحول دون الوثوق في الصحافة المسئولة، ولكن فى حالة وليم بلونديل ، فاننا لا ننسى أن أمريكا اللاتينية بلد مشهور بالأفاقين واللصوص • فشيلى ديكتاتورية وخشبية ، وان كانت ادارتها بعيدة عن الكفاءة ومعروفة بالغلظة ، وتتمتع الرقابة الصحفية فيها ـ على نحو أو آخر ـ بسلطان كبير ، ومن ثم فان التعاون رغم ما يشوبه من أحقاد ربما يكون متوقعا •

وبمجرد تسرب حكاية بلونديل ، أصبح من الحيوى الاطمئنان الى وضوح جميع البلاغات والتصريحات الرسمية التى تعطى للمخبرين الصحفيين ، مع التأكد من دقتها • ويجب أن يدرك هذه الناحية المتحدث باسم المؤسسة الذى يختار لهذه المهمة • ومن ثم فمن واجبه ألا يذكر شيئا عما تشتم منه روح المشاكسة ، أو يسمح بأى شىء يضعف فرص النجاح •

وبينما توضع الخطوط الارشادية التى رسمتها .C.M.C موضع التنفيذ سيقوم المفاوض بالتوجه الى « سانتياجو » للاتصال بالارهابيين ، وقد يضطر للانتظار طويلا ، اذ تنزع بعض الجماعات الارهابية التى تضم عتاولة من المحنكين فى هذه العملية الخسيسة الى اهمال القيام بالاتصالات شهرا أو يزيد ، وعندما يحدث اللقاء ، سيغدو دور المفاوض أهم الأدوار ، لأنه سيكون أقـرب الى المسئول مسئولية كاملة ٠ وقد تتخذ الضـغوط ـ بكل سهولة ـ بعدا مضجرا حقا ٠ فالضغوط السيكلوجية ما أكثرها ، ولا يصح استبعاد احتمال تعرض حياة «بلونديل» للخطر ، والمفاوض شخص يملك مميزات خاصة ، وفى حالة بلونديل ، فانه سيزود بمعلومات حسنة عن أحوال سانتياجو ، لأنه أثناء عملية التفاوض هو والمختطفين ، سيقوم بالبحث أيضا عن بينات تساعد على الكشف عن مواضع اختبائهم ، فعليـه أن يعرف جغرافيا البلد وشعبها ، وأن يتقن لغتها ، ومن الشروط الانسانية، أن يكون المفاوض شخصية لامعة ذكية ويقظة ، لديها القدرة على اكتشاف أى منفذ ، وأية فرصة ، ولو كانت هينة ، يستطاع استغلالها لصالحه وتساعد على الافراج عن بلونديل في أقرب فرصة ٠

وليست هناك أية قواعد فاصلة وقاطعة ، اذ يحتاج كل حادث احتجاز رهائن الى الحكم عليه تبعا لظروفه ، وان كانت هناك عادة ثلاث مراحل تمر بها المفاوضات ، ففى المرحلة الأولى ، سيكشف مفاوض الارهابيين عن شيء من العداء والفتور ، ولو أنه سيلتزم الهدوء والايجابية ، وسيحرص على عدم الهياج ٠ والمكالمات التليفونية في هذه المرحلة قصيرة حادة ، وتتجه اتجاها مباشرا نوعا الى الموضوع ، ونادرا ما تدوم أكثر من دقيقة واحدة : (« اننا نريد كذا دولار ـ لا تتصل بنا الا ومعك المبلغ كاملا ـ « لا تضيع وقتنا » ـ « مع السلامة يا أخ ») ٠

وفى المرحلة الثانية ، سيكون الطرفان قد اتفقا على ما يصح اعتباره نقلة طويلة المدى ، ويسعى المفاوض لاقامة حوار مع الارهابى ، وتيسر له شخصيته الجذابة الودودة ، اقامة علاقة طيبة ، وباشعار الطرف الآخر بالاستهواء نحوه حتى فى مثل هذه الأحوال المجهدة المقرفة ٠ فالمفاوض شخص لا يكل ولا يمل ٠ فهو يحارب معركة تكتيكية ، وعليه أن يتوقع ازدياد اضطراب الارهابى ، وأنه كلما طالت المدة التى تستغرقها الحادثة ازدادت فرص الاكتشاف ٠ وفى حادث الاختطاف ، تكون مهمة المفاوض هى المطالبة بتخفيض المبلغ المطلوب كفدية ـ بمقدار مليون جنيه على سبيل المثال ـ أى الى « حد يمكن قبوله » ٠ ويتحقق ذلك اذا خفض الطرفان من المقدار الذى كانا يتوقعانه ، ولو توافرت الخبرة للعصابة ، والكثيرون منهم كذلك ، سيكون الطرف الممثل للخاطفين على بينة كاملة بالحركات التكتيكية

المتاحة للمفاوض ، عندما يذكر لهم أنهم قد أساءوا تقدير درجة ثراء الأسرة، أو المؤسسة ، واذا بالغت العصابة فى مطلبها ، وأسرعت خطاها ، فانها ستضطر الى المخاطرة بانقاص ما تطالب به الى نصف المبلغ المطلوب ، أو ربما ثلثه • واذا خفض المفاوض المبلغ كثيرا ، وتسرع فى الاعلان عن عطائه، فانه سيعرض المختطف لخطر الضرب أو الاصابة •

وخلال هذه المرحلة المطولة ، يطالب المفاوض المختطفين « باثبات لوجود الضحية على قيد الحياة » . وسيكون المفاوض أثناء أحاديثه وكاترين بلونديل قد عرف بعض أشياء لا يعرفها أحد غيرها وغير وليم كذكرى محببة لهما ، ونغمة موسيقية مرتبطة بحياتهما ، وربما اسم دلع مستحب ، وبالمقدور تقديم هذه المعلومات للمختطف كسؤال لا يعرف اجابته أحد غير بلونديل • ومن الوسائل الأخرى التى يمكن أن تتبع: طلب صورة فوتوغرافية لبلونديل وهو يقرأ الجريدة ، عليها مانشيتات يمكن التعرف على تاريخ صدورها • وتكمن المشكلة المترتبة على هـــذا المطلب فى كون الصــورة الفوتوغرافية كدليل مسألة لا تخلو من شىء من الخطورة ، فثمة حالات قتل فيها الضحية فى مرحلة أبكر وصور وهو جالس وفى حالة تجمد ، ثم صور بعد ذلك بانتظام باستعمال كاميرا « بولارويد » وكأنه يقرأ الجرائد اليومية « كاثبات لوجوده على قيد الحياة » • وربما بدا أن الأسئلة هى أفضل وسيلة لانتزاع برهان يثبت أن الضحية ما زال حيا ، ولكن من المستحسن فى هذه الحالة عدم المطالبة بتواريخ للاثبات ، لأن الضحية يكون فى حالة توتر شديد ، وربما لا يتذكر مثل هذه التواريخ • وفى بعض حالات ، يتطلب الارهابيون شيئا من الاقنــاع لارغامهم • وقد يتحول بلونديل الى قطعــة من قطع الشطرنج فى اللعبة السياسية • وربما ترسل صور فوتوغرافية أو شرائط فيديو للصحافة يدفعها الى النظر الى بلونديل « كرمز للاستبداد الرأسمالى » ويتخذ هذا التصور عذرا أو ذريعة لاطلاق سراحه ، وكاتهام قاس للنظام الشيلى •

ويحتاج المفاوض الى تعاليم دقيقة للغاية فى كل مرحلة من مراحل العملية • وعلى الرغم من تمتعه بالمسئولية كاملة ، الا أنه لا يملك السلطة الكافية لصـنع القرار أو اتخـاذه ، فليس بمقـدوره التسـليم بما يطلبه المختطفون • وفى مختلف الأحـوال ، سيتخذ رده عليهم صيغة قريبـة مما يأتى : « اننى أفهم ما تقولون • ولكن عليكم أن تقدروا موقفى • فأنا لا أملك الحق فى الموافقة على مطالبكم ، فدعونى أبحث عما بوسعى أن أفعله ، وسأتحدث معكم فى ذلك فى المرة التالية عندما نتقابل » •

وفى نهــاية الأمر ، وقد يحـدث ذلك أحيانا بعــد شهور ، تدخل المفاوضـات مرحلتها الثالثة والأخـيرة • واذا سار كل شىء وفقا للخطة

الموضوعة ، سيكون المفاوض قد ازداد اقترابا من التحكم فى المفاوضات ، فيما يتعلق بمقدار الفديه وطريقة دفعها • ولا يستبعد أن تكون الشرطة اعتمادا على شبكة استخباراتها ومصادرها قد استطاعت تكوين صورة دقيقة وواضحة نوعا لأولئك الذين تقف ضدهم • والسؤال الخاص بدور الشرطة وفرض القانون من الأسئلة المعقدة ، ففى حالة بلونديل ، فقد اشتركت الشرطة من البداية • اذ كانت عملية الاختطاف معروفة للكافة • وفى حالات أخرى ، عندما توجد خطة فعالة للطوارىء ، يستطاع معرفة الكثير عن مدى الاتكاء على الشرطة وكفايتها ، فحتى فى حالة بلونديل ، لم تكن هناك حاجة الى إشراك الشرطة اشراكا كاملا ، لو كان هناك ارتياب فى قدرتها • وبالإستطاعة دعوة ممثليها لحضور الجلسات الخاصة التى تعقد فى مقر I.N.T. ، ويستحق الذكر أن الشرطة رغم تطلعها الى تأمين الافراج عن وليم بلونديل ، الا أنها كانت تتبنى أغراضا أخرى ، ليس أقلها شأنا القضاء على الارهابيين • وما أسهل تدخل المؤثرات التافهة التى ترجع الى الغيرة والتنافس بين الشخصيات • ولا ننسى أن التنافس والتشابك بين مهمة الشرطة ومهمة الجيش قد يساعد على تعريض العملية للخطر •

ويحتاج تجميع الفدية الى بعض الوقت • فلقد طالب الارهابيون بمبلغ خمسة ملايين من الدولارات ، تدفع ورقا من الفئات الصغيرة ، وبالرغم من ضخامة عدد الأوراق النقدية المطلوبة ، فانه لا مناص من تسجيلها ، ومن ثم يكون التعاون بين الشرطة والبنك أمرا ضروريا • ان فدية بهذا المقدار ستكون أمرا جسيما • واذا جمعت فى « باكوات » من فئة الدولارات العشر ، فانها ستزن قرابة نصف الطن • ويحتاج تجهيز المبلغ الى بعض الوقت • ويتعين تأمين وصوله حتى يتفق على طريقة استلامه ، وربما تطلب الموقف الاستعانة بمتطوعين لتسليم الفدية • ويجب أن يكون عددهم اثنين •

وبقى التيقن من هل تعد الفدية أمرا مشروعا فى نظر القانون الشيلى ؟ ففى بعض البلدان من المحظور دفع الفدية ، وهذا يعنى وجوب اجراء الدفع فى بلد ثالثة ، أو يستعان بالشرطة بأمل أن ينظر الى دفع الفدية ـ من جانب ـ كوسيلة لاخماد حماس الارهابيين ، وبالاستطاعة محاولة الدفع عن طريق خيلة يراعى الحرص فى تنفيذها ، وان كان مثل هذا الإجراء محفوفا بالمخاطر ، لأن جميع المشاركين ابتداء من الشركة موضع مراقبة الشرطة ، وتتخذ الفدية عادة شكل مبلغ من المال يتم دفعه • غير أنه لا يلزم أن تتخذ الفدية هذه الصورة وحدها ، فعندما تكون الغاية الأولى من الاختطاف سياسية ، فان الموقف قد يكون أشد تعقيدا من ذلك ، فهناك مطالب ارهابية خاصة قد تتضمن الافراج عن رفقائهم السجناء ،

ويخلق هذا المطلب بصورة تلقائية مشكلات للحكومات ، وبناء على ذلك . ستضطر C.M.C. فى أطلانتا الى الاتصال بواشنطن وسانتياجو ، وكذلك بالارهابيين من خلال L.N.T. الممثل لهم ، ويرغب المختطفون السياسيون القيام بدعاية لاثارة المخاوف ، ولاثبات عجز الحكومة ، وكسب أنصـار لقضيتهم • وفى ايطاليا ، طالب الارهابيون بفدية مؤداها تخفيض الايجارات المسـتحقة على فقراء نابلى • وفى بعض الأحيـان ، يكون تحقيق المطالب السياسية انتصارا كافيا ، ويصبح الرهائن مجرد زوائد لتعزيز مطـالب الارهابيين • ولقد ذبح السياسى الايطالى ألدو مورو بوحشية ، عندما لم تبق له فائدة تفيد الارهابيين •

ويساعد تدخل الحكومة على تسوية الأزمة ، وما لم تتوافر للمؤسسة الجرأة والخيـال والتصميم ، فانهـا ستخسر فى مواجهتها للمؤامرات والدسائس الدبلوماسية الدولية • وعندما تصبح المسألة برمتها علنية فانها ستثير مشكلات مترتبة على دعايات أجهزة الاعلام الصاخبة ، ويطلع كل من هب ودب على مكنونات صدور الآخرين ، ويتحول وليم بلونديل الى رهينة فى لعبة السلطة • وفى مثل هذه الحالة يتحتم أن لا يغيب عن فطنة المؤسسة غايتها الأصلية • فهى تود أن يعـود وليم بلونديل الى داره فى أقصر وقت مستطاع ، مع دفع أقل مقدار من الفدية ، وأن يبقى متمتعا بقدر كاف من الصحة الذهنية والجسمانية التى تساعده على استئناف عمله بأعظم قدر يعود بالنفع ، وربما احتاجت المؤسسة لتحقيق هذه الغاية الى تعبئة قواها والاستفادة بتأثيرها على الادارة الأمريكية ، ولا بأس من الاستعانة فى هذا الشأن بحمو بلونديل ! فهل عاد وليم بلونديل الى داره ، أى الى كاترين وأسرته فى « الباسو » ؟ تبين الاحصاءات أن فرص تحقيق هذه الغاية وعدم تحقيقها فى أفضل الأحوال متساوية ، فاذا أمكنه أن يستأنف عمله ، وأن يحقق امكاناته ، فانه سيثبت أنه الانسان القادر بمسلكه ومرونته على التغلب على محنة عاتية •

★★★

١٩ ـ الدبلوماسيون والارهابيون

[كل ما نصبو اليه هو أن يتوافر لنـــا الحظ ولو مرة واحدة ، أما ما أنتم بحاجة اليه فهو أن تنعموا بالحظ دوما]
الجيش الجمهورى الايرلاندى PIRA أكتوبر ١٩٨٤ .

فى السنوات الأخيرة ، انفرد الدبلوماسيون بمهاجمات الارهابيين لهم . ويرجع ذلك بوجه خاص الى شخصياتهم ، والى ما يشـــغلون من مناصب ، والأدوار التى يؤدونها . وفى السنوات التى أعقبت ١٩٦٧ بعد حرب يونيو التي غيرت ميزان القوى تغيرا جذريا فى الشرق الأوسط ، أصبح الارهاب مصدر تهديد أعظم . فمنذ ذلك الحين ، تضاعف أحداث الاعتداء على الدبلوماسيين خمسة أضعاف ، وعانى ممثلو مائة واثنى عشرة بلدا الى حد كبير .

وفى أبريل ١٩٨٣ ، هوجمت سفارة الولايات المتحدة فى بيروت من قبل جماعة الجهاد الاسلامى باستعمال سيارة انتحارية مفخخة . وسجلت هذه الحادثة رقما قياسيا آخر فى تصاعد هذه الموجة . ولقد نشرت حكومة الولايات المتحدة فى تقريرها الاحصائى عن أحداث الارهابيين التى انصبت على الدبلوماسيين والسفارات احصاء آخر يتساوى فى رصانة لهجته . فلقد اغتيل عشرون سفيرا يتبعون أربع عشرة دولة ، واختطف دبلوماسيون من ثلاث وأربعين دولة . وليس هناك ما يدهش فى معرفة أنه منذ قيام الحشود بالاعتداء على السفارة الأمريكية واحتجازهم للرهائن ، قد ازدادت

على نحو مأسوى أحداث احتلال السفارات من قبل الجماعات الارهابية والأحزاب السياسية ، فلقد تم احتلال سفارات خمس وأربعين دولة ، وبلغ مجموع الهجمات خمس وسبعين هجمة ، وتمثل هذه الأرقام ارتفاعا يبلغ ٥٠٪ منذ حادث السفارة الأمريكية بطهران ، وفى تقرير آخر ، ذكر مكتب مكافحة الارهاب فى دراسته « للأحداث الارهابية الموجهة للدبلوماسيين » ، أن هذه الاعتداءات التى بلغت سنة ١٩٧٥ ٣٠٪ من جملة الأحداث الارهابية ، قد قفزت الى ٥٤٪ بعد ذلك بعشر سنوات ٠

واليوم يعد الدبلوماسى أحب الأهداف المفضلة للارهابيين ٠ وليس من العسير تبين سر ذلك ، فالهدف الأولى للارهابى هو اذاعة أخباره على نطاق واسع من باب الدعاية ، ويساعد الاعتداء ضد طائفة الدبلوماسيين على اشباع هذه الحاجة اشباعا كاملا ، والاعتداء على الدبلوماسيين انتهاك صارخ لأصول الحصانة الدبلوماسية ، وتقاليدها ، ويثير اهتمام المجتمعات التى ينتمون اليها ، ويحفز لاثارة أزمة مباشرة بين الحكومات ٠ وتعتمد الحصانة الدبلوماسية على الأعراف والعادات التى تحولت الى أسس متفق عليها ، وتعتمد أيضا على القانون الدولى ٠ وقد ناقشنا بعضا منه بالفعل ٠ وقائمة اللوائح التى تنظم سلوكيات التعامل بين الدول بالغة التأثير :

- ★ **اتفاقية فينا عن العلاقات الدبلوماسية ٠**
- ★ **اتفاقية فينا عن العلاقات القنصلية ٠**
- ★ **الاتفاقية الخاصة بالامتيازات والحصانة فى الأمم المتحدة ٠**
- ★ **الاتفاقية الخاصة بتحريم ارتكاب اية جرائم ضد الأشخاص الذين يتمتعون بالحماية الدولية ، بما فى ذلك الممثلون الدبلوماسيين ، وتحريم اية عقوبات توقع ضدهم ٠**

فمتى بدأ كل هذا ؟ ، بطبيعة الحال ، ان احتجاز الرهائن عادة ترجع الى العصور الغابرة ، وبالاستطاعة تتبع أصولها منذ أقدم العصور عندما كان زعماء القبائل يقبضون على أطفال احدى القبائل الخاضعة لهم ، لضمان حسن سلوك أبناء هذه القبيلة ٠ ويكاد يتشابه منح الحصانة لممثلى الدول الأخرى فى عراقته وما نصت عليه التقاليد الحربية المقدسة التى كانت متبعة فى معارك الماضى بخصوص سلامة السلوك ٠

ومن ناحية أصل الحصانة الدبلوماسية بالمعنى الذى نعرفه الآن ، فباستطاعة المرء أن يصادفه فى التاريخ الانجليزى ابان حكم الملكة آن (١٦٦٥ ـ ١٧١٤) ٠ ففى هذا العهد ، نرى أول حادثة مدونة ، تم فيها

اعفاء الدبلوماسيين من الخضوع للقانون المدنى ، ومنها نعرف لماذا لا يدفع دبلوماسيو هذه الأيام أية غرامة نظير الاسراع ، ولماذا لا يغرمون اذا أوقفوا سياراتهم فى أماكن محظور الوقوف فيها . ولقـــد أنزل الأفاقون الذين استأجرهم دائنو المندوب فوق العادة لقيصر روسيا هذا المندوب فى جملة مناسبات من عربته ، وألقوا به فى سجن « نيوجيت » لعدم دفعه الديون المستحقة عليه ، وفى ثالث مرة أسيء فيها لسعادته على هذا النحو ، سن التاج البريطاني قانونا عرض على البرلمان (اذ كانت حسن النية الروسية أمرا يهم المصالح البريطانية وتجارة الأخشاب ، بعد أن تعرضت انجلترا لبعض المشكلات ، فى علاقتها مع السويد) ، ونص هذا القانون على أن كل من يحدث مساسا عن طريق الكتابة أو الفعل ضد أى سفير أو مبعوث أو أحد من خدمه الخاص « يعد معتديا على قانون الأمة ومخلا بالسلام العام ، ويعاقب تبعا لذلك » .

وربما كانت الحصانة الدبلوماسية ضد القانون الجنائى أقدم عهدا . فابان الحكم الطويل للملكة البروتســتانتية اليزابث الأولى (١٥٣٣ — ١٦٠٣) تآمر سفيرا صاحبى الجلالة الملكين الكاثوليكيين لفرنسا واسبانيا لاسقاط الملكة وقتلها ، وأقدم خلفاؤهما على القيام بمهزلة مماثلة خلال عهد الكومنولث لأوليفر كروموبل بعد ذلك بنصف قرن ، واكتشف الجهــاز السرى الانجليزى آنئذ المؤامرات ، وافتضح أمر السفيرين . وعلى الرغم من القبض عليهما متلبسين بجريمة الخيانة ، الا أنه اكتفى باعادتيهما الى بلديهما . ولم يشترك فى حسن الحظ شركاؤهم الانجـليز فى التآمر . اذ قطعت رؤوسهم ، وشيعوا الى مثواهم الأخير وسط صيحات السـخرية والاستهزاء التى قطعت الصمت الرهيب المطبق على برج لندن .

واستمرت ممارسة الحصانة الدبلوماسـية عهـدا طويلا للغـاية . واستطاعت الصمود فى وجه التغيرات الكبيرة — وان لم تكن ثوزية — فى النظام الدولى . ولابد أن يستحق الثناء العام أى عرف أو تقليد اذا استطاع أن يستمر فى البقاء وسط هذه التغيرات . وترجع قيمته الى مبدأ المعاملة بالمثل ، فالدولة تمنح الحصانة لممثلى البلد الآخر ، وتتعرض للمعاناة من أية أوضاع غير مناسبة أو مستحبة تنجم عن ذلك فى نظير أن يلقى ممثلوهــا فى الخارج نفس المعاملة والحرية .

والدبلوماسيون فئة مميزة ، لأنهم لا يخضعون لقوانين البلد الذى يعملون فيه ، وذلك لأنهم ممثـــلون لبلادهم ، وان كانوا غير مسـئولين عن أفعالها ، وما بدا مثيرا للهلع فى حادث السفارة بطهران ، وأدى الى احتمال زعزعة السلام والاستقرار الدوليين هو أن الدبلوماسيين الأمريكيين

قد حوكموا على سياسات المسئولة عنها هى الولايات المتحدة ، وكان أسلوب القبض عليهم واحتجازهم من الأفعال التى رفعت الارهاب الى مستويات أعلى . فقد أقحمة فى العلاقات بين الدول . وفى هذه الأيام يبدى الارهابيون احتراما هينا للحصانة الدبلوماسية . واذا لم يعد الدبلوماسيون يلقون احتراما بحكم مناصبهم ، فانهم سيضطرون للبحث عن وسائل أخرى لحمايتهم .

وفى لندن تقع هذه المهمة على كاهل « المجموعة الملكية لحماية الدبلوماسيين » (*) وتتبع شرطة المدينة ، وتتلقى المساعدة اذا لزم الأمر من قوات الأمن ، ومن الوحدة المنتقاة لمكافحة الارهاب « لواء الخدمات الجوية الخاصة » . ومهمتها من المهام الرهيبة ، التى تكاد تكون مستحيلة . ففى الوقت الحالى ، يوجد أكثر من خمسة آلاف دبلوماسى ، فاذا أضفنا اليهم عائلاتهم ، فاننا سنكون ازاء عشرين ألف شخص يتطلبون الحماية . وعلى الشرطة أيضا حراسة أكثر من أربعمائة وستين مبنى تنتمى للسلك الدبلوماسى . وفى نيويورك مقر الأمم المتحدة ، وفى واشنطن التى تعد العاصمة الدبلوماسية للعالم ، ربما كانت أعداد الأشخاص والأبنية التى تتطلب الحماية أكثر من ذلك . فاذا تركنا الاحصاءات جانبا ، سنرى أن الدبلوماسيين وسفاراتهم يخلقون لقوات الأمن عددا من المشكلات الفريدة ، التى لا تصادف فى عالم التجارة والمال .

وتشغل السفارات عادة الأبنية العريقة ، وأكثرها جاها فى العاصمة ، وبخاصة فى العالم الغربى . والأبنية عتيقة ، وكثيرا ما تلقى رعاية خاصة ، بالنظر الى قيمتها المعمارية ، وتحميها القوانين التى تحرم اجراء تعديل فيها لمواجهة الاحتياجات الوقائية والدفاعية ، وبالمقدور زيادة اجراءات الأمن اذا لم يتعارض ذلك والمظهر الخارجى للمبنى ، وصيانته ، والحفاظ على ما بين البناء والأبنية المحيطة به من هارمونية . وثمة مناسبات قليلة تسنح فيها الفرصة للبناء من جديد ، كما حدث فى حالة سفارة الولايات المتحدة فى ميدان جروسفينور فى لندن ، بمظهرها الشبيه بمظهر القلاع ، أو عندما تصمم الحكومة على اختيار مواقع جديدة أخرى لسفارتها ، كما حدث لبريطانيا التى نقلت سفارتها فى المملكة السعودية من جدة الى الرياض .

وتحاول السفارات احاطة زوارها الذين يعدون بالآلاف ، بمظاهر الود والترحاب واشعارهم بالتحرر من كل قيد . كما أنها تواقة للنهوض

Royal and Diplomatic Protection Group. ★

بيلادها ، وتعمل على تشجيع السياحة اليها ، والتعامل المالى معها • وتتعارض هذه الاحتياجات ومطالب الأمن العليـا التى قد تتمثل فى بعض المظاهر والقيود « الاستبدادية » مثل الكاميرات والأبواب الموصدة وتصاريح الدخول والحراسة المسلحة • ولدى البلدان العربية والاسلامية تقاليد تدفعها الى الحرص على كرم الضيافة ، « والباب المفتوح » ، وتتسبب هذه التقاليد فى تعرض المختصين بالأمن لنوبات موجعة من الصداع • ولابد أن يعتمـد الدبلوماسيون على نوعية خاصة من القوات المحلية لحمايتهم ، تتوافر لها الشجاعة والكفاءة ، وفى لندن ، تتمتع هذه القوات بسمعة طيبة ، ولكن فى مواضع أخرى من العالم ، تتنوع المعـايير تنوعا كبيرا تبعـا لمستوى التهديد • وفى السنـوات الأخيرة ، وقعت أغلب الأحداث الارهابية فى أوربا الغربية • ولا تعد هذه الحالة انعكاسا ـ بالضرورة ـ لعدم توافر المستوى المناسب من الاجراءات الخاصة بالرد على هذه الأحداث ، ولكنه بدلا من ذلك يعد انعكاسا لمجموعة من العوامل الفريدة ، التى جعلت أوربا هدفا جذابا للنشاط الارهابى • وليس أقل هذه الأسباب شأنا اقترابها جغرافيـا من الشرق الأوسـط ، وقـد تتخذ هجمات الارهـابيين ضـد الدبلوماسيين عدة أشكال كالاختطاف واحتجاز الرهائن ، والقاء القنابل هو الوسيلة المفضلة لجميع الأسباب السابق ذكرها ، وتقدر فى الوقت الحالى ، بحوالى نصف الأحداث المسجلة ، أو التى أبلغ عنها •

وفى الفصل السابق ، بحثنا « حل الأزمة » عندما تتخذ صـورة اختطاف لأحد المسئولين بالمؤسسات • وفى حالة الدبلوماسيين ، تكـون العملية أشـد تعقيدا ، لوجود مشـكلات سياسية شـديدة الحسـاسية والخطورة • ونادرا ما يحتجز الدبلوماسيون كرهائن سعيا وراء الحصول على مكافأة مالية وحسب • ولو حدث ذلك سيحتسب هذا النوع ضمن النوع الصريح فى غايته ، وعندما يختطف السفراء أو الدبلوماسيون فى الخارج ، تكون للحكومات التى يتبعونها سياسة صريحة بعدم التفاوض والارهابيين ، وبعدم التنازل بالتبعية • وتبعا لذلك فقد تضاءلت أعداد أحداث اختطاف الدبلـوماسيين أو Diplonapping ، كمـا يسـميها الأمريكان ، بالمعنى التقليدى ، ومن ثم يمكن أن توصف أحداث مثل حادث اختطاف جوفرى جاكسون بأنها استثناء فى السنوات الأخيرة •

والدبلوماسيون يكونون هدفـا أيضـا ، فى بعض حالات اختطاف الطائرات • والطائرة المختطفـة تكون عادة من طائرات الخطوط الجـوية التابعة للدولة ، ويكون الحادث دوليا فى طبيعته ، بينما تكون للارهابى مطالب سياسية يسعى للحصول عليها فى مقابل اطلاق سراح رهائنـه ـ

انها مسألة معقدة ، كما شهد بذلك حادث اختطاف الطائرة ايرفرانس بوينج ٧٣٧ ، التى اختطفتها جماعة الجهاد الاسلامى . وكان من بين مطالبها الافراج عن أقرانهم الأعضاء فى هذا التنظيم المتشدد ، الذين كانوا اما من المحكوم عليهم بالاعدام ، أو من الذين يمضون فترات سجن طويلة فى الكويت لسبق اختطافهم لطائرة أخرى ، وتعزف الدول عن الموافقة على اطلاق سراح السجناء الارهابيين خشية التشهير بها . مثلما تعزف عن السماح لهم باللجوء اليها . وهذا الشكل من التشهير الارهابى يمثل تهديدا حقيقيا للغاية . وقد تزايد استعماله كسلاح محتمل فى أيدى الجماعات المتعصبة التى لا ترحم . ويرجع التهديد الى عجز كثير من الدول عن مواجهة مثل هذه الأحداث سواء اتخذت صورة اختطاف الطائرة أو احتلال مبنى السفارة ، فهى لا تملك الموارد أو الوسائل التى تيسر لها النجاح فى مثل هذه المواقف الصعبة ، أى عن طريق الخبرة فى التفاوض أو باستعمال قوات مدربة على الرد المسلح على الارهاب . وكثيرا ما يضل المختطفون سواء السبيل ، ويشهد بذلك حادث اختطاف طائرة شركة مصر للطيران فى مالطة ، وأقرب من ذلك عهدا ، حادث اختطاف الطائرة « البان ام » فى كراتشى .

ولدى الحكومات واجب يدعوها لحماية أرواح المقيمين الغرباء فى بلادهم وأملاكهم . ويصح هذا الاعتبار بوجه خاص فى حالة الدبلوماسيين . وتتصف الولايات المتحدة بالذات بالخشونة ، خصوصا عندما يتعلق الامر بحالات الاختطاف . فمن المسلم به فى تاريخها بعد الأحداث التى تحدثت عنها الصحافة كثيرا (كحادث اختطاف ابن الطيار الأمريكى الشهير لندبرج) ، النظر الى اختطاف الدبلوماسيين كجريمة أو اعتداء على الدولة يهم واشنطن أكثر من أهميته للسلطات المحلية أو من تمسهم هذه الأحداث مساسا مباشرا . فمن بين الأهداف الرئيسية لهجمات الارهابيين ضد الدبلوماسيين اثبات ضعف الحكومة المضيفة ، وعجزها ، أو احجامها عن الوفاء بالتزاماتها ومسئولياتها . واذا توخينا الدقة سنقول ان الارهابيين ينتقون الدبلوماسيين ، كأهداف مفضلة لمكانتهم الخاصة . فلا عجب اذن ، أن تحدث مثل هذه الأحداث ، بكل ما يصحبها من ضجيج ، أزمة كبرى لأية حكومة . وفى بعض الحالات قد تنطوى الحكومة على نفسها ، وتلجأ الى مخططات الحصار (وهو أسلوب يناسب عقليتها) . ويشيع هذا الأسلوب بوجه خاص فى البلدان النامية ، وفى مثل هذه الحالة ، تتخذ القرارات بمعرفة رأس الدولة وقلائل من المستشارين المقربين . ويحتمل أن تكون الشخصيات الرئيسية فى هذا المقام شخصية وزير الداخلية ووزير الدفاع ، بالاضافة الى رؤساء القوات المسلحة . وعلى الرغم من أن هذا الأمر فى

صميم الواجبات الدبلوماسية ،لأن العلاقات الخارجية قد تتأثر به ، فان العادة لم تجر على اشراك وزير الخارجية ، ضمن زمرة صناع القرار · فكثيرا ما يكون وزراء الخارجية من الشخصيات المحترمة ، الملمة بما يدور فى العالم الدبلوماسى ، ولكنهم نادرا ما يكونون من مراكز القوة فى دولهم ، ومن ثم ففى أزمات من هذا القبيل ، فانهم ينزوون جانبا ، وفى أغلب الظن أن من بين أسباب هذا الموقف أنه فى قضايا وعرة مثل قضية احتجاز الرهائن تكون هيبة الدولة واستمرار بقائها فى الصدارة ولها القدح المعلى فوق العلاقات الخارجية ·

كذلك من الأيسر لمن يميلون الى تصور امكان نهوضهم بمثل هذه المهمة ، أن يقدروا ما تؤديه الحكومة ، بالرجوع الى النتائج التى تحققها والى الأسلوب الذى تتبعه فى معالجة مثل هذه المواقف · آنئذ سيدركون لماذا تقرر بعض الحكومات الخلاص من الارهابيين ودفن الأزمة باخفاء معالمها وتعتيم الاعلام ، وبذلك تحافظ على تسييدها للأوضاع ·

وعلى الرغم من البيانات العامة التى تناقض ذلك ، فان الحكومات ترى نفسها مرغمة على التفاوض والارهابيين ، وبخاصة فى أحداث الرهائن · وفى أى سياسة معلنة ، فانها ترفض التنازل أو الاتصال بهم ، وترفض ـ بالطبع ـ التفاوض معهم ، لأن هذا الاجراء قد يفسر على أنه من علامات الضعف التى ترفع مكانة الارهابى الى مكانة مساوية للحكومة ، ومن هنا فانها تلجأ الى البحث عن وسائل أخرى لحل المشكلة ، ويستعان بالوسطاء للقيام بعمليات معقدة من الحوار ، وربما أدى ذلك الى الاستعانة بحكومة أخرى ، بل وبالارهابيين أنفسهم ، ولعل هذا يفسر لماذا رحبت بريطانيا وفرنسا ، وأيضا أولئك الذين اتضح أنهم مسئولون عن حسم مثل هذه المشكلات فى حكومة ريجان بترك المفاوضات لاطلاق سراح رعاياها (وبعضهم كان يتمتع بالحصانة الدبلوماسية) الذين احتجزتهم جماعة الجهاد الاسلامى بين يدى تيرى ويت · وقد تفاوض هذا المبعوث هو والارهابيين بصفة مباشرة ، كما تباحث وممثلى الحكومتين السورية والايرانية · ونجح هذا التكتيك لبعض الوقت ، ولكن عندما حاول ويت أجراء المزيد من المفاوضات ، وبعد أن تكشفت أول ملامح من فضيحة ايران جيت انتهى الأمر باحتجازه هو بالذات كرهينة ! ·

وفى حالة حادث احتجاز رهائن يمس الدبلوماسيين فى الخارج ، فان معظم الحكومات قد تعبىء وحداتها المسئولة عن الأزمات لمراقبة الحالة ، وتتشابه هذه الوحدات هى والوحدات المماثلة فى المؤسسات فى تكوينها وتنظيمها · وهكذا يصح اعتبار رئيس فريق C.M.C. مناظرا لوزير الخارجية أو نائبه ، الذى قد يرأس فريقا صغيرا من الأفراد المختارين

بعناية ، وممن تتوافر لهم القدرة على مواجهة الأزمة • وموطن الخطر هنا هو ما يحدث اذا تدخلت البيروقراطية ، فما أسهل أن تتحول مثل هذه التنظيمات الى عقبة كأداء ، ذات تأثير عكسى على الأزمة ، ولربما تسببت فى شغل الوزارة برمتها وتعطيلها عن الاضطلاع بباقى مهامها ، وعلى السفارة فى البلد الذى وقع فيه الحادث أن تختار فريقا يمثلها .L.N.T لمواجهة الموقف فى محل حدوثه •

ولقد تعرفت مؤسسة RAND/Corporation's Think Tank المختصة بمكافحة الارهاب على خمسة أنماط رئيسية للأنشطة الارهابية التى تقوم بأحداث يتعرض لها الدبلوماسيون ، وقد بينها مدير المؤسسة بريان جنكنز على الوجه الآتى (١) :

- أحداث مرتبطة بحرب العصابات أو النشاط الارهابى السائد •
- أحداث يثيرها المهاجرون العنصريون أو العرقيون ، أو جماعات المنفيين ضد قومية بالذات أو نظام بالذات •
- اعتداءات الارهابيين فى شتى الأنحاء فى الخارج كجانب من حملة أكبر ضد حكومة بالذات •
- أحداث تثيرها الجماعات الوطنية لحماية أفعال حكومة أجنبية •
- استعمال الحكومة لتكتيكات ارهابية أو جماعات ارهابية كبديل للحرب ضد عدو أجنبى •

وهذا الجزء الأخير من قائمة بريان جنكنز ينقلنا الى ذلك العالم القاتم الذى يلتقى فيه الدبلوماسيون هم والارهابيون • ولقد بحثنا مسألة الدبلوماسى عندما يكون « ضحية » ، ولكن كثيرا ما يصح القول بأن الكثير من أحداث الارهاب ما كانت لتحدث لولا مساعدة الدبلوماسيين • وكانت العراق من أكبر مصادر الازعاج الى أن انغمست فى حرب الخليج ، واكتشفت فجأة حاجتها الى أصدقاء فى العالم الغربى • وفى ابريل ١٩٨٤ ، تصرف بعض العاملين فى المكتب الشعبى الليبى بلندن بطريقة أقرب الى تصرفات المشاغبين أو العربيديين فى الشوارع منها الى تصرفات الممثلين المفوضين ، عندما فتحوا النيران على مظاهرة سلمية ، وسقطت الشاويشة الانجليزية ايفون فلتشر صريعة • وفى أكتوبر ١٩٨٦ ، ضبطت السفارة السورية متلبسة ، واتضح أن السفير وبعض كبار رجال السفارة

---

(١) Terrorism and Personal Protection. — Brian M. Jenkins لندن Batterworth ١٩٨٥)

متورطون ، وذكرت أسماؤهم فى المحكمة البريطانية باعتبارهم قد ساعدوا فى محاولة لنسف طائرة نفاثة جامبو ، وقد أنكروا ، وهم ينتحبون ، وزعموا أن الحادث من تدبير الموساد (المخابرات الاسرائيلية) . ولكن هذا الادعاء لم يقبل التصديق . وبمقدورنا أن نزعم أنه ليس بالامكان تقديم دليل أكثر اتزانا للحكومات التى تبحث عن دليل حاسم يثبت الدور المزدوج الذى تلعبه سوريا من الأبحاث التى قام بها جهاز المخابرات البريطانى .

ولمواجهة هذه المخالفات الصارخة ، التى تجاوزت الحد للبروتوكول الدبلوماسى والامتيازات الدبلوماسية لم تر بريطانيا وجود بديل آخر غير قطع العلاقات مع سوريا . وينا للخزى والعار ! . فعندما تطلعت لندن الى شركائها الأوربيين طالبة مؤازرتهم ، والقيام بعمل مشترك ، اتضح تخليهم جميعا عن بريطانيا ، وذكروا أن قطع العلاقات مسألة لم تخطر ببالهم قط ، وعندما يتعامل اليونانيون والارهاب فانهم يسلكون مسلكا شاذا . أما الدور الفرنسى فمن الصعب اماطة اللثام عنه ، اذا راعينا غلالة القنابل التى انفجرت فى باريس ، ولعل سوريا تمثل مذهب الأمر الواقع de facto فى الشرق الأوسط ، وتعد مفتاحا للتورط الفرنسى فى لبنان . غير أن تهدئة الارهاب لن تكون هى الاجابة على الاطلاق . على أن هناك اهتماما متزايدا ، — عبرت عنه عدة دول — بالأوضاع القانونية للبعثات الخارجية المقيمة بأرضها . فالسفارات والبعثات ودور الاقامة أماكن لها حرمتها ، وليس بمقدور الشرطة دخول هذه الأبنية حتى اذا اعتقدت أن جريمة قد وقعت فيها ، أو اشتبهت فى وجود ارهابيين مختبئين فيها . ومن غير المسموح به فتح الحقائب الدبلوماسية أو تفتيشها . وما من شك أن مثل هذه الأشياء ضرورية لتامين الاتصال بين البعثات وحكوماتها ، ولكن الحقائب الدبلوماسية قد استعملت لتهريب الأسلحة النارية والمفرقعات ، بل والأشخاص ! .

وما لبثت أن أصبحت اساءة استعمال الامتيازات الدبلوماسية هى القاعدة وليست الاستثناء ، وظهرت حاجة ملحة تدعو الى وجوب اعادة النظر فى الاتفاقيات التى يسرت ذلك . وليس من المتوقع انجاز هذه المراجعة واعادة النظر فى وقت قصير ، وسوف تكون الاجراءات طويلة ومعقدة ، ما دامت الأماكن الوحيدة التى يمكن ان تعقد فيها الاجتماعات التى ستبحث فيها هذه المسائل هى الأمم المتحدة ، وستتيح الخطب التى ستلقى من فوق هذه المنصات بعباراتها الطنانة فرصا ذهبية لأصدقاء أو أنصار الارهابيين للتسويف والمماطلة ، وستتضاءل من جراء ذلك فرص امكانات الاصلاح ، وفى الوقت نفسه ، سيتعرض النظام العام للعبث والاساءة بأبشع الوسائل من قبل الدول التى تساند الارهاب .

بطبيعة الحال ، اذا صح القول بأن الدبلوماسيين يحنون الى السنوات العديدة التى تمتعوا فيها بالحصانة ، فان هذا القول لا يصح اطلاقا عن سادتهم رؤساء الدول ، فلقد غدا التهديد بالاغتيال بالسلاح أو القنبلة مسالة بينة بلا مراء ، ويشهد المقتطف التالى من جريدة التايمس (١٩٨٤) بمدى فاعلية الارهاب .

ماتوا وهم يتمتعون بالسلطة

قائمة باسماء من أغتيلوا من زعماء العالم (٢)

اغسطس	١٩٤٩	حسنى الزعيم رئيس سوريا ـ أطلق الجيش الرصاص عليه .
يوليو	١٩٥١	اغتيال الملك عبد الله ملك الأردن فى القدس .
يوليو	١٩٥٨	مصرع الملك فيصل ملك العراق فى انقلاب عسكرى .
سبتمبر	١٩٦١	اغتيال رافايل تروهيو ديكتاتور جمهورية الدومينكان .
نوفمبر	١٩٦٣	اغتيال الرئيس كيندى فى دالاس ـ تكساس فى الولايات المتحدة .
ينـاير	١٩٦٥	مصرع رئيس وزراء ايران حسن المنصور .
ينـاير	١٩٦٦	انقلاب مات فيه أبو بكر باليوا رئيس الوزراء الاتحادي بنيجيريا .
سبتمبر	١٩٦٦	طعن رئيس وزراء جنوب أفريقيا هنريك فيرفورد حتى الموت .
مارس	١٩٧٠	وفاة الرئيس نجارتا طومبالباى متأثرا بجراحه اثر اصابته فى حادث انقلاب لحكومته فى تشاد .
أغسطس	١٩٧٥	وفاة الشيخ مجيب الرحمن رئيس بنجلاديش اثر اصابته فى منزله بعد انقلاب للقوات المسلحة .
فبراير	١٩٧٦	اصابة قاتلة للجنرال مورتالا محمد رئيس الدولة بنيجيريا فى انقلاب فاشل .

---

(٢) جريدة The Times فى اول نوفمبر ١٩٨٤ .

ابريـــل ١٩٧٨	مصرع الرئيس محمد داوود رئيس أفغانستان فى انقلاب .
يونيـــو ١٩٧٨	مصرع رئيس جمهورية اليمن أحمد حسين الغاشمى بعد استلامه رسالة مفخخة .
أكتوبـر ١٩٧٩	اغتيـــال الرئيس بارك شونج هى رئيس كوريا الجنوبية بعد اصابته برصاص .
ابريـــل ١٩٨٠	مصرع الرئيس تولبرت رئيس ليبريا بعد اطلاق الرصاص عليه فى انقلاب عسكرى .
مايـــو ١٩٨١	مصرع ضياء الرحمن رئيس بنجلاديش بعيار نارى أطلقته جماعة من المتمردين من ضباط الجيش .
أغسطس ١٩٨١	مصرع الرئيس الايرانى محمد على رجائى ورئيس الوزراء محمد جواد باهونار اثر انفجار قنبلـــة فى طهـــران .
أكتوبـر ١٩٨١	اغتيال القوات المسلحة للرئيس أنــور السادات رئيس مصر .
سبتمبر ١٩٨٢	مصرع الرئيس بشير الجميل رئيس لبنـان فى انفجار قنبلة .
أكتوبـر ١٩٨٤	مصرع السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند بعد أن اغتالها ضباط من حرسها الخاص فى مقر اقامتها .
أكتوبـر ١٩٨٤	حاول الجيش الجمهورى الايرلاندى قتل رئيســة الوزراء البريطانية ، وفشلت المحاولة .

(وكانت كلمات هذه المنظمة الحماسية هى التى اتخذناها شعارا لهذا الفصل) .

فبـراير ١٩٨٥	اطـلاق الرصـــاص على أولوف بالمى رئيس وزراء السويد من قبل مجهول فى أحد شوارع استكهلم .

خامسا : حماية الفرد

٢٠ – تصعيب الهدف

حتى قرابة عشر سنوات مضت ، كان مصطلح « تصعيب الهدف » ، يستعمل للدلالة على الاجراءات التى تتخذ للحيلولة دون وقوع الأسلحة والمتفجرات بين يدى الارهابيين ، وأيضا للدلالة على الاجراءات التى تتبع للحيلولة دون اصابة الارهابى للهدف ، ولقد امتد مفهوم هذا المصطلح الآن ، وأصبح أكثر دلالة فى استعماله على ما يخص الأشخاص ، بعد أن أصبح الأفراد أنفسهم أهدافا أولية ، ولم يعد الدبلوماسيون وحدهم هم الأهداف ، وتكاد عملية « تصعيب الهدف » أن تكون عملية وقائية ، وأن تكون – استدلالا – معنية بالحوائل التى تصعب الاعتداء على الهدف ، وليست الحوائل جميعا حوائل مادية ، وفى هذا الفصل سنركز الكلام على أكثر الحوائل اتصالا بالفرد . وبالاستطاعة حرمان المعتدى من وسائله باتباع البداهة وقواعدها ، وليس الحرمان من الوسائل حرمانا تاما بالأمر المستطاع . غير أن المصطلح مصطلح حسن ، يعتمد عليه ، لأنه يعبر تعبيرا واضحا عن النية فى حرمان الارهابى من فرصة الضرب بسهولة . ويجر هذا « الحرمان من الوسائل » فى ذيله اتباع اجراءات معقولة ووسائل الأمن الأساسية وميسراته ، وسنقتصر فى هذا الفصل على الكلام عن الفرد ، وان كان العديد من القواعد التى سنجملها ، يمكن الاستفادة بها فى نطاق الكيانات الأكبر كالمؤسسات . وليس هذا الجزء مختصا بالنواحى التقنية ، اذا راعينا أن رغبات الأفراد تتركز على العيش والعمل فى جو آمن ، كما أن تطبيق مجموعة من الاجراءات البسيطة قد يحقق ما هو أعظم لصالح الفرد ورفاهيته أكثر من أى عدد من السبل البعيدة عن البساطة ، وأسس أمن الفرد هى : ١ – الوعى ٢ – الملاحظة ٣ – التخطيط ٤ – رد الفعل . وهذه الأسس فى ذاتها بينة لا تحتاج الى نقاش ، واذا طبقت

تطبيقا صحيحا فى النطاقات المبينة ، فانها ستعنى أن الفرد قد قطع شوطا بعيدا لكى يصبح « هدفا صعبا »

وبوسع المسئول المدرب تدريبا حسنا أن يواجه الاعتداءات الاجرامية الصغيرة بصـــك أسنانه أو شىء شبيه بذلك ، ولكنه عندما يواجه فعلا ارهابيا مدبرا ، أو عملية اختطاف فلا يحتمل اذا اتخذ موقفا سلبيا أن يحصل على أى شىء سوى زيادة خطورة ايذاء نفسه ، ولو قبل هذا الرأى على علاته ، سيكون من المعقول أن تجرى محاولة لتخفيف وطأة مثل هذه الأحداث العنيفة باتباع الأسس ببعض مبادىء واجراءات عامة . فعليك أن تتسم الباءات الأربع .

١ ـ التمثل العام .	Profile
٢ ـ التخطيط .	Planning
٣ ـ التنبـــؤ .	Prediction
٤ ـ الممارسة .	Practice

التمثل العام : لا تحاول أن تعلن ـ بلا ضرورة ـ عن ثرائك وثراء مؤسستك . فكما ذكر من قبل فى هذا الكتاب ، فان الاختطافات تجرى الآن فى بلاد مثل بيرو وكولومبيا ، والباعث الوحيد لمثل هذه العمليات هناك هو الانبهــار بالملبس والجواهر والحقائب الفاخرة . التزم الحذر عندما تجلس فى بار أحد الفنادق ، عندما تتحدث فى النواحى المالية ، أو نوع العمل الذى تقوم به المؤسسة . فاليوم لا تهتم سحالى المجتمعات الراقية باصطياد الاناث العاذبات . انهم يبحثون عن أهداف لغاية مختلفة تماما . عندما تسافر وتعيش خارج بلادك عليك بتمويه غايتك الأصلية باختراع حدوته بسيطة تقبل التصديق .

التخطيط : سنتحدث بافاضة عن الجوانب والمناسبات المختلفة فيما بعد . واذا تحدثنا بوجه عام قلنا أن عليك أن تعد خططا أساسية لمواجهة جميع الأحداث الطارئة . ولابد أن تتوافر بين يديك طرق الهروب ، وطريقة الاتصال بالقنصلية وخدمات الطوارىء ، حتى ترجع اليها فى أى مكان تلقى نفسك فيه .

التنبؤية : الروتين قاتل ! وبالاستطاعة ادخال تنويع على الحالات الروتينية اعتمادا على قدر بسيط من الخيال . ومما يثير الدهشة ان كثيرين من ضحايا الاختطاف تذكروا كيف ساعدتهم البصيرة والنظرة البعيدة الى ما سيأتى ، تذكر علامات التحذير التى باستطاعتها تغيير الموقف رأسا على عقب ، حذارى من الوقوع فى أية أحبولة ! نوع التوقيتات والطرق

التى تسلكها حتى لا تتحول الى نمط منتظم يمكن حل رموزه ، ويسهل تنبؤ الآخرين بتحركاتك . واذا كنت هدفا مرموقا ، فقد لا يضن خصومك على مرحلة استكشاف خطواتك بجهود تستمر شهورا !

المارسة : وهذا عنصر أساسى يهم من يستعين بمرؤوسين فى أداء وظيفته سواء بمقر العمل أو بالمنزل ، أو من يستعمل سائقا خاصا . وأغلب الموظفين يتجاوبون هم وما يطلب منهم عن طيب خاطر . والواقع أن هذا يساعد على زيادة تأمين حياتهم ، وكلما سنحت الفرصة لاتباع خطة طوارىء فلا تتردد واتبعها ، لأنها وسيلة ممتازة لتأمين حياتك .

وقبل أن نخوض فى التفاصيل هناك بعض نطاقات لها صفة العموم ، يتعين عدم اغفالها عند الحديث عن مقومات الأمن . ان المبادىء الحربية التى تدعو الى مراعاة العمق فى خطة الدفاع تصبح بالقدر نفسه بالنسبة للمسئول فى داره أو مقر عمله . فعليك بتقليد المتقوقعين والمنطوين على أنفسهم ، وفى الوقت نفسه تأكد من امكان هروبك من طرق آمنة لو أصبح ذلك ضروريا . لا تدع خطة دفاعك ترتكن الى خط دفاعى واحد ، يتألف من أجهزة تنبيه وموظفى الاستقبال والحراس والملابس المدرعة . فمن الملجأ الذى تلوذ به — والأفضل قبل أن تأوى اليه — يجب أن تتوافر لك القدرة على استدعاء الشرطة أو أية نجدة أخرى . فاذا أمكنك الاطمئنان الى هذه النواحى ، فاحرص على استعمال التليفون اللاسلكى ، وبخاصة عندما تكون راكبا السيارة .

وبغض النظر عن مدى زهوك بما لديك من احتياطات أمنية ، فلا داعى لأن تتحدث عنها مع آخرين . فليس هناك ما يدعو لمعرفتهم بها . والسر الذى يشترك فيه آخرون انتهت هويته كسر ، بعد أن اشترك فى كتمانه أكثر من واحد ! ، ومن الأفكار النيرة أن تسجل جميع أرقام تليفونات الطوارىء فى دفتر وتضعه فى مظروف فى مكان آمن بالمنزل ، أو تحمله معك . عليك أن تثبت فى هذا الدفتر رقم تليفون « وحدات نقل الدم » و « الخدمات الطبية » ... الخ : لجميع العاملين معك ولأفراد أسرتك ، أى جميع من يعنيك أمرهم . وبمجرد أن تصمم على الخطة التى تنوى اتباعها لتأمين شخصك ، حاول أن تختبرها لمعرفة مدى صلاحيتها من الناحية العملية ، فاذا أثبتت فاعليتها فيجب أن تثق بها ، ولن يحول ذلك دون اعادتك النظر فيها بصفة منتظمة ، وتتحقق من اثر ذلك ثلاثة أغراض : أولا — تذكرتك وتذكرة العاملين معك بالأسباب التى دعتك لوضع هذه الخطة . ثانيا — ستكتشف القطاعات التى بانت فيها آثار التراخى البشرى . ثالثا — ستسنح لك الفرصة لبحث الخطة على ضوء المتغيرات فى الأوضاع وازدياد درجة التهديد .

ويبحث الفصلان الواحد والعشرون والثاني والعشرون عن كثب مشكلات الأمن بالبيت والمكتب ، أما هنا فسنعنى بالنطاقات التى ثبت احصائيا أنها مناسبات ازداد فيها تعرض الهدف للاغتيال أو الخطف ، ومن الحقائق الثابته أن أعلى نسبة احتمال هذه الأحداث تكون عندما يكون « الهدف » راكبا فى سيارته ، أو فى لحظة ركوبه السيارة ، أو نزوله منها، وهذا أمر معقول للغاية ، فعندما يكون الهدف منهمكا فى اجراء أى فعل من الأفعال الروتينية ، فان مراقبة حركاته تكون أيسر ، وتسجيل هذه الحركات يكون أسهل ، مما ييسر اطلاق النار عليه ٠

وعادة فى مثل هذه اللحظات ، يتخذ الهدف أفضل أوضاعه ، ويسهل التنبؤ بحركاته التالية ، ويكون فى الحالة التى يؤثرها القناصة ٠ ومن اليسير نسبيا تعريض السائق الغافل للوقوع فى كمين ، مادام بالاستطاعة التنبؤ بالطريق الذى سيسلكه ٠ ولقد نجح ديجول فى حل هذه المشكلة بأن استعان بوحدة أمنية من الرجال قوامها بضع مئات ، وبما لا يقل عن « البديل » الوحيد ٠ وعلينا أن نذكر أنه نجا مما لا يقل عن ثلاثين محاولة اغتيال ٠ ومن المنطقى أن ينصب اهتمامك الأول على السيارة ، وسينزع بعض القراء الى التفكير فى تصفيح سيارتهم ، وهناك بعض آخر لن يخطر ذلك ببالهم قط ، وسواء أكانت السيارة من السيارات المصفحة أصلا ، أو أجريت لها عملية تصفيح ، فثمة عاملان جديران بالنظر ، فهناك أحداث تقع على الطريق ، وأخرى تقع بعيدا عن الطريق ٠ والنوع الأخير هو الأسهل فى تناوله ، ومن ثم سنبدأ الكلام به ٠

وأول قاعدة يجب أن تراعى هى أنه عندما لا تكون السيارة فى الخدمة ، فيجب أن تودع فى مكان مقفل وآمن كجراج خاص أو جراج المؤسسة ، أو الجراجات العامة ، وما أشبه ٠ وتوفر هذه الاجراءات بالطبع قدرا من الحماية ٠ وعليك أن تتأمل مقدار المرونة التى تتوافر الآن لمن يلقى القنبلة من أبناء العصر الحديث ، فعملية وضع قنبلة من النوع المغطس Limpet أسفل السيارة لا تستغرق أكثر من ثوان قليلة ، وتنفجر هذه القنابل بمجرد التذبذب أو الارتعاش ، وبعد أن يبتعد مفجر القنبلة عن مكان انفجارها ٠

وعلى المدى البعيد اذا تركت السيارة بعيدا عن ملاحظة مستخدمها لوقت طويل ، خصوصا اذا كان من المتوقع تحريكها فى موعد يمكن التنبؤ به — وهذه ناحية يمكن التيقن منها اعتمادا على فريق مراقبة — كما يحدث فى حالات رحلات رجال الأعمال المنتظمة التى تتطلب ترك السيارة فى المطار لعدة أيام ٠ فى هذه الحالة يكون الطريق ممهدا لقيام مفجر القنبلة — وكثيرا ما يتحقق له ذلك — باختبار مهارته ومدى تقدم

تقنيته • وتتركز النقطة الأساسية هنا فى القدرة على التنبؤ بطول فترة تجريج السيارة التى ستستغل فى التصويب على الهدف ، ولا يحتاج مهرة المفجرين الى ما هو أكثر من نصف ساعة أو يزيد لتركيب أشد القنابل تعقيدا ، وبالمقدور تركيب أشد القنابل فتكا فى دقائق معدودة ، وبالاستطاعة صنع أجهزة تبدو كأنها قطع من آلات مختلفة تخدع من يعاينها معاينة عابرة ، فاذا غمست فى الشحم أو علقت بها أتربة أو قاذورات الطريق ، فانها ستبدو وكأنها من المهملات الملقاة فى هذا المكان من سنوات•

وتضم السيارة بعض مكونات بالمقدور استعمالها لعملية بدء الانفجار ، فلديك مثلا الدائرة الكهربائية التى تشغل السيارة والتى تولد طاقة تصل الى الكثير من الأجزاء الهامة والحساسة ، وهناك الحرارة التى تصل الى مواضع معينة وبالامكان حساب مقدارها ، والأمر بالمثل فيما يتعلق بضغط الغاز الذى يمكن حسابه أيضا • وكذلك الحال فى المواضع الكثيرة التى تعمل بالضغط أو التذبذب ، وبالاستطاعة حشر المفجر فى المقاعد ودواسة الأرضية • وما أيسر التكهن بحركات السائق كطريقته فى اضاءة الأنوار أو تحريك مؤشرات العدادات ، أو الانعطاف بالسيارة بحدة • وهناك مطبات فى الطريق ستعترض طريقه • وجميع هذه الحالات والكثير غيرها يمكن الاستفادة منها فى بدء تفجير السيارة •

والسوق ملىء الآن بالأجهزة التى تيسر عملية الأمان • فهناك أجهزة صغيرة يمكن وضعها بالجيب ، اذا تم توصيلها بالأجهزة الرئيسية للسيارة ، فانها ستعطينا انذارات صوتية أو ضوئية للتنبيه الى حدوث خلل ما ، ولا يصح وصف هذه الأجهزة بالكفاية مائة فى المائة ، فلربما أعطتنا بعض التحذيرات الزائفة ، ولكنها على أية حال نافعة فى حالات الوقفات العابرة أمام المسارح أو المطاعم ، وبالاستطاعة الاستفادة بهذه الأجهزة ، وان كان هذا لا يحول دون قيام أى شخص مهدد فى نهاية اليوم باجراء فحص دقيق لجميع أجهزة سيارته •

والحاجة ماسة أيضا الى « تورش » من نوع جيد ، وليس هناك ما يدعو الى استخدام الأحجام الكبيرة منه ، والمرآة مفيدة ، واذا كنت تعرف سيارتك معرفة جيدة (وهذه المعرفة من الضرورات الأولية) ستكون أية مرآة (تستطيع حملها بمحفظتك) كتلك التى تحملها السيدات فى حقائبهن كافية • وأول خطوة بديهية للغاية • فعليك أن تفتش السيارة تفتيشا خارجيا • افحص العجلات وجميع الوصلات والمواسير والأفاريز والشكمان والبايات التى تمتص الاهتزازات ، تأكد من عدم وجود أى خلل ، ولا تتضايق اذا اتسخت يداك أو ملابسك • وعندما تفتح أول باب افتحه جيدا ، واطمئن الى انفتاحه من التكة الأولى ، وأنه ينفتح انفتاحا كاملا فى

التكة الثانية . دقق النظر وافحص برقة زائدة وباستعمال شيء شبيه بالبطاقة الورقية الصغيرة المواضع التى يخشى أن يكون هناك أى شيء عالق بها . ومسألة بدء الفحص من أى باب غير باب السائق بينة ولا تحتاج الى المزيد من الايضاح ، فعليك أن تتم هذه العمليات الخاصة بالفحص الأولى قبل أن تدخل السيارة ، فقم بالتفتيش على التبضـــادم وجيوب الأبواب وأدراج « التابلوه » والدواسات . افتح باقى الأبواب على نفس النحو ، وفتش من جديد ، ولا تركن الى أنك قد سبق أن عاينت السيارة ، ارفع غطاء الموتور وافحص الأجزاء الميكانيكية فحصا دقيقا ، ولاحظ عدم وجود أى جزء مختل ، واطمئن الى حسن تركيب الأسلاك الكهربائية . قم بنفس الاجراء عند فحصك للشـــنطة الخلفية ولا تنسى العجلة الاحتيـاطية وصندوق العدد .

واخيرا عليك أن تفحص بعناية مضاعفة مقعد السائق والتابلوه وحاجز الشمس وطفـايات السجائر . واحرص على اتباع نفس الخطوات عند فحصك لأى جزء من أجزاء السيارة التى لها غطاء أو باب ، فاذا عثرت على أى شيء غير عادى ، استعن بالخبراء . ولا تحاول فك أى جهاز بنفسك . أما اذا كلف أحد الأشخاص نفسه عناء تركيب أي جهاز لا يقدر على تركيبه غير الفنيون ، فان عليه أن يتوقع حدوث عطل من أثر اساءة التركيب . ومهمة تصفيح السيارات مهمة شديدة التعقيد حافلة بالتفاصيل . ويكفى هنا القول بضرورة الاعتماد فى هذا الشأن على الشركات ذات الشهرة الكبرى وحدها ، ونذكر مرة أخرى بما سبق أن قلناه عن مراعاة المبـدأ الحربى الخاص بمراعاة « العمق » فى خطط الدفاع ، اذ لا تزيد السيارة المصفحة بجميع مزاياها عن مجرد جانب صغير من الجوانب الكثيرة لعملية التأمين الشاملة .

وثمة تعديلات يمكن أن تجرى لسيارة المسئول ، وبالمقدور أن يتم ذلك بأقل تكلفة . وستساعد هذه التعديلات على تأمين شاغل السيارة الى حد كبير ، وللسرعة وخفة تحريك السيارة دور كبير فى تكتيكات التفادى ، ومن ثم فعليك أن تبدأ بتوفير هاتين الميزتين . استعمل الإطارات Run Flat (أى التى تتيح للسيارة الانطلاق حتى اذا فرغت من الهواء أو ثقبت) لأنها ضرورية . واحرص أيضا على تركيب خزان وقود محكم الغلق فى سيارتك ، وأن يكون مصنوعا من الصلب الجيد ، وأن يحتوى الخزان على شبكة تمنع حدوث الانفجار ، وعليك أن تثبت أحزمة فى جميع المقاعد للحيلولة دون اصطدام السائق أو باقى الركاب بأية أجزاء صلبة أو زجاجية عند اهتزاز السيارة لأى سبب ، وثبت جهازا لقفـل الأبواب كهربائيا من الداخل . وتساعد الكشافات القوية halogen spot lights

فى المقدمة والخلف بارتفاع السائق على انارة الطريق وتخليص السيارة من المعوقات التى تعترضها ليلا ، ولربما فرضت حالات معينة على قائد السيارة القيادة بطريقة الاقتحام ، ومن ثم فلابد من تركيب وصلات اضافية لتقوية حاجز الاصطدام التقليدى ، ويجب ضبط المرآة من الداخل واحكام قفل الشنطة الخلفية لتأمينها وكذلك غطاء خزان الوقود وقلنسوة الموتور ، وتحقق جميع هذه الاحتياطات وقاية حسنة ، وان وجب عدم الارتكان اليها وحدها ، وكثيرا ما تساعد أجهزة الانذار العالية الصوت على تنبيه الشرطة عندما تقتضى الحاجة استدعاءها لمساعدتك ، وحتى اذا أطلقت هذه الأجهزة « السرينات » بغير حاجة تستدعى ذلك ، فانها قد تثبط همة من يتعقبونك . وأخيرا فعليك أن تتذكر ألف باء الاتصالات ، فعليك أن تركب بسيارتك تليفونا لاسلكيا .

وقبل مناقشة الأحداث التى يتوقع أن تعترض طريقك ، وقد تتسبب فى تعرضك للأخطار ، من المهم أن تذكر ثلاثة أشياء . فقبل أن تعتبر سيارتك أحد الأركان المكملة لخطتك الأمنية ، فان عليك أن تطمئن الى صلاحية سيارتك للاستعمال فى بعض الأحوال كسلاح هجومى أو سلاح دفاعى ، ولو اتفقنا على هذا الرأى ، فانك ستؤيد القول بأن التدرب على استعمال هذا السلاح سيضعك أنت أو سائقك الخاص فى موقف أفضل . وتيسر الشركات التجارية المتخصصة هذه الصلاحيات . وأخيرا ، فان الصيانة ــ شأن كل سلاح ــ أمر حيوى ، ولكنها قد تكون مصدر خطر ، ومن ثم فيجب أن تختار « جراجك » بعناية . سجل اسما مختلفا عندما تطلب منك البيانات (وادفع المطلوب منك فورا) وانتزع الأجهزة التى ركبتها فى السيارة ، بغرض الأمان ، قبل ارسالها لأداء الخدمات لها . وعليك أن تفتشها بعناية فائقة عند رجوعها .

ولننتقل الآن الى الكلام عن أخطار القيادة الفعلية . ويجىء على رأس القائمة وجوب الحرص عند اختيار الطريق وخطة السير . ويجب أن تكون جميع الطرق التى تنوى السير فيها مجهزة بلافتات دالة على مواقع الخطر ، وأن تثبتها على الخريطة . وعليك أن تثبت عليها أيضا مواقع نقط الرادار التى تضعها شرطة المرور . حاول أن تختار الطرق التى تحتوى على أقل عدد من المطبات الطبيعية ، واذا أمكنك ، حاول التعرف على دارين أو ثلاثة دور من الدور الآمنة فى الطريق كنقاط الشرطة أو الدور الحكومية بحيث يكون بمقدورك الاحتماء بهـا اذا اتجهت اليها بسيارتك ، التى تسطع أنوارها الكشافة القوية ، وينبعث منها صوت آلة الانذار (السرينة) ، اذا اقتضت الضرورة ، اختر اسما كوديا لكل موقع ينتظر أن تمر عليه فى كل طريق ستسلكه ، وعرفه للبيت ومقر عملك ، عندما تكون متجها

بالسيارة من أحد المواقع الى الموقع الآخر ، ويجب أن يحسن الاستفادة من هذه الطريقة . فمثلا اذا تأخرت في الاتصال والابلاغ عن مكانك أو تأخرت في الوصول ، فعلى المسئولين أن يبادروا بتنفيذ خطة الطوارىء . ويجب الحفاظ على الخرائط بأكبر قدر من الحرص ، أى تعامل نفس معاملة الوثائق السرية .

عندما تقود سيارتك في منطقة مهددة تهديدا شديدا ، فان القاعدة الذهبية تقضى بأن تعتبر كل مستعمل آخر للطريق ارهابيا أو مجرما سينقض عليك في أية لحظة . وبعبارة أبسط ، فانك ستغالى في النهوض بالكثير من مهام القيام العادية للسيارة . ويجب الاعتماد بأكبر قدر على المرايا ، واذا كان السائق الخاص متوليا قيادة السيارة ، فعليك التأكد من أنك تحمل مرآتك الخاصة ، احرص على السير في الحارات السريعة للطريق أو الحارات الوسطى ، بقدر الاستطاعة ، وعليك أن تسير ضمن طابور من السيارات عندما تذهب للعمل مع زملائك . وأترك بين سيارتك والسيارات الأخرى مسافة كافية تسمح بالمناورة ، بصرف النظر عن السرعة . اذا فقدت الثقة في أى موقف يعترضك ، فعليك أن « تزوغ » منه بالدوران على شكل حرف U ، ولا بأس من تسوية مشكلات الحوادث وخرق القوانين مع الشرطة فيما بعد ، اذا ساورتك الشكوك في قيام آخرين بتعقبك ، فعليك أن تتوقع اما قيامهم بعملية استكشافية ، أو أنهم ينوون توجيه اصابة اليك . ويحتاج توجيه الاصابة عادة الى أربعة ركاب وسيارتين على ما يحتمل ، فلا تترك أى شىء للمصادفة ، بل حاول أن تتعرف على أكبر قدر من أوصاف من يتعقبونك . قم بالقليل من المناورة للتأكد من أن ما حدث كان أمرا بعيدا عن الخطورة ، وارسل رسالة باللاسلكى بالتفاصيل من باب الاحتياط ، فاذا بدا أن الخطر وشيك الوقوع فقم بالتحرك الى أحد المواضع الآمنة على نحو ما ذكرنا آنفا .

وقد أثبتت الاحصاءات أن أكثر المواقع صلاحية ككمين للاغتيال أو الاختطاف هو بيت الضحية ، وتساعد بعض معدات الأمان الزهيدة الثمن نوعا ، واتباع بعض القواعد البسيطة على تصعيب مهمة المجرمين ، وبخاصة اذا كانت السيارة مصفحة ، فالبوابات والأبواب المجهزة بأجهزة لاسلكية للتحكم عن طريق الاشعار عن بعد ضرورية . ومن المثير للسخرية هذه الأيام أن بعض الشخصيات الهامة تخرج من السيارة أو توقف سيارتها أمام باب منزلها ، وعندما تستعمل السيارة احرص على تشغيل الكشافات الأفقية والرأسية في مئات الأمتار الأخيرة التى تسبق وصولك الى المحط النهائى ، حتى تطمئن الى خلو الطريق من كل ما يثير الشبهات ، ويتعين فتح البوابات بأجهزة الاشعار عن بعد ، وأن يكون هذا الاجراء مقترنا بغمر

المنطقة بالأنوار ، ادخل الجراج بسيارتك ، وابق بها « والموتور » شغال ، الى أن تقفل البوابات والأبواب التى دخلت منها ، ولا داعى للتأكيد بعدم ضرورة خروجك من الجراج مرة أخرى لدخول البيت .

وهناك جملة مواقع كلاسيكية أخرى للكمائن ، كأن تقام الكمائن فى المواقع الطبيعية ، التى يراعى أن تكون فى المناطق غير الآهلة بالسكن ، والتى تطالبك نقطة المرور أو القطاعات بامهال سيارتك عندها أو توقيفها، وبالاستطاعة التقليل من هذا الخطر ، اذا أخترت الطريق بعناية ، أو أجريت عدة تحريفات منتظمة لخط السير ، على أن هناك بعض مواقف تحايلية شائعة يستطاع اجمالها باقتضاب ، فلولا هناك وسيلة سد السيارات المعادية للطريق ، وعادة توضع هذه السيارات فى منتصف الطريق لاعتراض السيارة المتجهة الى البوابات ، ولكن قبل أن تتخذ هذا الوضع فانها تقف على زاوية من الطريق .. وللتغلب على هذا الاعتراض ينصح بالقيام بحركة التفاف bootlegger تعتمد على فن استعمال فرملة اليد ، والضغط بثقل السيارة بعنف من ناحية لأخرى ، حتى يحدث تغيز سريع فى الاتجاه ، وبدلا من ذلك يصح الاكتفاء باجراء حركة عكسية يعقبها شق الطريق من الطرف الأخف ازدحاما بالسيارات ، مع استعمال الأنوار الكشافة وأجهزة التنبيه (السرينات) الى أن تصل الى ملاذ آمن .

ومن الأساليب التقليدية للكمائن اقامة عوائق تتخذ شكل اشغال طريق . واذا شعرت بأى ارتياب فى أى محاولة لتغيير المسار الطبيعى للطريق ، فابتعد عنه على الفور . ومن الأفضل أن تكون ملما بما يحدث عادة عند اصلاح الطريق وبماهية الاشارات الخاصة بتغيير الطرق المتبعة فى البلد الأجنبى ، وأدرس كيفية وضع هذه اللافتات والسدادات ، لأن أى وضع غير صحيح لهـا يجب أن يثير الشكوك . ومن الأخطار الأخرى التى قد تتعرض لها نقاط التفتيش الزائفة للشرطة أو القوات المسلحة ، وبخاصة لأن بعض البلدان تسمح لمن يشغلون هذه النقاط بارتداء الملابس المدنية ، ولكن على الرغم من أنك قد تؤمر بالتوقف ، فان عليك أن لا تغادر السيارة ، وأن تحرص على اغلاق السيارة ، وأن تبقى فى حالة ترقب واستعداد ، مع عدم ابطال تشغيل موتور السيارة . واذا شعرت بالارتياب والاشتباه ، سارع بابلاغ أقرب نقطة للشرطة . والحوادث غالبا ما تكون زائفة . وعليك أن تلتزم بمـا تدربت عليه ، فالزم سيارتك المقفلة ، ولا توقف دوران الموتور الى أن تشعر بالأمان وانتهاء التهديد ، وراعى عدم التوقف قط ، واسرع الى نقطة الشرطة أو الى السفارة .

ويعتمد الكثير من عمليات تعزيز « تصعيب الهدف » على تجميع المعلومات التفصيلية ، ويتعين على رئاسات المؤسسات تخصيص بعض

العاملين بها لمهمة الحصول على ملفات مستوفاة ومزودة بآخر المعلومات عن جميع البلدان التى يوفدون مسئوليهم اليها • وقد تتماثل هذه الملفات فى بساطتها هى والنشرات السياحية ، كأن تتضمن أسماء مناطق خاصة ، ينصح بعدم زيارتها ، وأسماء الفنادق التى تضم فى تشكيلها أجهزة للأمن ، وقصاصات مناسبة من الجرائد اليومية ، ولابد أن يكون على رأس هذه المعلومات تقدير مدى التهديد من المصادر الرسمية والشركات التجارية الشهيرة • وهذه بينات عظيمة الأهمية للمسئولين •

وهنا نقاط بسيطة قليلة تستحق التفات المسافر اليها • فأول احتياط يجب أن لا يغيب عن فطنتك ان كنت مسافرا الى بلد شديد الخطورة ، أن تكون زياراتك فى مواعيد غير منتظمة ، وأن تحرص أن لا تطول أكثر من المدة التى تحتاجها مهمتك • لا تعلن عن رحلتك ، بل والتزم الحرص فيما ينشر عن الرحلة داخل الشركة • لا تستعمل اسمك عند الحجز بالفندق ، ولا تكشف عنه الا فى آخر لحظة ممكنة ، يعنى عندما يكون جواز سفرك فى مكتب الاستقبال • وفى المناطق الشديدة الخطورة من المستصوب التعامل بالفنادق الشهيرة • ويجب أن لا يكون المظهر العام للفندق هو الذى اجتذبك اليه ، وتبعا لنفس المنطق لا تستعمل اسم شركتك عند التعامل وشركة الطيران أو عند الحجز فى الفنادق • واحرص دائما على أن يكون معك عند وصولك الى محطة الوصول ما يكفى من العملة المحلية لتنقلك من المطار الى الفندق ، لأن هذه الوسيلة أسلم من الاعلان عن وصولك ، والمطالبة بوجود مستقبلين لك ، لأن هـذه الطريقة كثيرا ما تؤدى الى اصدار بلاغات عامة والى تكليف غلمان من خدم الفندق بحمل لوحات كبيرة تعرف الكافة بوجودك ! • ولابد أن تقتصد فى الظهور ولا تسافر مرتديا ملابس ثمينة أو باهرة تخطف الأبصار ، ألبس ما يناسب عادات البلد الذى تقصده ، ومناخه ، حتى لو عنى ذلك شعورك بقلة الارتياح لساعات قليلة فى محطة المغادرة • أما الحقائب الثمينة والمحافظ الموشاة بالذهب فانها تكشف عن شخصك حتى اذا لم تقصد ذلك • وعليك أن تتوجه كالآخرين الى مخزن الحقائب • وعندما تغادر البلد تحقق من أن طائرتك ستغادر المطار فى موعدها ، ومن هنا يجب أن تعمل على الوصـول مبكرا الى المطار والذهـاب قدما الى مكتب المغـادرة • وبعبـارة أخرى انتظر فى المنطقة التى تقل فيها احتمالات الخطورة •

داخل كل عاصمة كبرى فى العالم ، ثمة مناطق ليس من الحكمة التجوال فيها وحيدا ، ورغم ما فى ذلك أحيانا من اغراء بفضل وجود جملة مغريات فعليك أن تقاوم هذا الميل • احرص دائما على أن يقوم أحد العاملين

بالفنـــدق باستدعـــاء تاكسي يكون منتظرا فى الخـــارج · أما التاكسى الذى يتصادف وجوده فانه سيكون من دلائل الحظ المغـرى ، تجنب وضع نقودك فى السترة الداخلية أو فى جيوب الصدر أو جيوب ظهر السروال · فالنشالون متخصصون فى انتشال هذه الجيوب · وما أبرعهم فى هذا المضمار ! عليك بحمل بطاقات Cash and credit فى الجيوب الداخلية للسروال ، لأن حمايتها هناك ستكون أفضل ، وتذكر أن الخوف على النقود ليس هو الشىء الذى يهمك ، ولكنه خشية التعرف عليك الذى قد يربط بينك وبين الشركة التى تعمل بها ، أو قد يكشف عن مدى ثرائك · وأنت شديد التعرض للخطر فى الفندق ، ومن ثم فحاول أن تكثر من النظر الى الأرض · والكافتريات أسرع فى تلبية الطلبات من المطاعم ، كما أن المجهولين يزورونها أكثر من زيارتهم للمطاعم · احرص على التعامل وصناديق الودائع الآمنة ، وحاول أن تدفع العاملين بالفندق الى ملاحظة المناسبات التى يسأل فيها آخرون عنك بالاسم · وعندما تستعمل التليفون للتحدث الى المؤسسة اصطنع الكلام بطريقة مستترة ، أو استعمل لغة مجازية عند سرد تفاصيل مهمتك ·

فما الذى يجرى لو حدث الأسوأ ، ما الذى ستفعله اذا اختطفت ؟ ولقد تحدثنا عن رد فعل المؤسسة ، وعملية التصرف فى الأزمات والتخطيط للطوارىء فى فصول سابقة ، ولكن ماذا عن خطف الفرد ؟ كما هو الحال فى معظم المواقف فلا يستبعد أن يكون الضحية قد ظن « بأن هذا لن يحدث قط » ، ومن هـذا القول نستخلص أول فعل سيحدث له اذا وقع فى الأسر ، انه الشعور بالكلال والصدمة الشديدة · لقد ولت الحرية وانقضى عهدها ، واذا كان المسئول قد أعد العدة لاحتمال تعرضه لمثل هذا الحادث ، فانه سيخصص فترات منتظمة من الوقت للتفكير فيما ستفعله المؤسسة ، ويحاول تقدير موقفها ، والاجراءات التى ستتخذها ، ويسـاعد ذلك على التخفيف من وطأة الصدمة الأولية · ولكنه لن ينجح فى ازالة آثارها ازالة تامة ، فالاختطاف جريمة وحشية ، لأنه يحمل فى طياته الاغتصاب الشعورى لكل من الضحية واتباعه على السواء لدرجة تفوق التصور بالمقارنة بالجرائم الأخرى ، فالموت الذى يترتب على جريمة سيكون أهون فى نظر الأتباع ، وبخاصة اذا جاء بغتة ·

وأول اعتبار يجب أن يراعى بعد اكتشاف استحالة تجنب الوقوع فى كمين هو أن يدرك المختطف أن محاولة الهروب ستكون شديدة الخطورة ، على ما يحتمل . اذ سيكون المختطفون فى حالة تحفز للعدوان أو Psyched up. ولن يكونوا جديرين باسم الارهابيين اذا لم يكونوا على استعداد للقتل · وسيعامل الضحية فى البداية بخشونة . أثناء الاسراع بالخروج ، ولكن

عليه أن لا يغضب أو يشعر شعورا عدوانيا ، فالجزاء الوحيد لذلك هو الانهيال عليه بالضرب · وما أغناك عن ذلك يا عزيزى المختطف فى هذه المرحلة ، والأفضل هو أن تخامرك الظنون بأنه « ستدفع الفدية ويكتب لك البقاء » · ومن ثم فان على المختطف أن يقبل هذا التصور ، وأن يدرك أن هذا الأمر سيستغرق زمنا طويلا ، فلا تحاول اذا اختطفت أن تعقد صفقة لنفسك فى هذه النقطة ، أو غيرها من النقاط ، لأن النتيجة الوحيدة التى ستترتب على ذلك هى احداث بلبلة عند « فريق الأزمة » وعند المفاوض الذى سيحاول السعى لاطلاق سراحك ·

تصور بذهنك كل ما يمكن أن يجرى ويساعد فى أية عملية قانونية تحدث فيما بعد ، ولكن عليك أن تفعل ذلك بطريقة مستترة · واذا شعر المجرمون أنك ستكون قادرا على التعرف عليهم فيما بعد ، فان فرص استمرارك على قيد الحياة ستكون واهية ، ومع هذا فان هذا التركيز سيساعد على ازالة بعض التأثير المخدر للصدمة الذى ستشعر به · وعندما تمر بمثل هذا التأثير فان قواك العقلية ستكون فى أحط درجاتها ، وسرعان ما ستكتشف ذلك أية عصابة ذات خبرة ، ان هذا هو الوقت الذى يجب أن تتوقع فيه التهديدات والمعاملة الخشنة ، عندما تبدأ العصابة استجوابها لك ، ومحاولتها التعرف على مقدار ما لديك من ثروة ، وما لدى شركتك ، لمساعدتهم على تقدير المبلغ المطلوب كفدية · ولاحظ أنهم متنبهون لأية ملاحظة ستبديها لأنها قد تكون ذات عون لهم فى مفاوضتهم ·

عليك أن تبدأ عملية « تقييم معاييرك » ، وأن تضع حدا لا تتخطاه ، واذا قررت ذلك ، تمسك بسلاحك · فأنت سلعة ثمينة للعصابة ما دمت حيا ترزق ، ولن تغامر هذه العصابة بزيادة تعذيبك البدنى ، لأنها لا ترغب فى استدعاء أطباء ، ويجب أن ينصب تركيزك على الجانب « العقلانى » من الناحية العملية ، فلعل هذه الطريقة تساعد على اكتسابك لاحترام العصابة ، بيد أن ما هو أكثر وأعظم قيمة ، هو أن هذا التصرف العقلانى سيكون وسيلة تساعدك على التمسك باحترامك لذاتك · والى جانب هذه الحاجة الى احترام الذات ، فان عليك الاصرار بأكبر قدر تستطيعه من الحماسة على الحصول على الوسائل التى تساعدك على الاحتفاظ بنظافة جسمك وملبسك ، وأن تقاوم بأى ثمن اغراء الالتجاء الى العنف الجسمانى أو العنف فى استخدام الألفاظ ، وفى الحق فان عليك أن تتبع أسلوبا مغايرا لذلك ، أى تحتفظ بحلو شمائلك وأدبك وكرامتك ! ما الذى يدفعنى الى الموت فى سبيل مبدأ خيالى ، اذا كان الشهود الوحيدون لهذه المنية حفنة من المجرمين والسفاحين ؟

وقد يختلف مأواك من جحر الى غرفة مقبولة ، فاقبل ذلك ، ولكن تذكر الحاجة « لروتين » النظافة ، وحاول أن تضع لنفسك نظاما يوميا للاغتسال والتمارين الرياضية والتفكير المركز ، ولا تجادل فى مسألة جودة الطعام ، مهما كان قميئا فى مذاقه . فأنت بحاجة اليه ، ولربما استمر بقاؤك طويلا بدونه ، تشبه بالابل ، واختزنه ، فاذا اعتمدت على شيء من الانضباط وساعدك بعض الحظ فقد تخرج من هذه المحنة سليما معافى ، وأفضل ذهنا وبدنا ، لا تكف عن تأمل المستقبل . وكرس ما لديك من طاقة ذهنية في وضع مخطط على أساس منتظم . احتفظ فى ذاكرتك بيومياتك ، مع عدم تناسى الساعات والتواريخ ، وحاول كل يوم أن تتذاكر ما حدث مما نبشته على أرض مأواك . فاذا لم يناسب ذلك ، فحاول اذن أن تلعب الشطرنج أو تمارس أية هواية أخرى تساعدك على التركيز . وبغض النظر عما ستفعل فلا تركن الى الخمول . ومن أفضل التمارين التى تنصح بها أن تستعرض ما ينتظر أن يفعله « فريق ادارة الأزمة » فى المؤسسة . وسيساعد ذلك على ادراك سر بطء هذه العملية ، وما تحفل به من وساوس . واذا كانت لديك أية مشكلة طبية فلا تتردد اذن عن تنبيه العصابة اليها . ولربما احتجت حقا الى التطبيب فى بعض المراحل . واذا ثبت أن لديك مرضا حقا ، فقد يساعد ذلك على التسريع باطلاق سراحك .

قصارى القول ، حافظ على كرامتك فوق كل شيء آخر ، واقبل احتمال آلام الأسر الطويل ، وحافظ على صحتك العقلية والبدنية . وهكذا يتضح أن عملية « تصحيب الهدف » بمثابة عملية متبصرة تجمع بين الارتكان على المساعدات التقنية وحدة الدراية الشخصية والفهم الذى يمتد من عملية التعلم الى ما هو أبعد من ذلك ، لو حدثت أية حادثة ، وبالمقدور طرح المساعدات التقنية جانبا . أما الدراية الشخصية وارادة البقاء ، فلا غنى عنهما على الاطلاق .

***

٢١ - حماية المسئولين

تناولنا فى الفصل العشرين أكثر جوانب حماية المسئولين . غير أننا نطرق هنا نواح من تخطيط المؤسسة تتعلق بحالة تعرض المسئول للخطر ، وأثرها على تكوين مختلف مراحل الأمن ، وأثرها على استخدام الحرس الشخصى ، وبعض مظاهر الاتصال بين الشرطة وقوات الأمن ، وبحث سياسة الاختطاف والفدية كوسيلة وقائية .

عندما تختار رئاسة المؤسسة بعض مسئولين ، وتكلفهم بالتجوال فى شتى الأنحاء ، وتكون قد وضعتهم واقع الأمر فى « وش المدفع » ، فان واجبها يحتم عليها اتخاذ الاجراءات التى تساعد على الحفاظ على الأمن ، وعلى المسئول أيضا أن يدرك ما الذى سيتعرض له ، وكيف ستؤدى الرئاسة دورها ، تمشيا مع مسئوليتها فى حالة اختطاف رجالها .

ولن يذكر هنا غير النزر اليسير عن المساعدات التقنية للأمن ، وبصورة تعميمية بقدر الامكان . ومرد ذلك هو أن التدريب والتعليم والتوعية المستمرة من العناصر التى تحتل الجانب الأكبر فى أى نظام أمنى . وبالاضافة الى ذلك ، فان وفرة المعدات الموجودة فى السوق اليوم قد تحتاج لعرضها الى ما يكاد يشبه العمل الانسكلوبيدى .

ولقد أوضح الفصل الثامن عشر الأخطار التى تتعرض لها الادارة تفصيلا ، غير أننا هنا سنتجه بأنظارنا الى تلك البطاقات ذات الأهمية المباشرة للمسئول فى عمله . وفى أغلب الأحيان ، فان المسئولين يمثلون عنصرا عظيم القيمة من رأس مال المؤسسة . غير أن أمنهم كثيرا ما ينظر اليه كمسألة مسلم بها بمجرد دخولهم من الباب الأمامى فى الصباح ، ورفعهم لقبعاتهم أو انحنائهم برؤوسهم لتابعهم المختص بالأمن ، ان هذا

المناخ بالذات هو الذى أدى الى ارتفاع معدل الجرائم • وهذا هو ما حدث فى الولايات المتحدة حيث كثيرا ما تسمع عبارة « اتفضل قدامى ! » عندما يباغت المسئول فى مكتبه بالمجرم ، الذى يصحبه بكل بساطة وهو يهدده بمسدس الى السيارة التى تنتظره • وهناك وسائل سهلة عديدة تساعد على تخفيف هذا الخطر بدرجة كبيرة • وقد ذكر فى الفصل العشرين المبدأ الحربى « بمراعاة العمق فى الدفاع » • وتقع رئاسات المؤسسات عادة فى مواقع حسنة تساعدها على تطبيق هذه القاعدة •

وبغض النظر عن طراز البناء ، فان الحد الخارجى للبناء الذى تقيم فيه المؤسسة يجب أن ينظر اليه على أنه المحيط الخارجى للدفـاع ، ويتعين البدء بتحديد مدخل واحد أو مدخلين ، ان أمكن ، لدخول الراجلين • وبالمقدور اجراء تفتيش زوار المبنى وحقائبهم تفتيشا دقيقا فى هـذا المدخل ، ولابد من تفتيش الأوراق الرسمية ، فقد يساعد ذلك على التعرف على من يتوقع قيامهم بالاعتداء • واذا أحسن اختيار المسئولين عن الأمن المعينين فى هذه البوابة سيكون لهم أول أثر فى احباط نوايا المعتدين الاجرامية • وبالاسـتطاعة وضـع أجهزة اكتشاف المعـادن واستشمـام المفرقعات فى هذه المرحلة فى مكان آمن ، على أن تعمل بالاشعار عن بعد ، حتى يتسنى القبض على المشتبه فيهم قبل اقـدامهم على ارتكاب فعلتهم النكراء ، وينصح باستخدام ترابيس تعمل من ناحية واحدة لقفل الأبواب من النوع الذى نسميه « أكرة الحمام » •

وتخصص لدخول عربات التجار بوابة واحدة ، مزودة بالحاجـز المناسب وقوة من الجنود للتدخل اذا دعا الأمر ، ويجب التأكد من شخصية جميع ركاب هذه العربات • ومن الحيل العتيقة التحايل للدخول عن طريق سيارة احدى الشخصيات الهامة ، والتى يكتفى عادة بالتلويح لها باليد دون تفتيش ، ولكن هل بمقدور الحارس التيقن من عدم وجود رشاش مختبىء بين ضلوع واحد من هؤلاء الركاب ، وعلى أهبة الاستعداد للانطلاق ؟ وفى هذه النقطة ، يجرى تفتيش جميع التجار وحاملى الرسائل والطرود ، ويعطون تصاريح وقتية للمرور ترد بعد انتهاء مهمتهم ، ثم يتوجهون فى حراسة أحد المسئولين الى المكان المحدد للموعد • ويطبق هذا النظام على الزوار الراجلين • وفى حالة اتباع أنظمة مختلفة لفرز مختلف المستويات ، يستطاع استخدام بطاقة مغناطيسية يمكن تثبيتها فى الصدر لدخول المناطق الحساسة ، ويتعين اتباع نظام صارم يعمل به فى حالة فقدان أية بطاقة من هذه البطاقات • واذا كانت الرئاسات مخططة بحيث ينجمع المسـئولون عن الادارة فى مبنى واحـد ، وكأنهم مبرشنون فى كبسـولة واحدة ، فلابد من الانتباه فى مثل هذه الحالات الى توجيه أعظم قـدر من

الانتباه الى ما تحدثه المفجرات لو أصابت هذا العدد الهائل من الأهداف المحصورة فى بقعة صغيرة !

وعندما تكون الرئاسات التنفيذية صغيرة فمن المقدور ضمها فى مكتب واحد ، وبذلك يحدث انكماش فى دفاعات العمق ، وكأننا ضمنا جميع اختصاصات الرئاسة فى كبسولة واحدة . والدوائر التلفزيونية المغلقة C.C.T.V. المزودة بازرار وأبواب تعمل عن طريق الاشعار عن بعد ، فيها الكفاية كخط دفاعى أول ، ولكن يتعين أن يكون فى مساندتها جهاز انذار يساعد على استدعاء أية نجدة قريبة . ولو ساعدت الظروف حاول تدبير طريق للهروب ينتهى الى باب آخر . وعملية تجريح السيارة من المشكلات المقلقة ، وربما كان بالاستطاعة التطفل على أية شركة من الشركات القريبة التى لديها أماكن لايواء السيارات مؤمنة ، أو ايواؤها فى مكان به حارس يسهر على حراسة السيارة . غير أن الأفضل هو الاعتماد على مأوى للسيارة يمكن أن يغلق .

والوقاية ضد الاعتداءات التى توجه من مكان بعيد باستعمال الرشاشات والقنابل اليدوية ونيران البنادق والمقذوفات المضادة للمدرعات من المسائل التى تلقى نفورا عاما ، ولكنها ضرورية من أسف فى بعض البلدان . حاول من باب الوقاية الأولية ، أن تكون مكاتب المسئولين فى مكان يرتفع بمقدار ثلاثة طوابق عن الأرض ، حتى تنحرف المقذوفات عن أغراضها . ولربما كان التفكير فى استعمال زجاج مصفح للنوافذ أمرا مكلفا . بيد أنه بالامكان لصق قصاصات من الأشرطة الورقية أو البلاستيكية على زجاج النوافذ . وهى وسيلة أرخص وتحقق فائدتين : أنها تحول دون انفجار الشظايا (كشظايا الزجاج التى تتناثر فى جميع الاتجاهات بسرعة فائقة) بالاضافة الى أنها تضعف الرؤيا من الخارج بقدر كبير ، فتؤدى الى ارباك القناصة . وللشباك السلكية التى تثبت فى النوافذ فائدتها قطعا . ولابد من عدم تشجيع الآخرين على وضع تحف أو أوانى قابلة للكسر كالخزف مثلا حتى لا تتهشم بمجرد حدوث انفجار خارجى . ومن ثم تجنب الصور الكبيرة الموضوعة في أطر زجاجية والفترينات ... الخ . وقد تنجم مشكلات عديدة من جراء قيام الجماهير بتجريح سياراتها بجوار المكتب ، اذا كان قريبا من الطريق . ولا يخفى ما يخلث من اضطراب اذا انفجرت سيارة مفخخة . والحل هو تعيين حارسين يقظين يداومان المراقبة من حين لآخر . ويجب أن لا يتوانا عن الاتصال بالشرطة أو قوات الأمن لطلب العون فى حالة اكتشاف سيارة مشبوهة .

ومن بين التهديدات المتزايدة ، والتى الى جانب ما تحمله من تهديد قد تؤدى إلى الاجهاد وشغل الوقت اذا لم تتخذ اجراءات وقائية مناسبة ،

بالرسائل المفخخة التى تصل عن طريق البريد العادى ، والحق ان قدرا كبيرا من الدمار قد لحق ببعض الشركات المعروفة جيدا من تأثير تهديد هذه التكتيكات البغيضة • انها بغيضة لصعوبة اكتشافها ، والتفرقة بينها وبين الرسائل « الحميدة » ، ولأنها تحدث اصابات فظيعة للعين والأمعاء ، وليس هناك فى الواقع بديل لأجهزة الأشعة السينية أو أحد الأجهزة المختلفة العديدة لتفتيش البريد • واذا وضعت فى هذه الأجهزة واستخدمت استخداما صحيحا ، يطبع ختم دال على اتضاح سلامة هذه الطرود أو الرسائل المشبوهة ، واذا افتقر المسئول أو الشركة الى مثل هذه التسهيلات ، فمن الواجب الاعتماد على الوعى والاستخبارات للتنبيه الى هذا الخطر • فأولا يجب مقاومة اغراء الفضول الآدمى الذى يدفع بعضنا الى تقليب الرسائل والطرود • وقد تحتوى بعض الطرود على كتابات كثيرة تثير الفضول ، كما هو الحال فى البلاستيكات plastiques ، التى تناسب تماما الاستعمال فى مثل هذه الوسائل ، لأنها تسيل بعد فترة من الزمن وتترك آثارا على شكل بقع زيتية وأحيانا مخلفات فى شكل مسحوق عندما تتبلور ، واذا فاحت منها رائحة المارزيبان marzipun كان هذا دليلا على احتوائها على بعض المفجرات الشائعة للغاية • فالزم الحذر ! أما اذا كانت القنبلة قد أحسن صنعها ، ووضعت فيها المفرقعات بمعرفة أحد المحترفين فانها لن تحتوى آنئذ على أكثر من علامات قليلة تمكن من اكتشافها بالحواس البشرية !

ابتعد عن اغراء شق أو فتح أطراف المظروف أو الطرد للاطلاع على ما بداخله • فربما صممت القنبلة بحيث تنفجر اذا فعلت ذلك • فكثيرا ما يكون الثقب الصغير الذى أحدثته فى المظروف كأنه رفع لمسمار الأمان ، واذا شاءت الظروف أن لا ينفجر الطرد بعد امساكك به فسارع بنقله الى مكان آمن ، انتظارا لقدم الخبراء • ولا تضع الطرد فى الماء لأى سبب (كما حدث فى كثير من الأحيان) فيقينا سيترتب على ذلك تشغيل أية دائرة تعمل كهربائيا ، ولربما ساعد على زيادة توعيتك اذا عرفت الكثير من الأشياء • فلقد حدثت تفجيرات قنابل عديدة حديثا باتباع هذه الوسيلة ، اثر تهديدات خاصة ، وعن طريق البريد المسلم باليد وغير المتوقع ، والمظاريف السميكة سمكا غير عادى (زيادة عن ستة مليمترات) والتى لم يكن أحد ينتظر وصولها ، ولم يكن عليها عنوان فى ظهر المظروف يدل على شخصية مرسلها ، وعليك بكل بساطة أن لا تستبعد مثل هذه الأشياء بحكم طبيعة عملك وموقعك •

ويبدأ الأمان من المكتب ، سواء أكان بالبيت أو فى محل العمل الرسمى • وفى خلاصة تعليمات الأمان قد لا يبدو التليفون من بين مصادر

التهديد ، غير أن عدد الأخطاء التى حدثت عن طريق هذه الوسيلة الاتصالية لا يكاد يصدقها عقل ، ويساعد اتباع القواعد البسيطة على تجنب الكثير من الهفوات • وعليك البدء بلصق ورقة على التليفون لتذكرتك وتذكرة العاملين معك ، بحيث تراها بطريقة تلقائية عندما تشرع فى اجراء أية مكالمة أو ترد على مكالمة أخرى • احرص على التحكم فى محادثاتك التليفونية، وبخاصة المكالمات التى تستقبلها • وحذارى من التطوع بذكر معلومات عن المواقع والتحركات والشخصيات ، وعندما توجه مثل هذه الأسئلة الى العاملين معك ، لابد أن تحال اليك ، ومن بين حيل الارهابيين عادة الأسئلة التوكيدية • على سبيل المثال : « لقد أعطانى المكتب أو المنزل هذا الرقم ، وقال ان فلانا سيكون هناك • هل هذا صحيح ؟ » • ومن الضرورى ، تدريب العاملين على الحرص عند الرد على مثل هذه الأسئلة وهذه الحيل باجابات مهذبة خالية من المعلومات • واذا سئلت سؤالا فقم بدورك بتوجيه سؤال مضاد ، حتى تتحقق من اسم من يطلبك ورقم تليفونه ، فمثلا :

ـ هالو ـ هل هذا رقم جون دو ؟

ـ صباح الخير يا سيدى ، هل أعرف من يحدثنى ؟

فلا داعى لاعطاء أية معلومات ، والردود المهذبة تشعر طالب المكالمة بالاحباط مما يدفعه الى التظاهر بالغيظ والضيق • وبمقدور العاملين الالتجاء الى العذر « المصرى الشهير » بأنهم مجرد موظفين (عبيد المأمور) • ووفقا لنفس الامارة ، لا تذكر اسمك أو اسم الشركة عند الرد على أية مكالمة تليفونية ، واكتفى بذكر رقم تليفونك ، وتجنب مثل هذا الرد : « •• التليفون عاطل مؤقتا •• » واكتفى بسؤال طالب المكالمة عن تفاصيل ما يريد الابلاغ عنه •

و « والحرس الخاص » bodyguard من بين المهام التى يساء فهمها كثيرا فى ميدان الأمن ، وهذا الميدان حافل بأصحاب الأجسام العريضة والعضلات من أمثال « ماشيسىت » ، الذين ربما أثبتوا براعتهم فى معارك المقاهى والحوارى ، ولكنهم عديمو الفائدة فى عالم الحياة العملية • ويضم فن الحراسة الخاصة معرفة بالفنون القتالية ، ولكنها تجىء كاجراء أخير • أما فى البداية والصدارة فيتعين التصدى للاعتداء بطريقة دبلوماسية وعقلانية ، قبل أن يتحول الموقف الى حالة تتطلب المهارات القتالية ، التى تعد ثانوية الأهمية ، ولا قيمة للحرس الشخصى اذا عمل بمفرده فى حالات الاعتداءات المخططة على خير وجه ، ومن ثم تجىء ضرورة وجود الأفرقة التى تعتمد على اتصالات جيدة ، والمستندة الى مخططات محكمة • وقد يحتمل أن يكون تحقيق هذه الغاية بعيد المنال حاليا من قبل المسئول من رجال

الأعمال ، ولربما ينصح فى كثير من الأحيان بالاكتفاء باستئجار حرس مفرد لسهولة تدبير ذلك · ان هذه مسألة جوهرية ، وعندما تنوى التعامل مع شركة خاصة أو وكالة خاصة يجب أن تكون قادرا على اعطاء صورة كاملة لما تريد والعمل الذى تقوم به ، وأسلوب حياتك الشخصى ، حتى يستطاع تقـــديم قائمة صغيرة تختار من بينها الأنسب · وكلما تيسر وسمح الوقت ، عليك أن تصر على الاختيار بنفســك · وستكون أنت والحارس قريبين للغاية خلال ساعات العمل ، ومن الضرورى أن تشعر باستهواء نحوه من البداية ·

ويتعين أن يكون حارسك الشخصى شخصا بارعا للغاية ، قادرا على تعريفك بطريقة ذكية ووافية بمسألة أمنك ، ولابد أن يكون على دراية كاملة بالبلد الذى تســـافر اليه ، وأن يكون قادرا على تحذيرك مسبقا بالأخطار المحتملة فى المطارات الرئيسية ، وأن تتوافر له فكرة أساسية عن التهديدات التى تواجهها · ويجب أن يكون ملما بالمهارات القتالية ، سواء استعمل السلاح أو لم يستعمله ، بالاضـــافة الى معرفة حسنة بالاسعافات الأولية ، ويجب أن يلم أفضل المام بتفتيش الأبنية والسيارات وغرف الفنـادق ، الى جانب اجادة قيـادة السيارة فى حالات الدفاع والهجوم · عليك أن تتحقق من جواز سفره ورخصة القيادة الدولية ، وشهادات التحصين ضد الأمراض التى تطلبها الدولة التى فى نيتك السفر اليها بصحبته ، واذا كنت تنوى مصاحبته لك فى واجبـات اجتماعية أو مصلحية هامة ، فلا تنسى أن تخطره بذلك ، وأن تتأكد أن لديه التسهيلات للحصول على الملابس الضرورية (كسترة السهرة أو بدلة غامقة – على سبيل المثال) – تحقق من درايته بمتطلبات الاتيكيت ، السائدة فى البلد الذى ستسافر اليه ، فاذا رضيت عن لياقته للاضطلاع بالمهمة ، فاقبله كخبير ، واعمل بنصيحته · بطبيعة الحال ، ليس بمقدورك أن تضع على كاهله المسئولية كاملة ، فاشترك معه فى هذه المسئولية ، وناقشه بصراحة فى المشكلات التى تعترضك ، ولا تحاول أن تكشفه أو تفضحه · فان له خبرة فى ميـدانه مماثلة لخبرتك فى ميدانك · وبوجه عام ، بمقدور الحراس الشخصيين الممتازين أن يحسنوا اختيار أصحاب العمل بسهولة تفوق قدرة المسئولين على اختيار حراسهم ·

تجنب اعتبار الحرس مجرد رمز مظهرى يدل على مكانتك · ان جانبا من مقدرته على حمايتك يعتمد على عدم ظهوره بهذا المظهر ، ومن ثم فان عليك أن تقدمه للآخرين كصديق أو زميل ، وبوسع أى شخص له استعداد طيب بعد تلقينه القليل أن يثبت وجوده فى أى حديث دائر دون أن يكشف مهمته الحقيقية · واذا رأيتـه يقرقع أمرا اليـك كأن يقول لك مثلا :

« انزل ! » فنفذ مطلبه ، فلقد قبل هذا الرجل مسئولية حماية جسمك بتعرض جسمه دون أن يصيح : « الذئب ! الذئب ! » ، واذا توطدت الصداقة بينكما ، فلا تلمح له بأنك تود أن تراه فى المستقبل • واذا كنت من أصحاب الوظائف المرموقة ، فانه سيبذل قصارى جهده لكى يستمر دائما فى خدمتك •

وضباط الاتصال الذين يتعاونون والشرطة وقوات الأمن من الجوانب الخداعة فى بعض البلدان ، وعندما تتعامل مع مجتمع مستقر ومنتظم — ولكنك تعرف أنك معرض لخطر شخصى — فقد جرت العادة على أن أفضل ما يمكن أن يجرى هو اجراء الاتصالات بطريقة مباشرة بأقرب نقطة شرطة . فاعمل على أن توضح لها المصدر الذى يهددك ، وأذكر على وجه التقريب ما الذى يتوقع أن تقوم به • ولن تقدم لك الشرطة الحماية المطلوبة ، ولكنك ستكون قد قطعت شوطا بعيدا تجاه الاطمئنان الى أنه فى حالة حدوث شىء جديد يشغل بالك ، فانك ستلقى اذانا صاغية على الفور ، واذا تكبدت هذه المشقة فى بداية المشوار ، فان عليك أن تكررها فى نهاية المطاف خصوصا اذا كنت ستعاود زيارة هذا البلد ، أو سيقوم أحد زملائك بذلك ، ويقابل أى فعل خير تقوم به الشرطة بالامتنان • ولكن عليك أن تتأكد أن هذا العمل قد قدم لجهة نظامية أصيلة ، ولم ينظر اليه من قبيل الخطأ على أنه رشوة ! ، وعند زيارة البلدان الأقل استقرارا ، فانك ستنصح — كما يحتمل — بالاعتماد على نفسك فى كل شىء • وبدلا من أن تركن الى ذلك قم بتنبيه سفارتك أو موظفى القنصلية بقدومك ، وأخطرهم بالتهديد الذى تتعرض له ، ثم ركز على عملية تصعيب اختيار شخصك كهدف •

وكما ذكر مرارا، فان مساعدات الأمن ضرورية فى حالات «الاختطاف والفدية» Kidnapping & Ransom (*) • وينصح كثيرون بذلك ، وان كان هذا الاجراء موضع ازدراء آخرين ، وربما كان الأفضل هو وضع النقاط على الحروف ، واشراك المؤسسة ومسئوليها المتجولين فى هذه العملية • وأمريكا الوسطى وأمريكا اللاتينية ، وأيضا ايطاليا وكورسيكا وسردينيا من البلدان التى تقع ضمن المناطق الخطرة ، حيث يعد الاختطاف السياسى والاجرامى على السواء صناعة رابحة • والمبالغ التى تدفع كفدية فى تصاعد فى هذه البلدان • ولا تنسى المبالغ التى يدفعها التعساء بحماقة عندما يتصرفون بغير استماع لنصائح أصحاب الخبرة ، نعم أنها باهظة بدا فيه الكفاية بحيث لا يستبعد أن تؤثر تأثيرا سيئا على رأس مال المؤسسة •

(*) K & R

وقد تؤدى الى افلاس الأعمال الصغيرة ، وخراب بيوت بعض العائلات والأفراد • ويدفعنا امكان التعرض لخسارة مالية الى القبول بلا قيد أو شرط للتأمين ضد الاصابة والحرق واللصوصية ، ••• الخ ، فما الذى يحول دون قيامنا بالتأمين ضد خطر معروف آخر ، ربما كان فاتحة مصاعب مالية أشد ؟ فأين هو الشيء الذى يتنافى والأخلاق فى هذا التصرف ؟ ان أصل الاختلاف يرجع الى أن التأمين فى حالة « الاختطاف والفدية » ، لن يحدث أى أثر ، لو احتفظ به كسر ، وقد أدى هذا الشرط الخاص بالحفاظ على السرية الى كتمان أمره ، وانتهى به الأمر الى وصفه باللاشرعية فى بعض البلدان خوفا من تدخل قوانين الضرائب ، وترتب على هذه اللاشرعية أن أصبح أمر هذه الناحية بين أيدى سماسرة قلائل.، ومن هنا تحولت هذه الناحية الى ناحية متخصصة وحساسة للغاية من عالم التأمينات •

وكثيرا ماتواجه هذه الحقائق العميل المحتمل . اذ تتخذ العروض الباهظة التكاليف التى تقدم له شعار مبدأ اقبلها أو اتركها take it or leave it . ولا وجود لسمسار يقبل التأمينات الكبيرة ضد الحريق أو الشحنات الكبيرة بهذه الطريقة • وليس هناك ما يدعو الى النظر الى K & R على أنها استثناء من القاعدة • فما الذى يفعله اذن العميل المنتمى الى مؤسسة اذا أراد التأمين ضد التهديد بالاختطاف ؟ ولجملة سنوات ، كانت شركة التأمين لويد فى لندن تقبل التعرض لهذا الخطر • وكان هذا يتحقق عادة عن طريق صك تأمينى تعويضى يدفع بموجبه العميل المبلغ الذى سيطلب كفدية على أقساط من حسابه الخاص • على أن يسترد ما دفع بعد قيام شركة لويد بالتقدير بعد فحص ما جرى فى حادث الاختطاف كاحتياط ضد احتمال الغش (أو التواطؤ ، كما حدث بالفعل !) • وفى هذه الحالة يتعامل العميل هو وأحد السماسرة ، وليس مع أحد الموقعين على صك التأمين ، الذى من حقه الحصول على الأتعاب فى حالات الاختطاف بوصفه مستشارا متخصصا قد زود العميل بالنصائح فى جوانب الاجراءات الوقائية التى يتعين أن تتخذ ضد التهديد بالاختطاف لو شاء حظه المنكود أن يقع ضحية • وترمى العملية الاستشارية فى تأمينات K & R فى المقام الأول الى الاقلال من احتمال الخسارة بتدريب العملاء وتعليمهم • فليس بمقدور أى مبلغ من المال يدفع للضحية أن يكون تعويضا بالمعنى الصحيح للكلمة ، اذا حلت به هذه المحنة ، وبذلك تكون هناك مصلحة مشتركة بين العميل والموقع على صك التأمين •

ويظهر الموقف الملبد بالغيوم عندما يحين الوقت لاجراء العملية التى تسلم فيها الفدية الى الارهابيين • وتختص هذه العملية أساسا بتحديد

ما الذى يتعين دفعه لاطلاق سراح الضحية ، وكثيرا ما يجرى السؤال الآتى : « هل هناك تعارض فى المصلحة بين وكلاء الموقع على صك التأمين والضحية المؤمن عليه ؟ » ، ومبلغ التأمين الذى يحقق الاجابة بالايجاب على هذا السؤال لابد أن يكون مرتفعا فى قائمة حساب العميل المحتمل ، وثانى الاعتبارات هو مقدار معرفة السمسار الذى سيكلف بعملية التفاوض بمناطق بالذات فى العالم ، وعلى الرغم من أن أحداث الاختطاف ، وما يعقبها من حيل تتشابه فى مختلف مناطق التهديد ، الا أنه يصح القول بأنها لا تتماثل تماثلا كاملا ، ومن هنا يكون التخصص فى منطقة جغرافية محددة ميزة واضحة • ويستحق أولئك الذين يساعدون فى عملية التخطيط والاستشارة فى الأرض التى حدث فيها الاختطاف أتعابا اضافية لا يمكن انكارها ، فلما كانوا يعملون لصالح السمسار وحده ، فمن هنا سيكون من السهل اتباع مبدأ « الزبون أولا وله الصدارة » دون تعرضهم لسحب المشكلات والاتهامات بأنهم يعملون لصالح الموقع على صك التأمين . واذا فحصنا مناطق التهديد فى مختلف أنحاء العالم ، سيتيسر التعرف على أفضل التجار والسماسرة المتخصصين فى حرفة K. & R. ولنرجع الى أحد الأمثلة — وان لم يكن أفضل نموذج فى هذا الشأن — من احدى المناطق شديدة التعرض لأخطار الاختطاف ، ولدينا شركة تسمى K.R.I. وتتخذ ميامى قاعدة لها ، ولقد تخصصت هذه الشركة فى أدوار الوساطة بين الزبائن وشركة لويد فى لندن فى كل ما يتعلق بعمليات المنطقة الجغرافية الخاصة بجنوب أمريكا (مع التركيز على بلدان أمريكا اللاتينية) • واستطاعت الشركة باتباعها المتبصر لمبدأ « الرافعة » بالجملة أن تحقق وفرا كبيرا فى الأسعار لصالح عملائها ، وتعتمد عملياتها برمتها على دعم من الخدمات الاستشارية الموجودة فى البلد الذى جرى فيه الاختطاف بالاضافة الى التدريب الوقائى للمؤمن عليه ، وابداء النصح بطريقة التفاوض والمختطفين لو احتاج الأمر لذلك •

وباختصار فان التأمين على الاختطاف ، وما يجره فى ذيوله من كسب يعد عاملا يجب أن يحسب له كل حساب الى جانب الحرص على التدريب واتباع الاجراءات الوقائية التى ترمى الى تأمين المسئولين ، والتى قد تعد ركنا هاما فى مظلة السلامة الشاملة •

***

٢٢ ـ الأسر والأتباع

من بين جوانب الأمن التى تشغل بال المسئول ـ سواء كان فى مكتبه وسط المدينة ، أو فى مكان قصى من العـــالم ـ سلامة عائلته ، وتحرص رئاسات المؤسسات على مراعاة هذا العامل ، كما تراعى ما تحدثه مثل هذه المشغوليات من تأثير على كفاية المسئولين ، فعلى أقل تقدير ، أنها ستدفعها الى التعاطف على مثل هذه الاهتمامات ، وستتخذ بعض الاجراءات الخاصة بالتخفيف من آثار هذه المشكلة · وفى المحصلة الأخيرة للبحث والتحليل سيبين أن تأمين الأسرة هو مسئولية الشخص نفسه ·

هنا ثمة اعتبـارات أكثر من مجرد تصعيب اتخاذ المسئول هدفا للارهــاب · اذ سيصبح رفع مستوى الحياة ربمـا أكثر أهمية ، ناهيـك بالاحتياجات التعليمية والداخلية ، التى يتعين توفيرها باحساس مرهف · وليس من شك أنه اذا تعرض أحد المسئولين للخطر من قبل أولئك الذين قد يقتلونه أو يختطفونه من أجل الضغط عليه ، أو لابتزاز فدية تدفـع فورا ، فان عائلة المسئول أيضا ستصبح آنئذ فى خطر · ولعل اختطاف الزوجات والأطفــال ـ لو حدث أى منها ـ ستكون وسيلة أشد فاعلية للسلب والنهب ، تفوق فى هذا الشأن اختطاف أحد رجال الأعمال · فهى أكثر عاطفية · وقد يكون الأنكى من ذلك التهديد باغتصاب النساء ، وغير ذلك من المزعجات ، عندما تكون الضحية امرأة أو طفلا ·

فما الذى بوسع رجل الأعمال أن يفعله لتعزيز أمان أتباعه ، عندما يكون هو نفسه غائبا عن بيته · ومرة أخرى نقول ان اجراءات « تصعيب الهدف » مسألة تدرب ، وتعتمد الى حد كبير على قواعد وتقنيات مفسرة بعناية ، على أن هناك بعض مشكلات ستترتب على اعتقادك بأن أول شىء

تخشى حدوثه هو تعريض أسرتك لضغوط غير لائقة وزيادة ازعاجها ، بحيث تصبح أحوال معيشتها لا تطاق · فقد يترتب على ذلك التوقف عن الانتاج ، ومن هنا فان أول درس يجب أن نعيه هو ادارة عملية تعليم الزوجة والأسرة بحكمة وجدية ، بغير اعطائهم أية ذريعة للذعر · وأفضل من يتولى هذه المهمة ويحسن حساباتها هو من يعرف الأسرة أفضل معرفة · انه الزوج ·

ولقد زودنا الفصل العشرون والحادى والعشرون بالكثير من القواعد والتعاليم التى يمكن تطبيقها على الأسرة ، مثلما أمكن تطبيقها على المسئول نفسه ، يعنى التبصر والحرص عند استعمال التليفون ، وتجنب الروتينيات المنتظمة (ان أمكن) والبوابات ، والاعتمـاد على المفهومية والبداهة · على أن هناك جوانب أخرى من الحياة فى حاجة الى تناولها فى ذاتها . وتخص الاتباع ، واذا اتضح أن بعض الملاحظات الآتيــة منفرة ، فعلى القارىء أن يتذاكر أن هذا الموضوع يخص مسائل الاعتداء وما أكثرها . وأن هذه الملاحظات وليدة التجربة ·

ونقطة البدء ، كما هو الحال دائما ، هى البيت · وتجىء على رأس القائمة حقيقة وجوب فهم الأسرة فهما تاما الأسباب الكامنة وراء الاجراءات الأمنية ، وضرورة وثوقها منها ، وبأنه ليس بالشىء السىء الاعتمـاد على الحكايات والطرف فى التدريب المبدئى للعائلة ، وبخاصة عند التعامل والأطفال · ثانيا ــ من الضرورى أن يعرف كل أفراد الأسرة والشغالة أين يطلب العون تليفونيا ، أو اعتمادا على التليفون اللاسلكى فى أى لحظة من النهار أو الليــل · ومن الأمور الواضحة ، وان كانت رغم ذلك كثيرا ما تتجاهل ، أنه يغض النظر عن شخصية من يتصل به لطلب العون ، فمن الواجب تعريفه تعريفا كاملا بماهية التهديد ، وعلى الرغم من أن هذا التصور قد يبدو بديهيا ــ وانه لكذلك حقا ــ الا أنه قد ثبت من الحقائق أنه لا يلزم أن تكون الشرطة أو رئاسة المؤسسة هما أول من يتلقى الانذار ، وعلى الأخص اذا كانت الأسرة تعيش فى منطقة نائية عن المدينة ·

وتمشيا مع المبدأ الحربى ، الذى كثيرا ما تردد فى هذا الكتاب عن ضرورة مراعاة العمق فى الدفاع ، فلابد أن تبحث أولا مسألة حماية البيت . وثمة حد فاصل حسن يفصل بين ما هو مقبول ومؤثر من اجراءات الأمن والاجراءات التى تقيد الطريق الطبيعى للحياة ، وتجعلها صعبة الاحتمال ، وبمقدور المسئول وعائلته وحدهما تحديد أين يوضع هذا الحد الفاصل ، ولكن حذارى من الميل المماثل لميول المصابين بالبارانويا ، الذى يجنح

الى العقلية السانجارية(*) . فقد يؤدى هذا الميل فى ذاته الى قهر النفس بحكم ما يتضمنه من اعتماد كلى على تصور يؤدى الى الاحساس الزائف بالأمان ، وتبلد الحواس . وفقدان الوعى بالتبعية . فليتك أن تتبع العقل وتدع الحياة تسير قريبا من الحياة الطبيعية بقدر المستطاع ، على أن تلتزم بالحيطة التى تكتسبها من ادراكك السليم للأسباب والتساؤلات حول السر فى وجود هذه القواعد البسيطة .

واختيار البيت الذى تقيم فيه أمر هام ، غير أنه من المسائل التى لها وزنها أن هناك أوضاعا تفرض عليك . وربما تكون هذه الأوضاع خارج سيطرة المسئولين كالناحية المالية والمكان الجغرافى وطبيعة الخدمة المنزلية فى بلد بالذات ، وبوجه عام بالاستطاعة تصنيف البيوت من حيث صلاحيتها الى مستويات تبعا لهذا الترتيب التنازلى .

شقق الأدوار الثانية ، وما يعلوها من شقق فى العمارات ، مع وجود جراج داخلى ووسائل وقائية ، اعتمادا على مفاتيح خاصة ، ووجود حراس للاتصالات والأمن (مع افتراض توفر المخارج الصالحة للاستعمال عند الهروب مثل المخارج التى تستعمل عند نشوب الحريق) .

البيت الواقع فى أرض مستقلة خاصة به ويوفر حرية اقامة نظام دفاعى يتم على مراحل . وتكون الناحية المالية ميسرة .

هناك بيوت أخرى تتدرج فى مدى ملائمتها ، شريطة امكان تدبير أماكن داخلية تصلح كملاجىء للأمان عند الطوارىء .

ان البيت الذى يقع فوق أرض مستقلة خاصة به هو أنسب مكان لتوفير الأمان ، والمظهر الخارجى للبيت له أهميته لسببين

اولا ــ البيت الذى يتخذ مظهر المقر المحمى حماية حسنة يبدو كمكان حصين قادر على صد أى عدوان ، ولكنه قد يلفت الأنظار الى من يشغله . فلربما أثار تطلعات حب الفضول عند المجرم وقد يدفعه للقيام بعملية معاينة ضد « هدف » لم يخطر بباله حتى الآن .

ثانيا ــ العقلية « السانجارية » التى نوهنا عنها يمكن تشجيعها على الاقامة فى مثل هذه الأماكن باعتبارها أماكن محصورة للغاية . ومن

(*) Sangar Mentality « سانجار » عند الهنود نوع من التحصينات الهشة المرتجلة التى لا تحقق أية حماية .

المؤثرات على مثل هذا النوع من البيوت ، حجم العقار والمسافة التى تفصل بين المحيط الخارجي والمسكن ·

والمثل الأعلى لتحصين البيت هو اقامة سور ارتفاعه من مترين ونصف المتر الى ثلاثة أمتار من البناء المتين يعلوه حاجز Sabre tipe يرصع فيه السلك الشائك بشرائح معدنية حادة مبططة أشبه بشفرات الحلاقة (والذى يفضل على الحاجز المكون من أسلاك شائكة) على أن يزود بأجهزة انذار ، وعليك أن تبدأ هذه البداية « كمثل أعلى » ، وعليك أن تتدرج فى تكوين الحاجز بحيث يتناسب واحتياجات الأفراد وقوانين الدولة . ومقدار تدخل الرؤيا التى بمقدور الفرد تحملها ، والمبدأ الذى يسترشد به عند اقامة البوابات هو أن تتوافر لها نفس المكانة التى تجعلها وسيلة دفاعية ذات كفاية كالمحيط نفسه · وعلى رأس الوسائل الوقائية ، بالاضافة الى البوابة التى تفتح وتقفل بجهاز الاشعار عن بعد ، وجود جهاز C.C.T.V من أفضل نوع ، ومعدات اضاءة لالقاء الضوء على مختلف الارتفاعات ، وبخاصة المستويات الدانية ، وأجهزة تصوير ، وجهاز entry phone للتعرف على الزوار عن بعد ·

وتساعد اضاءة محيط البناء على تعويق المعتدين ، ولكنهما كثيرا ما تتعرض لاساءة الاستعمال · واذا وجد جهاز الانذار فانه سيزودك بانذار مبكر ، ومن ثم فمن المعقول أن توجد اضاءة تنير المنطقة الواقعة بين نقطة الانذار والخط الثانى للدفاع · ولما كان هناك احتمال أن يكون الخط الثانى للدفاع هو الجدار الخارجي للمسكن ، ولا يرغب شاغلو البيت أن يغشى بصرهم من مواجهة الأنوار الساطعة ، فليس هناك ما يحول دون جعل هذه الأنوار تشع الى الخارج ، وتغطى الأرض المجاورة ، والتى يجب أن تخلو من أى أشياء يستطاع الاستتار فيها من قبل أى مهاجم عند اقترابه ، وبلغة العسكريين ستكون هذه التغطية الضوئية أشبه بمنطقة نيران · واذا اتجهت النية الى الاستعانة بكلاب ، فيجب مراعاة أن الحيوان المدرب وحده هو الذى يحقق فائدة ، وهناك الكثير من « حيل الحرفة » فى جعبة ترسانة المجرمين · فبمقدورهم تحويل حتى أفضل الحيوانات الى عناصر معوقة لهذا التصور ، ويكرر المؤلفان التحذير من الاحساس الزائف بالأمان الذى يوحى به وجود الحيوانات ·

وفيما يتعلق بأبواب الخط الثانى للدفاع أو الخط المباشر (الجدار الخارجى للبيت) عليك أن تسترشد بالبداهة وأن تسأل نفسك السؤال الآتى : هل أنا مضطر لفتح هذا الباب لمعرفة من القادم ؟ وربما بدت هذه النقطة بينة ، وان كانت كثيرا ما تغفل فى الأنظمة الدفاعية ، ولولا

ذلك لوصفت هذه الأنظمة بالامتياز ، وفتحات اختلاس النظر (ولعله يقصد المزاغل بلغة العسكريين) والأنوار الكاشفة والسقاطات والترابيس التى تنفتح من ناحية واحدة (الناحية البعيدة عن المقتحمين) والتركيبات التى تحدث أصواتا مزعجة ، من المقومات الضرورية لتأمين الأبواب ، واذا أرغمك مكبر الصوت فى المدخل أو أى جهاز مركب على الباب على الوقوف فى مكان معرض لكى ترد على الطارق ، فعليك أن تعمل على تركيب حاجز يحميك من الرصاص والاصابة من نيران الرشاشات ، قلل عدد الأبواب الكثيرة الاستعمال الى أقصى حد أدنى • وتذكر احتمال الحاجة المستمرة الى طريق للهروب كجانب من الخطة الشاملة للأمان •

والنوافذ فى أى دور من الأدوار ، وأيا كان موضعها مصدر خطورة •• وعليك بازالة جميع الوسائل الطبيعية وغير الطبيعية التى تساعد على التسلق الى نوافذ الطابق العلوى • واذا ساورتك أى شكوك ، فما عليك الا أن تجرى نفس الاجراءات التى أجريتها فى فتحات الطابق السفلى • فقم بتركيب قضبان حديدية للنوافذ اذا أردت جعلها مأمونة الجانب ، عاين المكان معاينة دقيقة ، ولا بأس من تركيب ستائر من الأقمشة الحديثة التى تستعمل كستائر ، وتسمح برؤياك لما يدور بالخارج ، ولا تسمح لمن بالخارج أن يراك ، وقد سبق شرحها فى الفصل السابق ، وكلما ازداد احتمال عدم متانة الجدار الخارجى ، ازداد بالتبعية ما يجب أن يوجه من انتباه لتقوية الملجأ الداخلى ، وتنطبق القواعد الداخلية الآتية بنفس القدر على الشقق والمساكن المستقلة ، كليهما :

وبالاستطاعة اختيار الملجأ الداخلى فى أية غرفة مناسبة فى البيت ، بحيث تساعد على مواجهة الموقف ، على أن تجهز تجهيزا خاصا تراعى فيه حالة الضغط الجوى •

- يراعى سرعة وصول جميع أفراد الأسرة اليها فى جميع الأوقات ليلا ونهارا •
- توافر اتصالات خارجية بينها وبين نقط المعاونة المباشرة ، ويستحسن استعمال تليفون لاسلكى •
- يحتفظ بدفتر تدون فيه فصائل الدم وأرقام تليفونات الطوارىء وأرقام كود اللاسلكى ، كما أشير فى الفصل السابق •
- من الضرورى الاحتفاظ بحقيبة أدوات طبية من أحدث الأدوات الميسورة •

- الغذاء والماء ، ويراعي بوجه خاص توافر احتياجات الأطفال · ولا بأس من تخزين كميات اضافية من هذه الضرورات إذا دعت الحاجة ·

- يحتفظ بالأسلحة التى أعتيد الاحتفاظ بهـا فى المنزل بهـذه الغرفة ·

- قبل استعمال أى سلاح نارى ، ادرس أخطار اطلاقه فى الأماكن المحصورة · ويجب أن لا يستعمل الا كملاذ آخير ·

- احرص على توفير لعب للأطفال لشغل انتباههم ·

- تساعد نقط المراقبـة من خلال الفتحات والمزاغل على تعريف شاغلى الغرفة بمـا يدور فى الخارج ، حتى يطلبـون العون ، أو يخطرون الشرطة على الفور ، والذين قد يكونون فى طريقهم لتقديم النجدة المطلوبة ·

ان هذا هو آخر خط دفاعى تتحصن فيه ، ومن ثم فيجب أن تكون النوافذ والأبواب مؤمنة بقدر المستطاع · وليتك تبحث بجـدية امكان تصفيحها حتى اذا كنت لم تجر عمليات ممـاثلة فى أى جزء آخر من البيت ·

وتعليم العاملين بالمنزل ، وتدريبهم حافل بالمشكلات ، وبخاصة اذا كانوا برفقة الأسرة منذ عهد بعيـد · ولكن لا تنسى أنهم ليسـوا من الأسرة ! بغض النظر عن الفترة الزمنية الطـويلة التى أمضـوها فى صحبتها ، فليس بمقدورك أن تمنحهم نفس القدر من الثقة التى تمنحها لزوجتك ، أو لأحد أبناء أسرتك ، ممن ترتبط بهم برباط حميم · عليك أن تطبق مبدأ « الحاجة للمعرفة تطبيقا صارما » · اتبع قواعد بسيطة عندما تنتقى العاملين بالمنزل ، فالمعلومات عن خلفيتهم ، باستطلاع رأى من عرفوهم قبلك أمر ضرورى ، **ويجب التحقق منها** · ويتعين الاحتفاظ بمستنسخات من جميع أوراقهم الشـخصية فى مكان آمن فى خزانة بالملجأ ، أو فى خزانة مستأجرة فى البنك ، وفضلا عن ذلك ، فيجب أن يعرف هؤلاء العاملون أنك قد اتخذت مثل هـذه الاجراءات الوقائية · حاول أن تتعرف على العاملين بمنزلك بقدر استطاعتك ، فقم بالتعرف على أحوالهم الشخصية ، وادرس عاداتهم وتعابيرهم ، لأن جميع هذه العوامل لا يستبعد أن تكون ذات قيمة ، ونذيرا مبكرا لك ، قبل أن يتعرضـوا للتنكيل فيضطرون الى تقديم معلومات عنك وعن أسرتك · عموما فاننا

نكرر أن العاملين بالمنزل من أكثر النقاط تعرضا للخطر · وكما يقـول لنا التاريخ ، ان الكثير من عمليات الاغتيال والاختطـاف قد بدأت من عندهم ·

وعلى الرغم من أن وجود الأطفال بعد الزواج يكون شيئـا مبهجـا ، الا أنه عندما ينشأ موقف تهديدى ، فانهم يصـبحون مصدر اشـكالات رهيبة · والأطفـال مغرمون بالزهو ، وألذ شىء عنـدهم هو مضـغ « المستيكا » والتفرج على الدراما · واذا ذكرت سرا ما للأطفـال فكأنك تخاطر بنشره فى شتى الأنحاء ، وهذا أمر خطير ومحتوم أيضا · فأقبل هـذا الأمـر على علاته ، ولا تدع ذلك يدفعك للكشف عن جميع اجراءات الأمن لهم ، واكتفى بتوضيح الوقائع لهم بطريقة بعيدة عن التهويش ، وبالقدر الذى يسمح بتوعيتهم · وعليك أن تعرفهم بعض القواعد البسيطة، التى يمكن عرضها جميعا بطريقة مستترة ، وارجاعها الى أسباب مختلفة ، وبذكر أمثلة من باب المشابهة كأن تحدثهم مثلا عن أحـداث التعرض للتحرش والازعاج أو حتى عن التهديد بعملية سطو بسيطة ·

يجب أن تصر دائما على معرفة أين يذهب طفلك أو أطفالك ، مع توضيح لماذا تحتاج الى هذه المعلومات ، واذا فعلت ذلك فلابد أن تعرفهم بالمثل بأخبارك ، وأن تخطرهم برقم تليفون المكان الذى يمكن أن يجدوك فيه ، لو اضطررت الى تركهم وحيدين بالمنزل · بذلك تكون قد اتبعت مبدأ المعاملة بالمثل ! · ففى هذا العالم الشذر نزر الذى يتعرض فيه الأطفال للأعمال الاجرامية ، لم يعد مستغربا الآن أن يتعلم الأطفـال فى المدرسة والمنزل على السواء عن الأخطار المترتبة على التحدث مع الأجانب أو قبول الركوب فى سيارات الأغراب · ولا بأس من أن تتوسـع فى الكلام فى هذا الموضوع بتحذير أطفالك وافهامهم أنهم قد يسألون عن أين يعمل والدهم ووالدتهم وعن تحركاتهم وعاداتهم · اغرس فى أمخـاخهم أهمية تعريفك بالمحاولات التى جرت معهم للاستفسار عن بعض أشياء ، وشجعهم على تذكر أكبر قدر مستطاع عن المظهر الخارجى لمن وجهوا لهم هذه التساؤلات ، وطريقتهم فى الكلام ، تذكر ميل الأطفال للمبـالغة ، والاغراق فى الخيـال ، فانتبه لذلك اذا كان ما يقولونه لك سيؤدى الى اتصالك بالشرطة ·

عرف الأطفال بأنك قد تلجأ الى احدى الحيل ، وهى نقـل رسالة زائفة ، كثيرا ما تتخذ شكلا دراميا بقصد تخليص أحد العاملين بالمنزل ، أو أحد أفراد الأسرة ، ومسـاعدته على الخروج من باب أو بوابة محكمة

الحراسة . عرفهم اعتمادا على تعليمات بسيطة فن الرد على التليفـــون . وتأكد بوجه خاص أنهم لن يتخلوا عن اتباع هذه الطريقة عندما يتصادف وجودهم بمفردهم فى المنزل ، عرفهم أوليات الوعى بما يحدث فى الرحلات والتنقلات الخارجية . فبقدر الامكان عليهم أن لا يصعدوا الى الأوتوبيس أو ينزلون منه فى نفس النقطة كل يوم ، الا اذا احتموا بصحبة أطفال آخرين أو بأولياء أمور هؤلاء الأطفال الذين يكونون فى انتظارهم أو مرافقين لهم ، بلغهم الرسالة الآتية : اذا شـــعرت بأى شـــك ، فلا تنزل من الأوتوبيس ، واستمر فى الركوب محطتين آخرتين ، ثم اتصل بوالديك .

وفيما يتعلق بالمراهقين ، فانه من المتعـــذر أن يعترفوا بما يفعله مختلف أصدقائهم ومعارفهم ، ومن ثم فانهم قد يسيئون الظن فى تصوراتك لما يليق وما لا يليق . وهذا أمر طبيعى . ولكن فى هذه السن ، يتعين أن يكون الطفل قادرا على فهم أسباب اهتماماتك وآمالك فى أن يتعاون معك . وربما كان ما سأذكره خاطرا مؤسفا من خواطر الثمانينات ، ولكن – كما نعرف – ما أبشع انتشار المخدرات والتشوش الجنسى . وعن يقين يمكن القول بأن حالات ادمان المخدرات قمينة بالتسبيب فى وقوع الطفل فى براثن الجريمة المنظمة . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من زيادة فى التعرض لأخطار اختطاف صغار الأثرياء . وليس هناك سوى القليل الذى يمكن أن يجرى فى هذا السبيل . وأقصى ما يمكن القيام به هو تكرار النصائح المألوفة للآباء بمقاومة اغراء المخدرات وأوصابها ، والاحتراس والتنبه الى أية علامات أو أعراض تظهر على أبنائهم أو يشعرون بها ، حتى يمكن تحذيرهم قبل حدوث الطامة الكبرى والسقوط فى هاوية هذا الخطر الوبيل .

كثيرا ما يثار سؤال حول هل يتعين على الطفل أن يقاوم محـاولة اختطافه ؟ ان هذه نقطة حساسة بوجه خاص ، ويجب أن يترك أمر البت فيها للوالدين ، وان وجب الالتفات الى بعض العوامل ، فمن المؤكد أن أى اعتداء على أحد الصغار أو النساء ، اذا سمع الناس به ، يحتمل أن يكون أكثر استجلابا للعون من حالة الاعتداء على رجل . والمحك هنا هو هل المختطف المحتمل مسلح أم لا ؟ فاذا لم يكن مسلحا ، سيكون من المنطقى النصح بالركل والصياح والخدش والعقر ، وبمهاجمة المناطق الحساسة عند المعتدى كعينيه أو خصيتيه أو رسغ قدمه . وما أصعب الامساك بطفل صغير لديه لياقة بدنية عالية ! اذا صمم على الافلات من بين يدى المعتدى ، ولقد ذكرت المصادر الايطالية عدة أمثلة استطاع فيهـــا الصغار خداع المختطفين فى الشوارع العامة باتباع تكتيكات ألاعيبهم الصبيانية .

ومادمنا نتحدث عن الأطفال ، فماذا عن صغار صـــغار الأطفال ؟ ان مثل هؤلاء البراعم فى حاجة الى الهواء الطلق كالبالغين تماما • ومن التهور تنزيهم فى مناطق شديدة الخطورة اللهم الا اذا استئجر لحراستهم حراس شخصيون ، ومن أسف فى حالة عدم وجود حـــدائق أو مناطق براح ، فلن تكون هناك وسيلة أخرى للترويح عنهم غير استضافتهم عند الأصدقاء • ولا وجود لأى خطأ فى هذا الاجراء ، ولكن تذكر أيضـــا أن لا يحدث ذلك بصفة منتظمة •

وستحدث مناسبات تكون فيها الأسرة برفقة الزوج ، أو فى غيابه عائدة الى البيت الذى ترك لرعاية التابعين ، آنئذ ، ستعرف القيمة الحقيقية لاحدى النصائح الهامة التى أوردناها ، وهل هى راسخة فى الأذهان ، أم أنها عرضة للنسيان ؟ • عرف التابعين أخطـــار موقفك خلال هـــذه اللحظات ، واتفق معهم على اشارة كودية لتنبيهك الى وجود خطر داهم بالمنزل • ويتعين أن تتخذ هذه الاشارات شكل فعل بمقدور أحد الخدم القيام به دون تعرضه أو تعرضها للخطر كنقل احدى التحف من مكانها أو فتح ستارة أو اغلاقها ، أو انارة الغرفة أو اظلامها ، واقرن ذلك بحديث مستتر أو مموه متفق على معانيه الأصلية يجرى فى التليفـــون ، بحيث تؤكد بعض العبارات البادية البراءة ظاهريا وجود خطر • فاذا قلت مثلا : انى أتطلع الى عودتك أو ما أشبه » كان ما تعنيه « لا تعد » ! •

وثمة جانب ضرورى من الجوانب التى يجب تعريفها للأسرة ، ويخص الاستعدادات التى تجرى لاطلاق سراح زوج مختطف أو طفل مختطف ، وربما يكون قد أمضى فترة الاختطـــاف فى مكان كريه فترة طويلة من الزمان • وعلى الرغم من أن هذه اللحظات يجب أن تتصف بالبهجة المسلم بها ، فانه فى معظم الأحيـــان ، قد تحدث مضـــاعفات ، ويتجه أغلب الضحايا الى بذل جهد لمسايرة العصابة ، ومهاودتها فى شروط الافراج بقدر المستطاع ، غير أن هذا ليس ضمانا كافيا بأن العصابة كانت صادقة النية عندما قبلت الشروط ، عند حديثها هى والضحية • فهناك مناسبات قد يسمع فيها الضحية حكايات فظيعة عن فظاظة الأسرة ، ورفضها دفع الفدية المطلوبة ، والمماحكة على قروش قليلة • فاذا لم يتنبه الضحية الى مبادىء التفاوض ، وأسبابها ، فانه قد لا يستبعد أن يتولد لديه شعور بالكراهية نحـــو عائلتـــه • فلا تبالى بذلك • ان هذه مســـألة مؤقتة • والاهـــم من ذلك هـــو الاعـــداد لاستقبـــال لائق ، ويجب أن يوجـــد طبيب تحت الطـــلب ، حتى اذا لم توجـــد تلميحـــات توحى بأن الضحية يشعر بمرض ما ، وعلى الرغم من توقع شنـــعوره العميق بالارتيـــاح ، وأن يكون هذا هو التعبير المعتاد فى مثل هذه الحالات ، فان الحاجة تتطلب

وضع الضحية تحت الملاحظة لأيام قليلة ، على أقل تقدير • وربما شعر الضحية بتعذر النوم وبالتوتر العصبى ــ يقينا ــ ومن ثم فقد يحتاج الى مهدئات • وربما يكون الضحية ــ رجلا أو امرأة ــ كان يتناول وجبات هزيلة لبعض الوقت ، ومن ثم يجب التدرج لفترة من الزمن ، فى زيادة المقادير التى يتناولها فى غذائه • ومن الأفكار المستحبة ، تمضية أجـازة صغيرة بصحبة أفراد العائلة وحدهم ، فثمة حاجة الى الابتعاد عن أسئلة الشرطة وزذالة الصحفيين • وسيشعر الضحية « بضيق الخلق » فى حضرة هؤلاء الناس ، نظرا لأنه حرم من الكلام لفترة طويلة بطريقة قاسية ، ولقد ظهرت حالات عاطفية متطرفة لها علاقة بما يدعى « أعراض استكهلم » ، التى شعر فيها الضحايا باستهواء شديد نحو محتجزيهم • ويحتمل أن تكون مثل هذه الحالات قد بدأت فى محاولة لاراحتهم وتيسير أحوالهم ، ولكنها تحولت الى هوى وهيام ، ويعتمد علاج هذا الموقف على قيام الخبراء بتوعية الأسرة ، وسنيساعد ذلك على تعزيفهم بما تحدثه « حالة استكهلم » من أعراض ، ولماذا يتخول الأخذ والرد معهم الى مضيعة للوقت ، .وهذا يدفعنا الى البحث عن الأبعاد المختلفة لفترات الاحتجاز ، وعلى الأسرة بعد ذلك أن تتخيل نفسها فى نفس الموقف الذى كان فيه الضحية ، لأن هذا سيساعد على تعريف الآخرين بحالة البلبلة الشـعورية التى يمر بهـا الضحية لدى الافراج عنه •

وباختصار ، فان تأمين الأسرة يتبع ــ بصفة أساســية ــ نفس اتجاهات البداهة الفطرية ، التى تتبعها استراتيجية « تصعيب الهدف » عند الأفراد ، باستثناء أن هذا النطاق يحتاج الى مزيد من الانتباه الموجب الى الضغوط التى يحتمل أن تقع على الزوجات والأطفال من جراء الروايات التى سيرويها الضحية ، وما فيها من ازعاج • نعم ان هذه الحالة تتطلب الحصول على معرفة أعمق بأحوال العائلة والتابعين ، وأن تخوض هـذه المعرفة الجوانب الأكثر اتساما بالطابع الشخصى أكثر مما يحدث فى الجوانب الأخرى من الأمن ، وهناك حاجة الى قدر كبير من اللباقة والثقة بالنفس ، يجب أن تتوافر فى المحيط المباشر للعائلة ، ولعل أصعب جانب يحتمل قبوله من الأسرة ، هو دعوتها الى عدم الوثوق بالتابعين ، الذين ربمـا يكونون قد أمضوا سنوات عديدة فى خدمة البيت • والحكايات عديدة عن أناس طردوا لدوافع مختلفة ، « بعد أن كانوا من الخدم الموثوق فيهم •• » « ولكنها كادت تكون واحدة من العائلة ! » • هذه بعض الصيحات التى يشترك الجميع فى ترديدها ، فلا تدع ذلك يحدث لك •

* * *

الفهرس

صفحة

صفحة

●● كتب صدرت عن مشروع الألف كتاب (الثانى)

اسم الكتاب	المؤلف
١ ـ أحلام الأعلام وقصص أخرى	برتراند رسل
٢ ـ الألكترونيات والحياة الحديثة	ي . رادونسكايا .
٣ ـ نقطة مقابل نقطة	ألدس هكسلى .
٤ ـ الجغرافيا فى مائة عام	ت . و . فريمان
٥ ـ الثقافة والمجتمع	رايموند وليامز
٦ ـ تاريخ العلم والتكنولوجيا . ج ٢ . القرن الثامن عشر والتاسع عشر	ر . ج . فوربس
٧ ـ الأرض الغامضة	ليستر ديل راى
٨ ـ الرواية الانجليزية	والتر ألن
٩ ـ المرشد الى فن المسرح	لويس فارجاس
١٠ ـ آلهة مصر	فرانسوا دوماس
١١ ـ الانسان المصرى على الشاشة	د . قدرى حفنى وآخرون
١٢ ـ القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة	أولج فولكف
١٣ ـ الهوية القومية فى السينما العربية	هاشم النحاس
١٤ ـ مجموعات النقود صيانتها .. تصنيفها .. عرضها	ديفيد وليام ماكدوال
١٥ ـ الموسيقى ـ تعبير نغمى ـ ومنطق	عزيز الشوان
١٦ ـ عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	
١٧ ـ ديلان توماس مجموعة مقالات نقدية	
	جون لويس
١٩ ـ الرواية الحديثة . الانجليزية ـ والفرنسية ج ١	بول ويست
٢٠ ـ المسرح المصرى المعاصر . أصله وبدايته	د . عبد المعطى شعراوى
٢١ ـ على محمود طه . الشاعر والانسان	أنور المعداوى
٢٢ ـ القوة النفسية للأهرام	بيل شول وأدنبيت
٢٣ ـ فن الترجمة	د . صفاء خلوصى

اسم الكتاب	المؤلف
٢٤ ـ تولستوى	رالف ئى ماتلو
٢٥ ـ ستندال	فيكتور برومبير
٢٦ ـ رسائل وأحاديث من المنفى	فيكتور هوجو
٢٧ ـ الجزء والكل (محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية)	فيرنر هيزنبرج
٢٨ ـ التراث الغامض ماركس والماركسيون	سدنى هوك
٢٩ ـ فن الأدب الروائى عند تولستوى	ف ٠ ع أدنيكوف
٣٠ ـ أدب الأطفال ٠ (فلسفته ـ فنونه ـ وسائطه)	هادى نعمان الهيتى
٣١ ـ أحمد حسن الزيات ٠ كاتبا وناقدا	د ٠ نعمة رحيم العزاوى
٣٢ ـ أعلام العرب فى الكيمياء	د ٠ فاضل أحمد الطائى
٣٣ ـ فكرة المسرح	فرنسيس فرجون
٣٤ ـ الجحيم	هنرى باربوس
٣٥ ـ صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة	السيد عليوة
٣٦ ـ التطور الحضارى للانسان (ارتقاء الانسان)	جوكوب برونوفسكى
٣٧ ـ هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟	د ٠ روجر ستروجان
٣٨ ـ تربية الدواجن	كاتى ثير
٣٩ ـ الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	ا ٠ سبنسر
٤٠ ـ النحل والطب	د ٠ ناعوم بيتروفيتش
٤١ ـ سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
٤٢ ـ سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤	د٠ لينوار تشامبرز رايت
٤٣ ـ كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د ٠ جون شندلر
٤٤ ـ الصحافة	بيير البير
٤٥ ـ أثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى	الدكتور غبريال وهبه
٤٦ ـ الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها	د ٠ رمسيس عوض
٤٧ ـ حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د ٠ محمد نعمان جلال
٤٨ ـ الفكر الأوروبى الحديث جـ١	فرانكلين ل ٠ باومر

اسم الكتاب	اسم المؤلف
٤٩ ـ الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥	شوكت الربيعي
٥٠ ـ التنشئة الأسرية والأبناء الصغار	د · محيي الدين أحمد حسين
٥١ ـ نظريات الفيلم الكبرى	تأليف : ج· دادلي أندرو
٥٢ ـ مختارات من الأدب القصصي	جوزيف كونراد
٥٣ ـ الحياة في الكون كيف نشأت وأين توجد ؟	د · جوهان دورشنر
٥٤ ـ مبادرة الدفاع الاستراتيجي حرب الفضاء (دراسة تحليلية لأسلحة واستراتيجيات حرب الفضاء)	طائفة من العلماء الأمريكيين
٥٥ ـ ادارة الصراعات الدولية (دراسة في سياسات التعاون الدولي)	د · السيد عليوة
٥٦ ـ الميكروكمبيوتر	د · مصطفى عناني
٥٧ ـ مختارات من الأدب الياباني (الشعر ـ الدراما ـ الحكاية ـ القصة القصيرة)	مجموعة من الكتاب اليابانيين القدماء والمحدثين
٥٨ ـ الفكر الأوروبي الحديث · ج ٢ (الاتصال والتغير في الأفكار) من ١٦٠٠ ـ ١٩٥٠	فرانكلين ل · باومر
٥٩ ـ تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة	جابرييل باير
٦٠ ـ أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج
٦١ ـ الفكر الأوروبي الحديث · ج ٣	فرانكلين ل · باومر
٦٢ ـ كتابة السيناريو للسينما	دوايت سوين
٦٣ ـ الزمن وقياسه	زافيلسكي ف · س
٦٤ ـ أجهزة تكييف الهواء	ابراهيم القرضاوي
٦٥ ـ الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي	بيتر ر· داي
٦٦ ـ سبعة مؤرخين في العصور الوسطى ·	جوزيف داهموس
٦٧ ـ التجربة اليونانية	س · م بورا
٦٨ ـ مراكز الصناعة في مصر الاسلامية	د· عاصم محمد رزق
٦٩ ـ العلم والطلاب والمدارس	رونالد د· سمبسون و نورمان د· أندرسون
٧٠ ـ الشارع المصري والفكر ·	د· أنور عبد الملك

الاسم	المؤلف
٧١ ـ حوار حول التنمية	والت روستو
٧٢ ـ تبسيط الكيمياء	فريد هيس
٧٣ ـ العادات والتقاليد المصرية	مون بوركهارت
٧٤ ـ التذوق السينمائى	آلان كاسبر
٧٥ ـ التخطيط السياحى	سامى عبد المعطى
٧٦ ـ البذور الكونية	فريد هويل شندرا ويكرا ماسينغ
٧٧ ـ دراما الشاشة	حسين حلمى المهندس
٧٨ ـ الهيروين والايدز	
٧٩ ـ الفكر الأوروبى الحديث ج ٤	فرانكلين ل· بلومر
٨٠ ـ نجيب محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس
٨١ ـ صور افريقية	دوركاس ماكلينتوك
٨٢ ـ الكمبيوتر فى مجالات الحياة	د· محمود سرى طه
٨٣ ـ دراما الشاشة ج ٢	حسين حلمى المهندس
٨٤ ـ المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتر لورى
٨٥ ـ وظائف الأعضاء من الألف إلى الياء	بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
٨٦ ـ الهندسة الوراثية	ويليام بينز
٨٧ ـ تربية أسماك الزينة	ديفيد الدرتون
٨٨ ـ كتب غيرت الفكر الانسانى	أحمد محمد الشنوانى
٨٩ ـ الفلسفة وقضايا العصر ج١	جمعها : جون · ر · بورر وميلتون جولد ينجر
٩٠ ـ الفكر التاريخى عند الاغريق :	آرنولد توينبى
٩١ ـ قضايا وملامح الفن التشكيلى	د· صالح رضا
٩٢ ـ التغذية في البلدان النامية	م· هـ· لنج واخرون
٩٣ ـ الفلسفة وقضايا العصر ج٢	جمعها : جون · ر· بورر وميلتون جولدينجر
٩٤ ـ بداية بلا نهاية	جورج جاموف
٩٥ ـ الحرف والصناعات من مصر الاسلامية	د · السيد طه أبو سديرة
٩٦ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج١	جاليليو جاليليه
٩٧ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج٢	جاليليو جاليليه
٩٨ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج٣	جاليليو جاليليه

استدراك

ص ٢٠٢ ـ سقط السطر التالى بين السطرين الخامس والسادس ٠

من بين ايديهم ٠ وفى حالة بلونديل ، ليس هناك اى صك تأمين (بالرغم ٠٠٠٠

ويشطب السطر السابع لتكراره ٠

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٢١٧٥

ISBN — 977 — 01 — 2681 — 0

١

يتناول كتاب الارهاب (التهديد والرد عليه) مشكلة تعد بحق افة عصرنا الحالى . ويبدأ الكتاب ببحث أصل الإرهاب ، وصوره المختلفة ، بعد انتشاره إلى درجة تهدد حضارتنا ، وبخاصة بعد أن تبنته بعض الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء .

ويحدد الكتاب مواطن أخطار الإرهاب ، ويذكر وصايا عملية للمسافرين إلى هذه المواطن ، ويذكر أيضا إرشادات هامة عن كيفية حماية المرافق والسفارات والمؤسسات ، وما يتعين القيام به فى شتى حالات الاختطاف والمطالبة بالفدية .

٣٧٥ قرشـا

مطابع الهيئة المصرية ا